المكتبة الفلسفية

تواريخ الحكماء والفلاسفة

تأليف الفيلسوف

شمس الدين الشهرزورى

من علماء القرن السابع

تحقيق وضبط

الأستاذ الدكتور
أحمد عبد الرحيم السايح

المستشار
توفيق على وهبة

الجزء الأول

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

openmaktabah.com

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣
حقوق الطبع محفوظة للناشر
الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد – القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الشهرزورى ، محمد بن محمود الشهرزورى ، ٠٠-١٢٨٨
تواريخ الحكماء والفلاسفة / تاليف : شمس الدين الشهرزورى ،
تحقيق وظبط : احمد عبد الرحيم السايح ، توفيق على وهبة
- ط ١ – القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
١ مج : ٢٤ سم
تدمك: ٣٩٩٣-٣٤١ - ٩٧٧
١- الفلاسفة العرب
أ- السايح ، احمد عبد الرحيم (محقق)
ب- وهبة ، توفيق على (محقق مشارك)
ج- العنوان

ديوى: ٩٢١/١

رقم الايداع : ١٧٢٨٤ /٢٠٠٨
obeikandi.com

مقدمة التحقيق

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحبه.

أما بعد..

فإن الميل إلى الفلسفة طبيعي في الإنسان، وإن لكلِّ شخص في الحياة فلسفة يسير عليها، ومذهبًا خاصًا في أفعاله وسلوكه...

فهو إما أن يأخذ هذه الفلسفة عن غيره، وإما أن يبدعها بنفسه فيفكر في مبدأ هذا الوجود ومعاده، ويتأمل ما فيه من الخير والشر.

ويفكر في الإنسان وغايته، ويتَّخذ لنفسه في الحياة قاعدة عملية متناسبة مع عقائده وآرائه.

وهذه الفلسفة العاميَّة قد يستمدها الإنسان من تجاربه ومطالعاته.. وقد يوحي إليه بها القلب والضمير تحت تأثير العوامل الاجتماعية، وقد تقبلها نفسه صاغرة أو مختارة..

إلا أن شيئًا واحدًا لا ريب فيه، وهو أن النفس الإنسانية لا تستطيع أن تبقى مجردة عن الاعتقاد.

نعم: إنَّ في الناس طبقة لا تتلذذ بالتصور، ولا تفكر في شيء، كأن على سمعها حجابًا، أو على أبصارها غشاوة، فلا تميل إلى هذه الأبحاث، ولا تهتم بهذه الآراء، بل تنصرف إلى الحياة المادية.

فهي حقيقة بأن تسمى عدوة الفلسفة؛ لأن أفرادها مصابون بالجمود الفكري، والركود الفلسفي، إلا أنهم قليلون لا يعتد بهم، ولا يلتفت إليهم..

ولقد أصاب الذي قال: إن الإنسانَ فيلسوف بالطبع؛ لأنه لم يتجرد من الاعتقاد الفلسفي أبدًا، بل كانت الفلسفة دائمًا مطمع أنظاره، حتى إن الجهلَ لم يمنعه في العصور المظلمة من أن يذهب مذاهب شتَّى في الوجود، وطبيعة النفس، والبقاء بعد الموت.

والفلسفة ليست من الأمور التي تهم المتخصص فقط، وإنما تهم الجمع؛ وذلك لأنه -وإن كان هذا أمر يمكن أن يدعو إلى التعجب- لا يوجد في الغالب إنسان لا يتفلسف.

أو على الأقل: فإن لكل إنسان لحظات في حياته يصبح فيها فيلسوفًا.

فالتفكير الفلسفي ليس -كما يتصور البعض- احتكارًا للفلاسفة، أو للمشتغلين بالفلسفة؛ إذ إن الإنسان كإنسان يتميز عن غيره من الكائنات بعقل وهبه الله إياه؛ ليفكر به...

والتفلسف ليس شيئًا آخر غير استخدام هذا العقل؛ فالحيوان يرى، ويسمع، بل ويتذكر، ولكنه لا يستخدم هذه القوى إلا في حاجاته الوقتية...

أما الإنسان فيرى ظواهر الكون على اختلاف أنواعها، فيتصورها، ويكوِّن له فيها رأيًا، ثم يجتهد في تعريف عِللها، وعلاقة حقائق الكون بظواهره، وهذا طريق فهم الشيء فهمًا واضحًا، فإن فعل هذا قلنا: إنه يتفلسف.

وعلى ذلك فإنه لا يوجد في الغالب إنسان لا يتفلسف، أو على الأقل فإن لكل منًا في حياته لحظات يكون فيها فيلسوفًا ينظر ويتأمل، ويحاول الوصول إلى أعماق الأمور...

وليست الفلسفة إلا نتاجًا للنظرة الفاحصة للعقل البشري إلى هذا الوجود، وتطلعًا مشروعًا من جانب هذا العقل إلى إدراك المبادئ الأولى في هذا الوجود، ومحاولة لحل ألغاز الحياة المتمثلة في الأسئلة التالية:

مَنْ نحن؟

ومن أين نأتي؟

وإلى أين نذهب؟

وما أحسن سبيل للوصول إلى هذا المصير؟

والعقل قَبَسٌ من نور الله، أو كما يقول الإمام الغزالي: «أنموذج من نور الله».

ويحاول العقل أن يكشف -بهذا النور- مجاهل الوجود وشعابه، فيتتبع الموجودات، ويحاول أن يدرك ماهياتها وشكلها، مرتقيًا من عِلة إلى علة، حتى يصل إلى الغاية القصوى التي هي العلة الأولى، والتي كان كل شيء بها، ومن أجلها.

ثم يعود العقل مرة أخرى إلى تأمل هذا الكون ناظرًا فيه من جديد، ومكونًا لنفسه صورة واضحة عنه، ومفسرًا كيفية انسجام الأشياء في ذاته، وفيما حوله، مما هو خارج عن ذاته.

ومن ذلك يتضح لنا أننا جميعًا من عامَّتنا إلى خاصَّتنا نتفلسف بدرجات متفاوتة، وإن كان البعض منَّا لا يريد أن يسلم بأنه يتفلسف.

فالفلسفة في واقع الأمر ليست بالشيء الدخيل على الإنسان، فحياته حلقات متصلة من الفكر والتأمل.

وهكذا نجد أن الفلسفة ليست نبتًا غير طبيعي في المجتمع، وإنما هي ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان كإنسان، ولن تزول هذه الظاهرة من الحياة طالما كان هناك إنسان في هذا الوجود.

وليست الفلسفة مجرد دراسات نظرية منعزلة من حياة الناس اليومية، بعيدة عن التأثير فيها، وإنما هي نظرة إجمالية في الكون، واتِّجاه فكري عام نحو الحياة في مجموعها.

وهذه النظرة، وهذا الاتجاه الفكري يؤثر بطبيعة الحال في تصرفات الإنسان اليومية، وفي معالجتنا للحوادث التي تمر بنا، بمقتضاها نسير في عملنا، ونواجه النظم الطبيعية والاجتماعية التي تحيط بنا، وتحدد ميولنا نحوها، وتصرفاتنا تجاهها.

ولكل إنسان نظرة في الحياة: في أصلها، وغاياتها، وفي مصير هذا الإنسان، وفي البعث والخلود، وفي الخير والشر..

فهذه أسئلة، لا بُدَّ أن كل واحد قد فكَّر فيها، وانتهى إلى رأي حقًّا كان، أم باطلًا..

فإن قلت: ومن الناس من يقف مترددًا لا يستطيع أن يتبين الطريق.

قلنا: إن الشكاك واللاأدريين من الفلاسفة.

وكل إنسان -في خلال حياته -يقبل نوعًا من الفلسفة عن وعي، أو عن غير وعي؛ إذ إن لكل إنسان أفكاره عن الكون والحياة، وعن دوره في الحياة، وتنشأ هذه الفلسفة عن القراءات والتعليم والتقاليد، وعن دوافع القلب، وهواتف الوجدان.

ولفظ فلسفة مشتق من اليونانية، وأصله: «فيلا -صوفيا» ومعناه: محبة الحكمة، ويطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح.

والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي: الشمول، والوحدة، والتعمق في التفسير والتعامل، والبحث عن الأسباب القصوى، والمبادئ الأولى، ولذلك عرَّفها أرسطو بقوله: إنها العلم بالأسباب القصوى، أو علم الموجود بما هو موجود.

وعرَّفها ابن سينا بقوله: إنها الوقوف على حقائق الإشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه...

وهي كما قال الجرجاني: التَّشبُّه بالآلة بحسب الطاقة البشرية؛ لتحصيل السعادة الأبدية..

أما في العصور الحديثة فإن لفظ الفلسفة يطلق على دراسة المبادئ الأولى التي تفسر المعرفة تفسيرًا عقليًّا كفلسفة العلوم، وفلسفة الأخلاق، وفلسفة التاريخ، وفلسفة الحقوق... إلخ.

أو تطلق على كل معرفة تامة التوحيد..

أو تطلق على مجموع الدراسات المتعلقة بالعقل من جهة ما هو متميز عن موضوعاته، أو من جهة ما هو مقابل للطبيعة.

فإذا دلت الفلسفة على دراسة العقل البشري من جهة ما هو متميز عن موضوعاته -انقسمت إلى قسمين:

١- قسم يشمل البحث عن أصل المعرفة وقيمتها، وفي مبادئ اليقين، وأسباب حدوث الأشياء، وهو ما يحاول كل فيلسوف أن يجيب به عن سؤالنا: ماذا يمكننا أن نعلم؟

٢- قسم يشمل البحث في قيمة العمل، وهو الإجابة عن سؤالنا: ماذا يجب أن نفعل؟

والفرق بين العلم والفلسفة: أن العلم يتقدم، ويتسع نطاقه بازدياد الحقائق التي يحصل عليها، على حين أن الفلسفة تظل محصورة في دائرة واحدة من الحقائق، وإن كانت الصور التي تعبر بها عن هذه الحقائق مختلفة ومتفاوتة.

ولذلك قيل: إن الفلسفة نظرية القيم، وتشتمل على ثلاثة أقسام، وهي:

١- المنطق، موضوعه: البحث في قيمة الحقيقة.

٢- علم الجمال، موضوعه: البحث في قيمة الفن.

٣- علم الأخلاق، موضوعه: البحث في قيمة العمل.

وتسمَّى هذه العلوم الثلاثة بالعلوم المعيارية، وموضوعها: دراسة مظاهر العقل البشري من حيث قدرته على تأليف أحكام القيم.

ولكي نفهم حقيقة الفلسفة ينبغي ألا نفصلها مطلقًا عن مجال المعرفة؛ فالفلسفة لا تشير مباشرة إلى ما هو معرفة، ولكنها تقترن اقترانًا مباشرًا بالمعرفة في كلِّ أبوابها، ولا توجد معرفة لا تكون في نفس الوقت مادة فلسفية.

ولذلك ترتبط الفلسفة بكل المناهج التي تؤدي إلى تحصيل المعرفة، وتتعرض الفلسفة -بالنقد أوَّلًا بأوَّل- لكل ما من شأنه أن يمثل منهجية لتحصيل المعارف، والتحقق منها.

فالفلسفة ليست تعبيرًا، بل نقدًا عقليًّا لمواضيع قد تكون عقلية، وقد لا تكون عقلية، ومن هنا جاءت صعوبتها، فنجد من ميادينها «الميتافزيقيا» بما تشتمل عليه من مشاكل الوجود، والإنسان، والحرية، والحقيقة، والمنطق كوسيلة للتقدم الصحيح، والأخلاق، والنفس، والمجتمع.

إن مختلف الفلسفات هي مواقف، ووجهات تأمل من هذه القضايا التي دوَّخت الإنسان منذ أن جاء إلى هذا العالم...

ومعنى الفلسفة إذن: هو أنها فرع الاهتمام المعرفي المحاط بكل ضرورات، وأدوات، ووسائل الأحكام لطريقة التعبير المعرفي.

يكفي أن تتقدم خطوة صغيرة في مجال الحوار، وتبادل الرأي، ومناقشة معاني الألفاظ، ولتجد نفسك فجأةً وجهًا لوجه أمام أصول ومبادئ المعرفة، وشروط التقدم المعرفي.

ومناهج البحث العقلي، التي تقوم بدورها بالتحقق من كل النتائج، وتقسيم كل أنواع البحث، ووضع كل فكرة بسيطة، أو معلومة في إطارها

المعرفي المختص بها؛ حتى يمضي الفكر كأشمل ظاهرة إنسانية إلى أقصى آماد الخبرة المعرفية، وطرق الاستفادة العملية التابعة لها.

ومن معاني الفلسفة: إطلاقها على الاستعداد الفكري الذي يجعل صاحبه قادرًا على النظر في الأشياء نظرةً متعالية، قادرًا على تقبل طوارق الحدثان بكلِّ ثقة، وسكينة، واطمئنان...

ويمكن أن نفهم معنى الفلسفة:

- أنها نظرة شاملة إلى الحياة في مجموعها..

- وهي من جهة أخرى حل المشكلات...

- وهي من جهة ثالثة: الآراء التي تنتهي إلى العمل والسلوك، ما دامت سُنَّة الحياة، والحركة، والنمو، والإبداع..

والذين يقصرون الفلسفة على التصورات المجرَّدة المنعزلة في الذهن إنما يبعدون الفلسفة عن الحياة.

ولقد كان سقراط فيلسوفًا على هذا المعنى الذي نراه: لم يؤلف كتبًا، ولم يدون رأيًا، ولكنه كان يُعَلِّم الناس في الشوارع والأروقة والملاعب، فكان هو الحكمة الحية، والفلسفة المتنقلة.

هذه الفلسفة الحية، أو فلسفة الحياة، لا نستطيع أن نحدها، أو نعرِّفها؛ ففي كل جيل لها مدلول، وفي كل عصر لها تعريف، وهذا يقتضي النظر في التاريخ لاستقصاء مفهومها مع الزمان..

وغاية الفلسفة: البحث عن الحقيقة بحثًا مطلقًا مجردًا من الغايات، ومعزولًا عن الأحوال العاطفية والاجتماعية والمادية، ويجري البحث على أُسس ثابتة من المنطق، مؤيدة بالبراهين.

إذا قيل: إن كل إنسان يتفلسف فليس معنى ذلك أن كل الناس فلاسفة بالمعنى الاصطلاحي.

فالفيلسوف ليس هو الشخص الذي يبدأ فقط بالتفلسف، وإنما هو الذي يستمر في التفلسف حتى النهاية.

وإذا كان من المسَلَّم به أن كل موجود عامل يفكر، إلا أن الطريقة التي يمارس بها المرء هذا التفكير أمر مختلف عمّا هو الحال في الفلسفة..

فالفيلسوف لا يكتفي بدرجة التفكير التي يمارسها المرء في حياته العملية، وحاجاته الوقتية، ولكنه يفحص نتاج الفكر العادي في محاولة البلوغ إلى وضوح تام، في حين أن الحقيقة في التفكير العادي تكون أمرًا تقريبيًّا معتقدًا، ولذلك تكون قابلة للشك.

ولو لاحظنا أصل الوضع لكلمة فلسفة لقلنا: إن الفيلسوف هو مُحب الحكمة، أو المعرفة... وساغ أن نطلق كلمة «فيلسوف» على كل إنسان ذي عقل.

إذ محبة المعرفة قدر مشترك بين الناس جميعًا تستوجبه فطرتهم، ويتفاوت بمقدار مواهبهم، وحب استطلاعهم...

ألا ترى أن كل إنسان بطبيعته يحب أن يستطلع ما يحس به إن ظاهرًا وإن باطنًا، ويحاول أن يكشف حقيقته، وسر وجوده، وعلاقته بغيره، فهل وجود هذا القدر المشترك بين الإنسان يجيز لنا أن نُعَمِّم إطلاق الفيلسوف، وأن نطلقه على كل إنسان.

نعم، لو لم يكن للفلسفة معنى خاصًا اصطلح عليه المفكِّرون لساغ لنا أن نقول ذلك...

لكن قد اصطلاح الناس على أن للفلسفة معنى خاصًّا، وأنها أصبحت موضوع الخواص الذين يجهدون عقولهم في حلِّ مشكلات الحقائق، ومعميات الكائنات، ويرون أن الحياة كل الحياة في النظر فيها، واستطلاع حقائقها، وسر وجودها.

فالفلسفة بمعناها الاصطلاحي ليست مطلق بحث واستطلاع، والفيلسوف ليس كل من نظر واستطلع.

بل إن الفيلسوف هو الذي صرَفَ هِمَّته ، وأهم أغراضه إلى البحث في حقائق الأشياء، واستطلاع ظاهر وجودها، وعلاقة بعضها ببعض، واتَّخذ ذلك مهنة، فأكسبته تلك المهنة مرونة في عقله، وقدرة على إدراك الأشياء بسرعة لم تكن عند غيره.

وكما لا يطلق اسم الطبيب، أو الصانع، أو الزارع إلا على مَن تدرب على الطب، أو الصناعة، أو الزراعة، واتَّخذ ذلك منهة له.

كذلك لا يطلق اسم الفيلسوف إلا على من صَرَفَ هِمَّته للبحث عن الحقائق، واستطلاع عِللها.

وتدرب على ذلك بعقله الحر من غير تقليد أو تقييد؛ فالفيلسوف: هو ذاك المفكر الذي يؤمن بأن عقل الإنسان يعلو على الإنسان.

فالفيلسوف هو الذي يبحث ويعلل ويعمم، ويراجع مذاهب الفلاسفة، ويصحح ما يراه موضعًا للتصحيح.

وقد يبلغ المفكر مرحلة الحكمة، أو مرحلة التجديف على قدر استعداده، ومن المران العقلي، والقياس المنطقي، ولكنه لا يبلغ درجة الفلسفة إلا إذا اصطنع أسلوب الفلاسفة، وأخضع نفسه لمقاييسهم، وخاض مثلهم في إشاراتهم، وتوصل إلى مرتبة الإحساس بمعنوياتهم..

وقد يكتفي المفكر بأن يتابع شئون المعاش معتمدًا على قوة المنطق وصلابته، وبأن يزاول حِرفة العمل العقلي في المسائل العادية، ولكنه لا يطلق عليه اسم الفيلسوف إلا إذا اتَّخذ من كلام الفلاسفة مقودًا للتعرف على الحقائق، والوقائع، وسلَّم بمنطقهم في الاستناد إلى قيمهم ومفاهيمهم..

فالفيلسوف لا يصبح فيلسوفًا إلا إذا استطاع أن يتَشرَّب روح الفلسفة، وطرائقها في التعبير من ناحية، وأن يقدر الرأي قدره، وأن يعرف للفكرة خطورتها، وأن يعترف فيما بينه وبين نفسه بمهام النظر العقلي، وأهميته من ناحية أخرى.

فالمفكر لا يُسمَّى فيلسوفًا إلا إذا امتاز بأربع خصائص:

١- أن يبحث عن الحقيقة بحثًا مجرَّدًا..

٢- أن يكون بحثه هذا نظريًا شاملًا لمظاهر الوجود كلها..

٣- أن يجري هو في بحثه على أُسس من المنطق المؤيد بالبراهين..

٤- وأن يوجد نظامًا متماسكًا خاصًا به، ثم يستطيع أن يفسر لنا بهذا النظام مظاهر الوجود.

فالفلسفة ميدان مفتوح أمام الجميع، يمكن أن يدرج إليه كل مشتغل بالفكر، على شرط أن يمر بكل أنواع المران الذي يقتضيه التعبير السليم.

وعلى شرط أن يحمل في ذوقه وحسه مسئولية الرأي..

ومن هنا يمكن أن نقسم مراتب الفكر عند البشر إلى ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: هي مرتبة الفكر العادي التي تتمثل، أو تنحصر في انصراف الفرد إلى تدبير أمور حياته العملية، ومعالجة مشاكله اليومية الجارية: أمور معاشه، ومعاملاته، وعلاقاته مع الناس، والإنسان في العادة لا يقف عند هذه المرتبة من الفكر العادي، وإنما تسلمه بالضرورة إلى:

المرتبة ثانية: وهي ما يمكن أن يسمَّى بالفلسفة الخاصة التي تمثل مجموعة المبادئ، والمعتقدات التي ينظر من خلالها الفرد إلى الحياة والأشياء، والتي تمثل أيضًا القواعد التي يعتمدها في سلوكه وتعامله مع الآخرين، وفي تقييمه أو حكمه على الناس والأشياء.

المرتبة الثالثة: وهناك مرتبة ثالثة من التفكير تتعدَّى هذا النطاق، وتلك هي المرتبة التي يحاول فيها الفرد البحث عن تأصيل نظري لهذه المبادئ والمعتقدات، قصد الوصول إلى أُسس ومقومات نظرية تدعمها، وفي هذه المرتبة فقط من الفكر يصبح الإنسان باحثًا في علم الفلسفة.

ولكي يصل الفيلسوف إلى هدفه المنشود من التفلسف لا بُدَّ له على طريق التفلسف من خلوة فكرية؛ لكي يستطيع أن يتمثل العالم الخارجي في ذهنه، مضفيًا عليه نظرة كلية يعود بعدها مرة أخرى إلى هذا العالم يصوغه من جديد، وفقًا لما توصل إليه من نظرة كلية شاملة.

ونظرًا إلى أن الفيلسوف في حاجة ضرورية إلى هذا الابتعاد عن الحياة اليومية الجارية، فإنه يبدو في نظر البعض منعزلًا عن الحياة، ولكن هذا الانعزال الذي يراه البعض في موقف الفيلسوف ليس في الواقع انعزالًا حقيقيًّا.

وإنما الفيلسوف الذي ينشد الوضوح لا بُدَّ له -لكي يصفو فكره، ولكي تتجرد نظرته من شوائب المادة وعلائقها- من ممارسة التفلسف في جوٍّ بعيد عن صَخَب الحياة وضوضائها...

فالفيلسوف الذي لا يهتم كثيرًا بجزئيات المسائل، وإنما يفكر في أمور كلية يغوص إلى أعماقها؛ لكي يتبين جذورها، لا بد له من هذه العُزلة المؤقتة التي ليست أبدًا هدفًا في ذاتها، وإنما هي فقط مجرد وسيلة يستعين بها الفيلسوف على أداء واجبه، وبلوغ هدفه من التفلسف.

ويجدر بنا أن نشير إلى الموقف الفلسفي لأهميته بالنسبة إلى الفلسفة والفيلسوف؛ حيث إنه من الموقف الفلسفي تنطلق النظرة الفلسفية، والموقف الفلسفي ابتعاد عن الحياة الجارية بمشاكلها الجزئية المتعددة وطابعها البليد الرتيب، وثرثرتها الدائمة..

وإذا ما رفض الفيلسوف أن ينساق في تيار الحياة اليومية الجارية؛ لكيلا يضيع مع شتات جزئياتها، ويعميه تعصبها الزائف، فإنه يكون قد وضع اللبنة الأولى في طريق التفلسف، ويصبح الجو مهيئًا أمامه لمعالجة الأمور الكلية التي تكون موضوع الفلسفة.

فالفلسفة كانت -وما زالت- علم الوجود الكلي كما عرفها أرسطو..

والفيلسوف لن يستطيع البحث في الوجود الكلي، ومناقشة الأمور الكلية الشاملة إلا إذا باعد بين نفسه وبين الحياة اليومية الجارية.

وهذه هي الخطوة الأولى من خطوات الموقف الفلسفي..

وهذا الموقف يقتضي من الفيلسوف أن يقوم بعملية رد العالم الخارجي في صورته الجارية إلى الذات.. فرد العالم إلى الذات خطوة ضرورية من خطوات التفلسف لا بد منها؛ ليتسير للفيلسوف البحث في الوجود في صورته الكلية، وهي بمثابة الخطوة الثانية من خطوات الموقف الفلسفي.. ولكن حذار أن نفهم من عملية رد العالم إلى الذات استمراء الحياة الباطنية في الذات، وقطع الصلة بالعالم الخارجي؛ فالإنسان موجود في العالم، ومن المستحيل أن يعزل نفسه عن هذا الوجود الواقعي، وينشئ لنفسه وجودًا خاصًا به، يجتر فيه ذاته، ضاربًا صفحًا عما وعمن حوله.

ومعنى ذلك: أن الفيلسوف بعد أن يردَّ العالم الخارجي إلى الذات يسعى إلى أن يصل بين نفسه وبين الوجود الخارجي، وهذه تكون الخطوة الثالثة من خطوات الموقف الفلسفي.

وعلى ذلك فإن التفلسف يقتضي حركتين متلازمتين من حركات الفكر:

١- حركة يرجع فيها الفكر إلى نفسه في نوعٍ من الخلوة العقلية التي يشحذ فيها قواه، ويخلص إلى ماهيته، ويرفض أن يترك نفسه على سجيتها مع تيار الحياة الجارية.

٢- وحركة أخرى يخرج فيها إلى الواقع؛ ليتفهمه بعد أن يكون قد أملى عليه التأمل العقلي طرائق خاصة في البحث، تجعله لا يحفل إلا بأكثر المسائل عمومًا وشمولًا، وهي الكليات، وبأكثر هذه الكليات كلية هو مبحث الوجود، أو الكون ككل وعلاقة الإنسان به.

ومما ينبغي أن يدرك: أن الشهرزوري الملقب بشمس الدين قد وضع مصنَّفه (نزهة الأرواح وروضة الأفراح) في الفلاسفة والحُكماء وآدابهم، فأفاد الإنسانية كلها.

ويبدو أنه كان على اطلاع واسع، ومعرفة بالفلسفة والفلاسفة؛ لذا يعدُّ الفيلسوف محمد بن محمود الشهرزوري -عند الباحثين- من كِبار الفلاسفة الذين وضحوا المعالم.

ولا شكَّ: أن تقديم هذا الفكر إلى الناس سوف يساهم في ثقافة الانفتاح، والإقرار بالأنا، والمعرفة الصحيحة.

ومما هو واضح: أن الإنسان كلما قرأ ازداد ثقافةً وتسامحًا.

أ.د/ أحمد الرحيم السايح المستشار/ توفيق على وهبة

نص الكتاب المحقق

obeikandl.com

obeikandl.com

الجزء الأول

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله القديم الأزلي، الدائم السرمَدي، المتعالي بجلال أحديته عن أحداق النواظر، المتفرِّد بكمال صمديته عن الأشباه والنظائر، المنزه عن إدراك الأوهام، المسلوب عن ذاته المقدَّسة النورانية صفات الأجسام، الباقي الأبدي مع الدهور والأعوام، فهو الدهر الداهر، العلي القاهر، القدُّوس الطاهر الذي عجزت عن إدراك كُنه حقيقته عقول العقلاء، وتلاشت عن إرادة معرفة ذات ألباب الحُكماء، وأذهان العلماء.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةً أنتفع بها يوم الفزع الأكبر، وتُخرجني عن مضيق الأبدان إلى فضاء المحْشَر.

وأصلي على عباد الله المخلصين وأنبيائه الصادقين صلاة تزلفهم عند الله سبحانه وتعالى بالمرتبة العليا، وتقرِّبهم إلى الأنوار الإلهية والضيا، خصوصًا على المبعوث من صميم العرب العربا، المُنقذ من الضلال والأهوا، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب خير الأنبيا، وأفضل الأتقيا...

صلى الله عليه، وعلى آله الصابرين على البأساء والضراء.

وبعد... فإن تواريخ الحُكماء الأقدمين، والفلاسفة المتألهين من اليونانيين والمصريين، مما يجب على المُتبَصر تحصيله، وعلى الحكيم تعلمهُ وتعليمه، وكذلك معرفة كلماتهم الحكمية، ونوادرهم الوعظية، وسيرتهم الجميلة

المرضية؛ فإن لطالب السعادة الأبدية في الوقوف على ذلك إذا كان الغرض الاقتداء به، والتشبُّه بأفعالهم وأقوالهم، وحركاتهم، وسكناتهم، وسلوك السبيل إلى الله -عزَّ وجلَّ- على آثارهم نعمة عظيمة، وعطية جزيلة، وعِبَرًا كثيرة.

فإنَّ الناظر في أسرار اللاهوت، والمشتاق إلى معاينة أنوار الملكوت، لا ينبغي أن يتقدي بغير أولئك الأساطين، ولا يهتدي إلا بأنوار الحُكماء الفاضلين، والأنبياء المرسلين.

ولا يعول على أحد من أبناء الشياطين ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسبون صنعا﴾ [الكهف: ١٠٤].

فالزمان قد خَلَا عن أمثال هؤلاء الفُضلاء، وصار الخلق كلهم إلا من شاء الله تعالى، مغمورين بجهالة الجُهلاء.

فإنْ كُنت من الطالبين المجدِّين، وأهل العقل المهتدين.. فعليك باتباع آثارهم، والفحص عن حقيقة خبرهم، فمثِّلهم بين عينيك، ولتكن أفعالك وأقوالك صادرة من ذلك المِنْوال، وواردة على ذلك المثال.

لعلك بهذا الاجتهاد تنخرط في سلكهم، وتنتظم في عقدهم، وتقف على الأسرار العظيمة التي قد طُويت بعدهم... ولا يطمع في الوقوف على ذلك كله بغير سلوك خالص، وتجرد بالغ، وانسلاخ عن الدنيا يُشبه انسلاخ الحيَّة عن جلدها.

ونُقدم على التواريخ المفصَّلة مقدمةً، وكلامًا في حقيقة الحكمة والفلسفة، وأحوال الحُكماء اليونانيين، ووصف بلادهم.. وغير ذلك على سبيل الجملة.

من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم

أما في الكلام النبوي الدَّال على تفخيم الحكمة، وتعظيمها فمما ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما أنفق مُنْفق، ولا تصدَّق مُصَّدِّق بأفضل من كلام الحكمة، إذا تكلم به الحكيم والعالم، فلكل مستمع منهم منفعة»[١].

وقال صلى الله عليه وسلم: «نِعم الهدية، ونِعم العطية: الكلمة من كلام الحكمة، يسمعها الرجل المؤمن، ثم ينطوي عليها حتى يهديها لأخيه المؤمن»[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «الحكمة: ضالَّة المؤمن، يأخذها من حيث وجدها، ولا يبالي من أي وعاء خرجت»[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «العلم كثير، فخذوا من كل شيء أحسنه»[٤].

ويُروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا كَمُلَ واحد من أهله قال له: «يا أرسطاطاليس.. هذه الأمة»[٥].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، عن أبي أمامة.

(٢) رواه الطبراني، عن أبي عباس.

(٣) رواه القضاعي وشبلي، كذا في كنوز الحقائق للمناوي: «الحكمة ضالة المؤمن» اهـ.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية عن علي.

(٥) أرسطاطاليس: ٣٨٤- ٣٢٢ ق.م مربي الإسكندر: فيلسوف يوناني، من كبار مفكري البشرية، أهم مؤلفاته: المقولات، والجدل، والخطابة، وما بعد الطبيعة، والسياسة، والنفس، وغيرها.

وذلك وصف له بالحكمة والمعرفة.

وقال صلى الله عليه وسلم: «تفكُّر ساعة خير عند الله تعالى من عبادة سبعين سنة»(١).

والمراد بالفكر: هو ترتيب المقدمات، ونصب الأدلة لإدراك المعقولات.

وقال صلى الله عليه وسلم لحذيفة: «خالط الحُكماء، وسائل العُلماء، وجالس الكُبراء»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام، عن الله تعالى: «مَن زهد في الدنيا أسكن الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه».

قال صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام، عن الله تعالى: «ما زهد عبد في الدنيا، إلا أمطر به مطرًا، وأنبت به نباتًا: أنبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه».

من كلام الإمام علي بن أبي طالب:

وقال: «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه: «روِّحوا هذه القلوب، واطلبوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تَمل كما تَمل الأبدان».

من أقوال الفلاسفة، والحُكماء

قيل: من اتَّخذ الحكمة لجامًا، اتخذه الناس إمامًا.

---

(١) نحوه: رواه الديلمي في الفردوس.

(٢) رواه الطبراني.

وقال «الكِندي»[1]: مَنْ لم يكن حكيمًا، لم يزل سقيمًا.

وقال الجزري: أعظم الحقوق عند الله تعالى: حق الحكمة، فمن جعل الحكمة في غير أهلها، طالبه الله تعالى بحقوقها، ومن طالبه بحقوقها: خَصَمه.

قال الدينوري[2]: الحُكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكر، فانطلقت ألسنتهم بما ليس بينه وبينهم غيره.

وقال ذو النون المصري[3]: الزهد يُورث الحكمة، والحكمة تُورث الصحة.

وآدم وشيث، وإدريس، ونوح، وشعيب، وداود، وسليمان... كلهم حُكماء فضلاء، أنبياء لله تعالى.

وبعضهم له مصنَّفات في الحكمة.

وإذا كانت الحكمة عبارة عن معرفة أعيان الموجودات على ما هي عليه لا غير؛ فالأسماء تختلف بحسب اختلاف طُرق التعليم، فإن أدركها بعضهم

---

(١) الكندي: يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي، أبو يوسف، تُوفي نحو ٢٦٠هـ فيلسوف العرب والإسلام في عصره، وأحد أبناء الملوك من كندة.

(٢) الدينوري: عبد الله عبد الرحمن الدينوري، أبو القاسم، تُوفي حوالي ٣٩٠هـ أديب من رؤساء الكُتَّاب.

(٣) ذا النون المصري: ثوبان بن إبراهيم الأخميمي أبو الفياض، وأبو الفيظي ت٢٤٥هـ أحد الزُّهاد العُبَّاد من أهل مصر.

بزمان يسير من غير تعلم بشري، وكان مأمورًا من الملأ الأعلى بإصلاح النوع الإنساني سُمِّيت «نُبوَّة»، وإن كان بالتعليم والدراسة، سُميت «فلسفة».

ودرجة الحكمة عظيمة، ومنزلتها مفخمة، ولا مرتبة في المعاد عند الله سبحانه وتعالى للجاهل بها.

والقرآن، والحديث، وكلام أساطين المعرفة، وأهل الولاية: مشحون بمدح الحكمة، ووصفها.

والله تعالى وصف نفسه بالحكمة، وفي الحقيقة: الحكيم المطلق هو الله تعالى.

وكل مَن أدرك المعقولات نصيبًا سُمِّي على سبيل التجوز والاستعارة: حكيمًا؛ لدنوِّه من الله تعالى، وتشبهه به، وقُربه منه بالإدراك والعلم الذي هو صفة لله تعالى؛ لأنه إذا لم يكن قُربًا زمانيًّا ومكانيًّا، فهو قُرب معنوي، ودنو إدراكي.

فإذا كانت السعادة الأبدية هو القُرب من الله تعالى ومشاهدة جلاله، ومعاينة كبريائه، وذلك لا يحصل، ولا يتيسر إلا بالحكمة..

فلا شيء أعظم منها، ولا أتم فائدة منها.

obeikandl.com

وقد قال الحكيم الفاضل «سقراط»[1]: إن كل من يحضرنا يزعم أنه حكيم، وإنما «الحكيم» -أيها الرجال- هو «الله» سبحانه وتعالى.

وقد وصف بعض العارفين الحكمة، فقال: النور: جوهرها، والحق: مقصدها، والإلهام: سائقها، والقلب: مسكنها، والعقل: قائدها، والله سبحانه: ملهمها، واللسان: مظهرها.

وروي أيضًا عن بعض الوافدات: أن «عمرو بن العاص قَدِمَ من الإسكندرية على «رسول الله» صلى الله عليه وسلم فسأله: عن ما رأى في الإسكندرية؟ فقال: يا رسول الله، رأيت أقوامًا يتطيلسون، ويجتمعون حلقًا، ويذكرون رجلًا يقال له: «أرسطاطاليس» لعنه الله.

فقال له صلى الله عليه وسلم: **«مه يا عمرو... إن أرسطاطاليس كان نبيًّا، فجهله قومه»**. وهكذا سمعنا والله أعلم بالصواب.

وبالجملة: وصف فضيلة الحكمة والحُكماء، وجلالتها، يحتاج في استيفائها إلى مجلد ضخم، فلنقتصر على هذا القدر.

واعلم أن هؤلاء الحُكماء الذين نريد أن نذكرهم، زعم بعضم أنهم يونانيون، والأظهر أن غالبهم يونانيون، والبعض روميون، والمعتبرون من الفلاسفة يونانيون.

لكن لما كان بلداهما متلاصقين، أوجب ذلك الالتباس في نسبتهما.

---

(١) سقراط «٤٦٩ - ٣٩٩ق.م»: فيلسوف يوناني، وُلِدَ في أثينا وعلم فيها، فأحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره.

وكان اليونانيون في قديم الزمان أُمة عظيمة القدر في الأُمم، طائرة الذكر في الآفاق، فخمة الملوك عند جميع أهل الأقاليم كالإسكندر ذي القرنين، والبطالسة... وغيرهم.

ولم يزل ملكهم متصلًا إلى أن غلبهم عليه الروم... فصارت مملكة واحدة رومية، كما فعلت الفُرس بمملكة البابليين حين استولت عليها، وصيرت المملكتين مملكة واحدة فارسية.

وكانت بلاد اليونانيين في الربع المغربي الشمالي من الأرض، ويحدُّها من جهة الجنوب: البحر الرومي، والثغور الشامية، والثغور الجزرية.

ومن جهة الشمال: بلاد اللّان[1] وماحاذاه من ممالك الشمال، ومن جهة المغرب: تخوم بلاد أمانيا التي قاعدتها مدينة رومية، ومن جهة المشرق: تخوم بلاد أرمينية وباب الأبواب، والخليج المعترض ما بين بحر الروم، وبحر نيطس الشمالي يتوسط بلاد اليونانيين، فيصير القسم الأعظم منها في حيز المشرق، والقسم الأصغر في حيِّز المغرب.

ولغة اليونانيين تسمى الإغريقية، وهي من أوسع اللغات وأجلها وكانت عامة اليونانين صابئة معظِّمة للكواكب، دائنة بعبادة الأصنام، وعلماؤهم يسمون فلاسفة، ومعناه: «مُحب الحكمة»، وهم من أرفع الناس طبقة، وأجل أهل العلم معرفة ومنزلة؛ لما ظهر منهم من الاعتناء الصحيح بفنون الحكمة من العلوم: المنطقية، والطبيعية، والرياضية، والإلهية، والسياسية، وأعظم

(١) اللّان: بلاد واسعة في أرمينيا قرب باب الأبواب (معجم البلدان ياقوت الحموي).

obeikandl.com

هؤلاء الفلاسفة طبقة وقدرًا عند اليونانيين خمسة: فيثاغورث، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطاليس، وأنباذوقلس –على ما قيل- أقدمهم زمانًا... على الترتيب المذكور، وستأتي الأحوال والتواريخ مُفصَّلة.

وأما بلاد الروم فإنها مجاورة لبلاد اليونانيين، ولغتهم مخالفة للغتهم، وتسمى اللاتينية، وحد بلاد الروم من جهة جنوب البحر الرومي الممتد ما بين طنجة إلى الشام، وحدَّها من جهة الشمال بعض ممالك الأمم الشمالية مع الروس، والبرغر... وغيرها من طائفة البحر المغربي الأعظم المحيط المعروف بالأقيانوس، وحدَّها من جهة المشرق تخوم بلاد اليونانيين، وحدَّها من جهة المغرب أقصى الأندلس إلى البحر المغربي المحيط المعروف بأقيانُس.

وكانت هذه المملكة ثلاث قطع: أولها: من جهة المشرق مما تتاخم بلاد اليونانين إلى بلاد أمانِّية، ثم أوسطها بلاد أفرنسه، ثم آخرها بلاد الأندلس في أقصى المغرب، وطرف المعمور.

وكانت قاعدة هذه المملكة مدينة رومية العظمى من بلاد اللاطينية. وكان بانيها رومس، وإليه نُسبت.

وكان بناء رومية قبل «المسيح» بسبعمائة سنة وأربعٍ وخمسين سنة. ولم يزل ملكهم على حاله، حتى غلبهم أغسطس أول ملوك القياصرة.

وأضاف مملكة اليونانيين إلى مملكته، فجعلها مملكة واحدة رومية عظيمة الشأن، طولها من المشرق إلى المغرب نحو مائة مرحلة من تخوم بلاد أرمينية، أعني: قريبًا من سيواس إلى أقصى بلاد الأندلس في المغرب.

وصارت رومية قاعدة هاتين المملكتين إلى أن قام قسطنطين، وبنى مدينته على الخليج، وصارت عوضها قسطنطينة مبنية على بلاد اليونان.

وكان الروم صابئة إلى أن ظهر قسطنطين بدين «المسيح» عليه السلام، فتنصَّروا عن آخرهم، وسرى بعد ذلك في سائر الأمم.

وقد قيل: إن من إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس سنين، ومن إبراهيم إلى المسيح ألفان وخمس وستون سنة.

ومن إبراهيم إلى سنة تسع ومائتين الهجرية، ألفان وتسعمائة وثلاثون سنة، ومن موسى إلى المسيح ألف وخمسمائة وستون سنة.

ومن موسى إلى سنة تسعين ومائتين الهجرية: ألفان وأربعمائة وأربع وثلاثون سنة.

ومن المسيح إلى سنة سبعين ومائتين للهجرة: ثمانمائة وسبعون سنة.

ومن أسقليبوس الأول إلى «إبراهيم» ثلاثة آلاف سنة وثلاثمائة وأربع وسبعون سنة.

ومن المسيح إلى جالينوس سبع وخمسون سنة.

obeikandl.com

فصل

في ابتداء أحوال الفلسفة

واعلم أن الحكمة تُطلب إما للعمل بها، وتسمَّى حكمة عملية.. أو لتُعلَّم فقط، وتُسمَّى علمية.

فمن الحُكماء من قَدَّم العملي على العلمي.

ومنهم مَنْ أخَّره؛ فالقسم العملي: هو عمل الخير، أعني: تهذيب الأخلاق، والعلمي وهو علم الحق، أعني: معرفة أعيان الموجودات.

والقسمان يمكن الوصول إليهما بالعقل الكامل، إلا أن الاستعانة في القسم العملي بغيره أكثر.

والأنبياء أُيِّدوا بأمداد روحانية لتقرير القسم العملي، وبطرف ما من القسم العملي.

والحُكماء تعرَّضوا لإمدادات عقلية تقريرًا للقسم العلمي، وبطرف بطرف ما من القسم العملي.

فغاية الحكيمة أن يتجلى لعقله كل الكون، ويتشبه بالإله الحق سبحانه وتعالى بغاية الإمكان.

وغاية «النبي» -عليه السلام- أن يتجلى لعقله نظام الكون، فيقدر بذلك على مصالح العامة، حتى يبقى نظام العالم، وتنتظم مصالح العباد، وذلك لا

يأتي إلا بترغيب وترهيب، وتخييل... فكلما وردت به أصحاب الشرائع والملك مقرر عند الحُكماء على ما ذكرنا، إلا من أخذ حكمته من مشكاة النبوة، فإنهُ يعتقد كمال درجتهم.

فمن الحُكماء: حُكماء الهند من البراهمة المنكرين للنبوة.

ومنهم: حكماء المغرب، وهم شِرذمة قليلة؛ لأن أكثر حكمتهم طبيات الطبع، وخطرات الفكر.. وربما قالوا بالنبوات..

ومنهم: حكماء اليونانيين والروم، وينقسمون إلى قدماء هم أساطين الحكمة، وإلى متأخرين، منهم المشاءون، وأصحاب الرواق، وإلى متأخرين، وهم حكماء الإسلام.

وذكروا أن أول من ظهر منه الفلسفة، وعُرِف بالحكمة على اختلاف بينهم في ذلك «طاليس» المالطي من حكماء ملطية، فهو أول من تفلسف بمصر، وصار بعد ذلك إلى ملطية، وهو شيخ وبه سُمِّيت فرقة من اليونانيين فلاسفة، فقد كان للفلسفة انتقال كثير.

وقال طاليس: إن أول ما خلق الله تعالى: «الماء»، وتنحل جميع الكائنات إليه، وتوهَّم أن جميع الأشياء من الرطوبة، واستدل على ذلك ببعض كلام «أوميروس»[1] الشاعر مراده بقوله: المبدع الأول: «الماء» أي: هو مبدأ المركبات الجسمانية، لا المبدأ الأول في الموجودات العلوية.

(١) هوميروس «القرن ٩ ق.م» ولد في آسيا، شاعر ملحمي يوناني، نسب إليه المؤلفون اليونان أشعار «الإلياذة»، و «الأوذيسة».

لكنه لما اعتقد أنِ العنصر الأول قابل كل صورة، أي: منبع الصور، فأثبت في العالم الجسماني له مثالًا يوازيه في قبول الصور كلها، ولم يجد على هذه الصفة غير الماء، فجعله المبدع الأول في المركبات، وأنشأ منه الأجسام السموية والأرضية.

وهذا موافق لما في «التوراة» أي: أن مبدأ الخلق جوهر خلقه الله تعالى.. ثم نظر إليه نظرة إلهية، فذابت أجزاؤه، وصارت ماء، ثم بان منه بخار مثل الدُّخان فخلق منه السموات، وظهر على وجه الماء زبد كزبد البحر، فخلق منه الأرض، ثم أرساها بالجبال، وبعض المنابع، وهو تلقى الحكمة من مِشْكاة النبوة، والذي أثبته في العنصر الأول «الذي» هو منبع الصور شديد الشبه باللوح المحفوظ.

والماء على القول الثاني شديد الشبه بالماء الذي عليه العرش: ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧١].

وقال: إن للعالم مُبدعًا لا تدرك العقول صفته من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره، وهو الذي لا يُعرف اسمه، فضلًا عن هويته، إلا من نحو أفاعليه، وإبداعه، وتكوينه للأشياء، فلا ندرك له اسمًا من نحو ذاته، بل من نحو ذاتنا، وأبدع ما أبدع، ولا صورة له في الذوات؛ لأنه قبل الإبداع إنما هو فقط.

فليس هناك جهة؛ ليكون هو ذا صورة، والوحدة الخالصة تنافي هذين الوجهين.

وقال: إن فوق السماء عوالم لا يقدر المنطق أن يصف تلك الأنوار المبدعة، أو يقف على حُسنها، والمنطق، والنفس، والطبيعة وكان بعده.

obeikandl.com

انكسامندرس[١]

الملطي، وكان رأيه أن أول الموجودات المخلوقة للبارئ تعالى الذي لا نهاية له، ومنه كان الكون، وإليه ينتهي الكل... وكان بعده:

(١) انكسامندورس «٦١٠ - ٥٤٧ ق.م» فيلسوف يوناني، علم أن مبدأ الأشياء في جوهر أزلي هو اللانهاية، وقالوا: إنه أول من رسم الخرائط الجغرافية.

obeikandl.com

انكسمانس[1]

الملطي، وكان يرى أن أول الموجودات المخلوقة للباري تعالى «الهواء»، ومنه كان الكل، وإليه ينحل مثل النفس الذي فينا، فإن الهواء هو الذي يحفظه فينا، والروح والهواء يمسكان العالم، والروح والهواء يقالان على منعى واحد قولًا متواطئًا.

(١) انكسامندُرس «٥٥٠-٤٨٠ق.م» فيلسوف يوناني قال: إن الهواء هو أصل الأشياء كلها، وأنه مادة غير متناهية، وإنه جنس النفس البشرية.

obeikandl.com

انكساغوراس[1]

ثم كان بعده «انكساغوراس»، و«فلارما ينوس»، وكان يريان أن مبدأ الموجودات التي خلقها الباري سبحانه هو المتشابه الأجزاء.

(١) انكساغوراس «٥٠٠- ٤٢٨ ق.م» من فلاسفة اليونان الأيونيين، ذكر فلسفته على مبدأ العقل.

obeikandl.com

أرسلاوس بن أبو لوذس

ثم كان بعدهما «**أرسلاوس بن أبو لوذس**» من أهل أثنية، وكان يرى أن مبدأ ما خلق الله تعالى هو ما لا نهاية له، ويفرض فيه التكاثف والتخلخل.. فمنه: ما يصير نارًا، ومنه: ما يصير ماء..

وهؤلاء الفلاسفة بعضهم كان تاليًا لبعض، وبهم استكملت فلسفة اليونانيين.

فهذا هو المبدأ الأول لفلسفة الناشئة بملطية، وأقول: إن الأظهر أن هذا الكلام المنقول عن هؤلاء، وغيرهم من القدماء.. كان رمزًا عن أمور، وأحوال، وأسرار لهم. وإلا فقد نُقل عنهم أشياء لا يقولها من له أدنى تمييز، فضلًا عن الحُكماء الفاضلين.

obeikandl.com

فيثاغورس(١)

وقيل: إن للفلسفة مبدأ آخر هو من «فيثاغورس بن منسارخس» من أهل ساميا، وهو أول من سمَّى الفلسفة بهذا الاسم.

وكان يقول: إن المبادئ التي خلقها الله أولًا هي: الأعداد، والمعادلات التي فيها، وكان يسميها تأليفات.

ويسمي المركب من جملة ذلك إسطقسات، ويسميها أيضًا هندسيات...

وأقول: ليس مراده أن المبادئ عدد، وأن العدد جوهر قائم بذاته، هو مبدأ الموجودات.

بل مراده: أن في عالم العقل ذاوت مجردة هي إنيات محضة قائمة لا في أين، وهي عدديات أي: معدودات؛ لأنه يصدق على الباري أنه أول، وثانيه العقل الأول... وهكذا إلى آخر المراتب، ثم:

---

(١) فيثاغورس «القرن ٦ ق.م» فيلسوف ورياضي يوناني تفرَّغ لـدرس الحكمـة، وإليـه ينـسب تقويم الحساب المعروف.

obeikandi.com

«هيراقليطس»[(١)]، و«أثاليس»

الذي ينسب إلى «ماطانيطس»، وكانا يريان أن مبدأ الأشياء كلها النار، وانتهاؤها إلى النار.. وإذا انطفأت النار تَشَكَّل بها العالم.

(١) هيراقليطس «٥٧٦ - ٤٨٠ ق.م» ولد في أفسس، فيلسوف يوناني قال: إن العالم واحد، ومتعدد، وإن مادته الأولى هي النار.

obeikandl.com

«أبيقورس بن ناونيس»

ثم «أبيقورس بن ناونيس» من أهل أثينة الذي تفلسف في أيامه «ديمقريطس»[1]، وكان يرى أن مبادئ الموجودات أجسام مُدركة عقلًا، لا خلاء فيها، ولا لون لها... وأن «الله» تعالى خلقها سرمدية غير فاسدة، لا تحتمل أن تنكسر وتتهشم، ولا يعرض لها في شيء من أجزائها اختلاف ولا استحالة، ولا هي مدركة عقلًا.. فهي تتحرك في الخلاء والملأ.. إلى أن يشاء الله تعالى، وهذا الخلاء لا نهاية له عنده.

وكذلك الأجسام لا نهاية لها، والأجسام لها التشكل، والعظم، والثقل.

(١) ديمقريطس «٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م» فيلسوف يوناني يرى أن العالم مؤلفًا من ذرات متجانسة في طبيعتها، وأن السعادة تتحقق بضبط أهواء النفس، وهو مؤسس الفلسفة المادية.

obeikandi.com

«أنبادوقليس»

ثم «أنبادوقليس بن هاذين» من أهل (افراغينيا)، وكان يرى أن الإسطقسات التي خلقها الله تعالى أربعة مشهورة، والمبادئ اثنتان: المحبة، والغلبة.

إحداهما: تفعل الاتحاد، والأخرى: تفعل التفرقة.

وقول «هيذار» من أيفا، وليس مراده ما فهمه الحكماء الظاهريون.

ثم «سقراط» من أهل أثينة، ثم «أفلاطون»[1] فإن رأييهما في جميع الأشياء واحد، وهما يريان أن المبادئ ثلاثة، وهي الله تعالى، ثم خلق العنصر، والصورة.

ثم «أرسطاطاليس» من أهل (اسطاغيرا)، ورأيه: إن المبادئ هي الصورة، والعنصر، والعدم، والإسطقسات الأربعة، وجسم خامس هو الإثير، غير مستحيل.

ثم «زينون بن ثاوسادس» [2] من أهل فسطس، وكان يرى أن الأول المخلوق هو العنصر، والإسطقسات: أربعة، وفرقهم سميت انطاليقي؛ لأن

---

(١) أفلاطون «٤٢٧- ٣٤٧ ق.م» من مشاهير فلاسفة اليونان، مؤسس فلسفة نظرية الأفكار، وتلميذ سقراط.

(٢) زينون «٣٣٥- ٢٦٦ ق.م» فيلسوف يوناني، مؤيد مذهب بارمنيوس في أن الكون واحد وساكن، وقال أرسطو: إنه أول من استخدم الطريقة الجدلية.

obeikandi.com

«فيثاغورس» كان مقيمًا بأنطاكيا؛ لأنه انتقل من سامس التي كانت موطنه بسبب تغلب المتغلب، ولم نورد مقالتهم الشنيعة؛ لأنها مذكورة في الكتب.

وذكر «محمد بن يوسف العامري»[1]، وكان ممن شاخ في الفلسفة في كتابه المسمى بكتاب (الأمد على الأبد) أن أول الحكماء «لقمان»: تلميذ «داود» عليه السلام.

وكان «انبادوقليس» تلميذه، إلا أنه لما عاد إلى بلاد يونان، تكلم في خلقه العالم بأشياء، فوجدت ظواهره قادحة في أمر المعاد، فهجره بعضهم على ما هو دأب العوام من الفُضلاء.

وكان اليونانيون يصفونه بالحكمة لمصاحبته «لقمان»، بل هو أول من وُصِفَ منهم بالحكمة.

ثم وُصِفَ بعده بالحكمة: «فيثاغورس»، وقد اختلف بمصر إلى أصحاب «سليمان بن داود» عليهما السلام حين جَلَوا عن الشام، وكان قد تعلم الهندسة قبلهم من المصريين، وتعلم العلوم الطبيعية والإلهية أيضًا من أصحاب «سليمان»، ونقل العلوم الثلاثة، أعني: العلم الرياضي، والطبيعي، والإلهي إلى بلاد يونان.

ثم استخرج بذكائه علم الألحان، وأوقعها تحت النسب العددية، وأدعى أنه استفاد ذلك من (مِشْكاة النبوة)، ثم «سقراط» أخذ الحكمة عن

---

(١) محمد بن يوسف العامري النيسابوري، أبو الحسن، «تُوفي عام ٣٨١هـ»، عالم بالمنطق والفلسفة اليونانية، من أهل خراسان.

«فيثاغورس»، واقتصر من أصنافها على المعالم الإلهية، وأعرض عن ملاذ الدنيا، وأظهر الخلاف على اليونانيين في الدين، وقابل رؤساء ذوي الشرك بالحجج والأدلة، فثوَّر العامة عليه، وألجئوا ملكهم إلى قتله (على ما سيأتي ذكره مُفصَّلًا).

ثم «أفلاطون»، وقد رافق سقراط؛ لاقتباس الحكمة، إلا أنه لم يقتصر على المعالم الدينية، بل جمع إليها العلوم الطبيعية والإلهية والرياضية، وفي الأخير فوَّض التعليم والمدرسة إلى البارعين من تلاميذه، وتخلى عن الناس لعبادة ربه تعالى.

وفي زمانه: ظهر الوباء في بلاد اليونان، فأمرهم بعض «أنبياء» بني إسرائيل بإذن الله تعالى بتضعيف مذبح كان لهم على شكل المكعب، ويرتفع الوباء فابتنوا آخر مثله، وأضافوه إليه.. فازداد الوباء، فعادوا إليه.

فأوحى «الله» تعالى إليه: بأنهم ما ضعفوه، بل قرنوا إليه آخر مثله، وليس هذا بتضعيف المكعب، فاستعانوا حينئذٍ «بأفلاطون»، فقال لهم: إنكم متأخرون عن الحكمة، وتنفرون عن الهندسة..

فابتلاكم «الله» تعالى بالوباء عقوبة لكم؛ فإن للعلوم الحكمية عند «الله» تعالى مقدارًا.

ثم ألقى على أصحابه بأنه متى أمكنكم استخرج خطين بين خطين على نسبة متوالية، توصلتم إلى تضعيف ذلك المذبح، فلا حيلة غيره.

فعملوا على استخراجه، وتمموا العمل بتضعيفه، فارتفع الوباء، فأمسكوا عن ثلب الهندسة، وغيرها من المعالم العقلية.

ثم «أرسطو»، وكان يسمَّى في حداثته الروحاني؛ لفرط ذكائه، وكان «أفلاطون» يسميه العقل، وفي أيامه استتب الملك لـ«ذي القرنين»[١]، وانقمع به الشِرك في بلاد اليونان.

فهؤلاء الخمسة كانوا يوصفون بالحكمة، وليس بعد هؤلاء حكيم يُسمَّى بها.. بل كل واحد ينتسب إلى صناعة مثل: «أبقراط»[٢] الطبيب، و«أميروس» الشاعر، و«أرشميدس»[٣]، المهندس، و«ديوجانس الكلبي»[٤]، و«ديمقريطيس»[٥] الطبيعي.

(١) ذو القرنين: في القرآن: لقب ملك عادل، ورد ذكره في سورة الكهف بالآيات (٨٣، ٨٦، ٩٤)، ويراد به: «الإسكندر المقدوني»، والقرنان: كناية عن السلطان «٣٥٦- ٣٢٣ ق.م».

(٢) أبقراط «٤٦٠- ٣٧٠ ق.م»: طبيب يوناني يعرف بأبي الطب، درس بأثينا، وفصل الطب عن الخرافات والغيبيات، وأقامه على أساس علمي، فكان له أعمق الأثر في تقدمه.

(٣) أرشميدس أو أرخميدس: «٢٨٧- ٢١٢ ق .م» رياضي يوناني.

(٤) ديوجانس الكلبي «٤١٣- ٣٢٧ ق.م»: فيلسوف يوناني، احتقر الفن والتقاليد والناس، قضى حياته في برميل، وكان يدعو إلى البساطة.

(٥) ديمقريطس «ح ٤٦٠- ٣٧٠ ق.م» فيلسوف يوناني، يرى أن العالم مؤلفًا من ذرات متجانسة في طبيعتها، لكنها مختلفة حجمًا وشكلًا ووزنًا، ولا تدرك بالحواس، ويعتبر مؤسس الفلسفة المادية.

قال: وقد تعرَّض «جالينوس»[(١)] لما كثرت مصنفاته في الحكمة أن ينتقل عن لقب «الطب».. إلى لقب «الفلسفة والحكيم».. فهزئوا به، وقالوا له: عليك بالمراهم، والمسهلات، وعلاج القروح، والحميات...؛ فإنه من شهد على نفسه بأنه شاكٌّ:

في العالم: أقديم هو؟ أم محدث؟

وفي المعاد: أحق هو أم باطل؟

وفي النفس: أجوهر هي أم عرض؟

لمنخفض الدرجة عن أن يسمى حكيمًا..

فهذا هو كلام «العامري».. ثم ذكر علماء السير أنه أنشأ بعد هؤلاء جماعة سلموا الأصول الصحيحة لمن تقدمهم، ثم اشتغلوا بتصفح الجزئيات؛ لتصبح لهم صناعة ما..، فاقتصروا بالنظر على تلك الآراء المحسوسة، وأخذوا أكثر براهينهم عن الأوائل.

فهم -وإن كانوا فاضلين- ليس لهم قوة على تحقيق أصول صناعتهم، أي: مبادئها مثل: «جالينوس»، و «بطليموس»[(٢)]، وأمثالهما.

---

(١) جالينوس «١٣٠ - ٢٠٠»: طبيب وكاتب يوناني، ينسب إليه خمسمائة مؤلف، أغلبها في الطب، أضاف الكثير إلى المعرفة بالمخ والأعصاب، والحبل الشوكي، والنبضي.

(٢) بطليموس كلوديوس «نحو ٩٠-١٦٠»: فلكي وجغرافي يوناني، نشأ في الإسكندرية، له مؤلفات (المجسطي)، و(جغرافيا بطليموس).

obeikandi.com

فكل واحد اشتغل بالتجربة، وحكاية أصحاب التجارب، واستعمل القياس بتسليم الأصول والمقدمات التي بنى عليها.

و«**جالينوس**» أتعب نفسه حتى صنَّف كتابًا فيما يعتقد، واعترف بالجهل والتقصير والحيرة فيما أتعب الحكماء به أنفسهم، حتى قال «**الإسكندر الأفروديسي**»[1] في حقِّه: إن «**جالينوس**» غرم ثمانين سنة من عمره، حتى حصل على الإقرار بأنه لا يعلم.

وأما في الفروع الطبية، فلا كلام في تبريزه فيها، ولم يبلغ الدرجة العالية من الحكمة.

وأما «**أفلاطون**»، و«**سقراط**»، و«**فيثاغورس**»...، وغيرهم من الأوائل، فإن كتبهم وكلامهم مملوء بالرموز والألغاز...، وكانوا يفعلون ذلك لثلاثة وجوه:

أحدها: الكراهة؛ لئلا يغوص على أسرار الحكمة أحد مما ليس لها بأهل، فتصير عدة له على اكتساب ضرب من الشرارة.

والثاني: ألا يتوانى العاشق لها في بذل العناية لاقتنائها، وإن لحقته المشقة في تحصيلها، ويستصعبها الإنسان الكسلان لغموضها فيزدريها..

والثالث: تشحيذ الطِباع باستكداد الفكر؛ لئلا يجنح المتعلم إلى طيب الدعة، وروح النفس، ويقبل بجهده على تفهيم ما ينفر عنه.

---

(١) الأفروديسي: إسكندر عاش في أواخر القرن الثاني حتى أوائل القرن الثالث للميلاد، فيلسوف يوناني مشائي، تتلمذ في الفلسفة على أرسطوطاليس.

وذكر «فورفوريوس»[1]: إن «طاليس» الملطي ظهر في سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك «بُخْتنصر»[2]، وغلبة «خسرو بن دارا»[3] على مدينة أثينة، والروم، وفي زمانه: كان مقتل «بختنصر» أميرًا من أمراء بهراسب (وماني)، كان في عهد «سابور بن أردشير»[4] النبي عليه السلام في فلسطين، ونجم في زمانه «ديموقريطس»، و«انكساغوراس» في اليونان بالفلسفة.

وفي ملك «بَهمَن» الفاضل ظهر «ديموقريطس»، و«أبقراط»، وشهر «أبقراط» بالطب.

وفي ملك «دارا بن أردشير»: عرف اليونانيون كتابتهم التي هي على أربعة وعشرين حرفًا، ولم يكن لهم قبل ذلك إلا ستة عشر حرفًا واستخرجت على التدريج، كل واحد منهم استخرج أربعة، أو أكثر.

وفي ذلك الزمان وُلِد «أفلاطون»، وفي سنة ست عشرة من مُلك «أردشير بن دارا» كان «أفلاطون» حَدَثًا، متعلمًا، يتتلمذ «لسقراط».

ومات «سقراط» بعد أن مَهَر «أفلاطون» في الفلسفة، فقام مقامه، وأظهر فلسفته وتعاليمه، وجلس على كرسيه.

---

(١) فورفوريوس «٢٣٣- ح ٣٠٤»: أحد فلاسفة الأفلاطونية الجديدة، تتلمذ على أفلوطين «٢٠٥- ٢٧٠م»: مؤسس الأفلاطونية الجديدة، وشرح فلسفته، ونشر كتابه (التاسوعات)، أهم آثاره: (إيساغوجي).

(٢) لعله: نبوخذ نصر الثاني: «القرن السادس قبل الميلاد» ملك بابلي.

(٣) خسرو أنوشروان: ملك ساساني (٥٣١- ٥٧٩).

(٤) شابور الأول «ت ٢٧٢»: ملك فارس، ابن أردشير الأول.

وفي أول سنة من مُلكه: ولد «أرسطاطاليس»، فلما أتت عليه سبع عشرة سنة، سلَّمهُ أبوه إلى «أفلاطون»، فمكث يعلمه نيفًا وعشرين سنة.

وفي زمن «أردشير الثاني»[1] ملك على بلاد (مقدونيا) من بلاد اليونانيين «فيليبس أبو الإسكندر»[2].

وفي سنة ثلاث عشرة من ملك «أردشير» هذا: وُلِد «الإسكندر»[3]، ولسنتين بقيتا من ملك «أرسخو» مات أفلاطون، وفي زمانه أُحصر في مدينة رومية من الناس، فمكثوا في الإحصار ثلاث سنين.. ثم كَلُّوا، وأعياهم الحساب والعد، فأمسكوا.

وفي زمان «دارا» [4]: آخر ملوك فارس، تملك «فيليبس» والد «الإسكندر» على بلاد اليونانيين، وصالح «دارا» على خراج يؤديه.

---

(١) أردشير الثاني: ملك بلاد الفرس «٣٧٩- ٣٨٣م» من الأسرة الساسانية، كان حاكم مقاطعة في عهد شاه بور ٢، ثم خلفه على العرش.

(٢) فيليبس، أبو الإسكندر الكبير «٣٨٢- ٣٣٦ق.م»، ملك أخضع كل المدن اليونانية.

(٣) الإسكندر الأكبر «٣٥٦- ٣٢٣ ق.م»: ملك مقدونيا، ابن فيليب الثاني، تتلمذ على «أرسطو».

(٤) دارايوس الثالث: ملك فارس (٣٣٥- ٣٣٠ق.م): هزمه الإسكندر في إيسوس (٣٣٣ق.م)، وفي كوكميلة قرب إربل عام (٣٣١ ق.م) قتله قواده، فانقرضت بموته سلالة الأخمينيين.

وهلك «فيليبس» -بعد هذا- في السنة الخامسة من ملك «دارا»، وذكر «إبراهيم النديم»[1]: في تاريخه ما يدل على أن «جالينوس» كان بعد زمان «عيسى» -عليه السلام- وهو ما ذكرناه سالفًا.

ثم قال أيضًا: إن جمهور الناس لا يمكنهم أن يفهموا شيئًا من سياق الأقاويل البرهانية، ولذلك صاروا يحتاجون إلى رموز ينتفعون بها..

يعني: رموز الأنبياء عليهم السلام، فهم ينتفعون بها منفعةً ليست باليسيرة من التصديق بأشياء بغير برهان، وإلا فما كان يفهم البدوي الجِلف، والعِبراني الكثيف الصرف الأشياء عند التصريح بها، بل ربما من كان يجحد.

ونجم «فيثاغورس» في زمان «دارا الثاني»، قال: وقد افتتح ملوك فارس كور اليونانيين والروم، وغلبوا عليها، وعلى مدن كانت معادية لكُتبهم المشتملة على الحكمة كالجزيرة، والشام، ومصر...، وغيرها.

فأخذوا ما كان فيها من كُتب الحكمة، والنجوم، والهندسة، والموسيقى، والحيل، وأهدى من الكتب «غوردمانوس» ملك الروم لشابور، وذي الأكناف.

ولذلك تهيأ في الفُرس من أبدع آلة العود العجيبة الغالية جميع آلات الموسيقى، والذي استخرجه لم يذكر اسمه مخافة أن ينسبوه إلى اللهو واللعب والبطالة.

---

(١) إبراهيم الموصلي، إسحاق إبراهيم بن ماهان المعروف بالنديم (ح ٧٤٣- ٨٠٤): فارسي المتنسب، وهو ركن من أركان الغناء العربي في عصر الدولة العباسية.

ولم تكن هذه الآلة في زمن «بطليموس»، و«نيقوماخس»[1]؛ لأنهما لم يذكراها في كتابيهما.

وقال: وبطليموس لم يكن في عصره ببعيد عن ابتداء عصر «أردشير بن بابل».

وأما علم النجوم، فابتداؤه كان من (بابل)، من جهة «الكلدانيين»، وذلك قبل زمان «إبراهيم»-عليه السلام- ، وسببه: إقبالهم على صناعة الفلاحة والملاحة، وهما لا يستغنيان عنهما، وكان يعينهم على ذلك صفاء الجو في بلادهم، ولطافة طباعهم، وذكاء أذهانهم، وخفة أرواحهم.

وأما الهندسة، فابتداؤها من مصر بسبب احتياجهم إليها؛ لأجل النيل، والمزارع، وكسح النيل عن مزارعهم في كل سنة.

وأما اللحون...، فأول من أبدعها: قوم من اليونانيين يقال لهم: «ثامس»، فيما بين قسطنطينية وصقلية؛ لكثرة ما نالهم من الحروب، فوضعوا أداتين:

إحدهما: للجرأة، وتحريضهم على لقاء عدوهم، وإزالة الجبن عن صدورهم بالألحان القادحة لنار الغضب المهوِّنة للنوب.

والأخرى: لترهيب قلوب أعدائه، وتشويش عقولهم، وتوليه فكرهم بالألحان المجزعة المؤدية إلى النكول.

وأما علم الحساب، فأول من فتَّقه (أهل فوتيقي) أعني: أهل (حِمص)، ومن يليهم؛ لأنهم كانوا تجارًا مسافرين، يحتاجون إلى الحساب.

---

(١) نيقوماخس «١٤٩- ٩١ ق.م» مؤسس نيقوميديا.

وأما علم الطبائع، فمن (الشام)؛ وسببه أن الوباء كان يكثر بنواحيهم، ويعم... فاضطروا إلى الاستعانة بالقوى الطبيعية.

وذكر «**أبو سهل بن توبخت**»، في كتاب (**النهمطان**) أنه قد كثرت صُنوف العلوم، وأنواع الكتب، ووجوه المآخذ التي اشتقَّ منها ما تدل عليه النجوم.. مما هو كائن منها قبل ظهورها على ما وصف أهل (بابل) في كتبهم، وتعلم أهل مصر منهم، وعمل به أهل الهند في بلادهم على ما كان الخلق عليه قبل مقارفتهم المعاصي، وارتكابهم المساوئ، ووقوعهم في لجج الجهالات.. فإن ذلك قد بلغ بهم –على ما ذُكِر في الكُتبِ القديمة الغاية– حتى صاوروا حيارى ضُلَّالًا، لا يعرفون شيئًا.

فلم يزالوا على ذلك حينًا من الدهر...، حتى نشأ من ذراريهم وأعقابهم من أُيِّد بالتذكر لتلك الأمور، والفطنة لها، والمعرفة بها، والعلم الماضي من أحوال الدنيا من شأنها، وسياسة أولها، والمستأنف من تدبير أوسطها، وعاقبة آخرها، وحال سُكانها، ومواضع أفلاك سمائها، وأبراجها، ومنازلها...، وجميع أنحائها، وذلك على عهد «جم»[1] الملك.

وعرفت العلماء ذلك، ووضعوه في الكتب، وأوضحت ما وضعت منه، ووصفت مع وصفها ذلك الدنيا وجلالها ومبتدأ أحبابها، وتأسيسها، وحال العقاقير والأدوية.

---

(١) جم ابن السلطان العثماني محمد الثاني الفاتح «١٤٥٩– ١٤٩٥»: تُوفي في نابولي.

وكانوا على ذلك بُرهة من الدهر... حتى ملك «**الضحاك بن مي**» في حصة المشترى، ونوبته، وسلطانه...، فبنى مدينة اشتق اسمها من اسم (المشترى)، فجمع فيها العلم والعلماء، وبنى بها اثني عشر قصرًا على عدد بروج السماء..، وسمّاها بأسمائها، وخزَّن فيها كُتب أهل العلم، وأسكنها العلماء.

فانقاد لهم العالم، ودبَّروا أمورهم، منهم: «**هرمس البابلي**»، و«**تنكلوشا**»، و«**طنقورس**»..، وغيرهم من الأفاضل...، وما زالوا على أحوالهم مقيمين إلى أن بعثَ الله تعالى «**نبيًّا**» في زمانهم، فأنكروا نبوته، فاختلطت أحوالهم، وتشتت أمورهم، وقام كل عالم منهم إلى بلد يسكنه، ويترأس عليه.

فسقط «**هرمس**» إلى مصر، وكان من أعلمهم، وأعقلهم... فملكها، وعمَّرها، وأظهر علمه فيها.. وبقي جل ذلك ببابل إلى خروج «**الإسكندر**»، فهدم تلك العمائر، وأخذ من العلم من المنقوش فيها، واستنسخ ما احتاج إليه من النجوم والطب والطبائع، وبعث بها إلى أرض مصر.

وبقيت أشياء بناحية (**الهند**)، و(**الصين**)، وكانت الفُرس قد نسختها على عهد نبيهم «**زرادشت**»[1]، و«**جاماسب**» حذرًا منهم من فعلة «**الإسكندر**»، وغلبته على بلادهم، وإهلاك ما قدر عليه من كُتبهم وعلومهم، فدرس العلم حينئذٍ بالعراق، وقلَّ وصار الناس أصحاب عصبية وفرقة، وصار لكل طائفة منهم ملك، فسُمُّوا ملوك الطائف.

---

(١) زاردشت «ت نحو ٥٨٣ ق.م»: نبي الفُرس الأقدمين، ومصلح ديانتهم الأولى، من أتباعه الأخمينيون، والساسانيون.

ولم يزل أهل (بابل) مقهورين مغلوبين إلى أن ملك «أردشيرَ بنِ بابل» من نسل (ساسان) فجمع أمرهم، وأعلى كلمتهم، فبعث إلى (الصين)، و(الهند)، و(الروم)، فجمع من العلوم والكتب ما قدر عليه، وفعل ابنه «سابور» بعده مثل ذلك، وكتب الكتب بالفارسية على ما كان «هرمس البابلي»، و«دورينوس» السرياني، و«قندورس» اليوناني من أثينية، و«بطليموس» الإسكندراني، و«فرماسب» الهندي...

فشرحوها، وعلّموها الناس على مثل ما كان قد أخذوا من جميع تلك الكتب التي كان أصلها من بابل، ثم جمعها وألّفها.

وكذلك فعل «كسرى أنوشروان»[(١)] بعدهما؛ لمحبة العلم والعمل، ولأهل كل زمان ودهر تجارب حادثة، وعلم محدد لهم على قدر الكواكب والبروج الذي هو ولي تدبير الزمان بأمر الله تعالى.

قال «أبو معشر»[(٢)] في اختلاف الزيجات: إن ملوكَ الفُرس بلغوا -في عنايتهم- بصيانة العلوم، وحِرْصِهم على بقائها على وجه الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجو، وآفات الأرض -أن اختاروا لها من الورق أصبرها على الأحداث، وأبقاها على الدهر، وأبعدها عن التعفن: لحاء شجر الخذنك، ويُسمَّى التوز.

---

(١) كسرى أنوشروان «٥٣١- ٥٧٩» ملك ساساني، ابن قباذ، احتل أنطاكية، اشتهر بعدالته وإصلاحاته.

(٢) جعفر بن محمد بن عمر البلخي، أبو معشر «تُوفي عام ٢٧٢هـ»: عالم فلكي مشهور، كان يعرف «عن الغربيين في العصور الوسطى».

وبهم اقتدى أهل الصين والهند ومن يليهم والأمم، واختاروها لقبيهم؛ لصلابتها وملاستها، وبقائها على القسي.

ثم طلبوا لها بعد ذلك من بِقاع الأرض، وبلدان الأقاليم -أصحَّها تربة وأقلَّها عفونة، وأبعدها من الزلال والخسوف، وأبقاها على الدهر بناءً.

فلم يجدوا أجمع لهذه الأوصاف من (أصفهان)، ثم فتشوا عن بقاع هذا البلد، فلم يجدوا أفضل من (رستاق جي)، فجاءوا إلى «قهندر»، وهو في داخل المدينة المسمَّى بجي، فأودعوه علومهم، وقد بقي إلى زماننا هذا، وهو يسمى سارويه.

ومن هذه البنية درى الناس من بناها؛ لأنه قبل زماننا هذا بسنين كثيرة انهدمت من هذه ناحية، وظهروا فيها على أزج معقود من طين الشقيف في كُتب كثيرة من كُتب الأوائل، مكتوبة في لِحاء التوز، مودوعة أصناف علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة، فوقع بعضها إلى من عُنِي به فقرأه، فوجد فيها كتابًا لبعض ملوك الفُرس المتقدمين أن «طهمورث»: الملك الفاضل، المحب للعلوم وأهلها كان قد انتهى إليه خبر الحدث المغربي الذي كان من جهة الجو في تتابع الأمطار هناك، وإفراطها في الدوام والغزارة، وخروجها عن الحد، وأنه كان من أول يوم من سنِّي ملكه إلى أول يوم من بدء هذا الحدث المغربي مائتان وإحدى وثلاثون سنة وثلاثمائة يوم، وأن المنجِّمين كانوا يخوِّفونه من أول ابتداء ملكه بعد هذا الحدث المغربي إلى ما يليه من جانب المشرق.

فأمر المهندسين بإيقاع الاختيار على أصحِّ البقاع، فاختاروا لها موضع البنية سارويه، وهي قائمة إلى الساعة، فأمر ببنائها، ونقل إليها علومًا كثيرة مختلفة الأجناس، وأنه كان فيها كتاب منسوب إلى بعض الحُكماء المتقدمين فيه سنون وأدوار معلومة؛ لاستخراج أوساط الكواكب، وعِلل حركاتها، وكانوا يسمونها أدوار الهزارات.

وجميع القدماء من الهند والكلدانيين -وهم سكان بابل- كانوا يستخرجون الأوساط من هذه السنين، والأدوار.

واستخرج المنجِّمون منه -في ذلك الزمان- زيجا سمُّوه زيج الشهريار، ومعناه: ملك الزيجات، فهذا لفظ «أبي معشر».

ويقال: إن الصاحب «ابن العميد» وجد في سور هذه المدينة صناديق فيها كُتب، فأنفذها إلى بغداد، وكانت باليونانية فاستخرجها بعضهم، ويقال: إن «سارويه»: من الأبنية العجيبة القديمة المعجزة البناء، وهي في المشرق تشبه الأهرام التي بمصر في الجلالة، وإعجاز البناء.

ويقال: إن المنطقَ والحكمة التي ألَّفها، وهذَّبها «أرسطاطاليس»: أصل ذلك مأخوذ من خزائن الفُرس حين ظفر «الإسكندر» بـ«دارا» وبلادهم، وأنه ما قدر «أرسطو» على ذلك إلا بمدد كُتبهم ومعاونتها.

ولا شك، ولا خفاء عند من أدرك طرفًا من الأمور الشريفة، والحكمة الصحيحة في مقدار حكمة فارس وشرفها.

وكانت فيهم ملوك أفاضل مثل: «كيومرث»، و«طمهورث»، و«أفريدون»، و«أردشير بن بابل»، و«كيخسرو».. وغيرهم من الملوك العارفين بحقيقة الحكمة.

ومثل: «جاماسب»، و«فرشاوس»، و«بزر جمهر».. وغيرهم من الأجِلَّة، والحُكماء الأعزَّة.

لكن من دأب الأمور الإلهية، والأحوال السماوية أن تنتقل الحكمة، والملك من جيل إلى جيل، ومن قوم إلى قوم...، فسبحان الأزلي الأبدي الدائم، غير المتغير على مَرِّ الدهور والأعصار.

ويقال: كانت الحكمة في قديم الزمان ممنوعًا عنها إلا من كان من أهلها، ومن يتقبلها طبعًا.

وكان الحكماء تنظر في مواليد من يريد الحكمة والفلسفة، فإن علمت أن في مولده حصول ذلك استخدموه، وإلا فلا.

وكانت الفلسفة ظاهرة قبل «المسيح» عليه السلام في اليونانيين، فلما تنصرت الروم منعوا عنها، وأخرجوها وأحرقوها، وحَرَّموا الكلام فيها؛ إذ كانت في الظاهر ضد الشرائع النبوية.

ثم إن «الروم» رجعت إلى مذاهب الفلاسفة، وكان السبب في ذلك ملك الروم (أيوليانس)، وكان ينزل «باسطيوس»: بإنطاكية شارح كتب «أرسطو».

ثم لما قصده «سابور ذو الأكتاف»، وظفر به، سار إلى أرض العجم.. حتى بلغ «جنديسابور» فحاصرها، وصعب عليه فتحها.

ثم إنَّ «سابور» تخلص من سجن الروم، وطوى البلاد...، حتى دخل «جنديسابور»، وخرج بمن فيها إلى الروم، فهزمهم، وقتلوا «أيوليانس».

وولى عوضه «قسطنطين»[1] الأكبر، فعاد المنع من الاشتغال بالفلسفة.

وبالجملة: بحسب رغبات الملوك والأمراء والأكابر... تظهر الحكمة والفلسفة.

وبحسب نُفرتهم عنها، وعدواتهم لها تختفي...، وهكذا دأب الدنيا أبدًا وأزلًا.

فهذا خبر الحكمة والحكماء على الإجمال...، وستأتي الأحوال مُفصلة إن شاء الله تعالى.

وأما سبب ظهور الفلسفة في المِلَّة الإسلامية، فبسبب مصاحبة بعض الأكابر قومًا من الفلاسفة العارفين باللغتين، أعني: اليونانية والعربية، ونقلهم شيئًا من الكلمات الحكيمة، والكتب من اليونانية إلى العربية.

فأول نقل كان في الإسلام..، كان في زمن «بني أُمية»، وذلك أن «خالد بن يزيد»[2]؛ لِهَوسٍ كان له في الصنعة، أمر بنقل الكتب التي في الصنعة، وهو

---

(١) قسطنطين الأكبر، ابن مسطنتيوس كلورس «نحو ٢٨٠- ٣٣٧»، إمبراطور روماني أسس القسطنطينية.

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي، أبو هاشم «تُوفي عام ٩٠هـ»: حكيم قريش، وعالمها في عصره.

أول نقل كان في الإسلام، ونقل الديوان من الفارسية إلى العربية في زمن «الحَجّاج»[(١)].

فأما الديوان بالشام، فكان بالرومية، فنقله «منصور بن سرجون»، في زمن «هشام بن عبد الملك»[(٢)].

ونُقل في زمن (بني العباس) على التدريج في كل وقت بعض الأشياء، وكان «المأمون»[(٣)] أصلًا عظيمًا في ذلك.

ويقال: إنه رأى في المنام شيخًا يميل وجهه إلى الشُّقرة، عليه ثياب منسوجة بالذهب، جالسًا على سدَّة قال: فهبته إلا أني مع ذلك دنوت منه، فقلت له: من أنت؟

فقال: أنا أرسطاليس الحكيم، قال: فقلت له: إني أسألك عن أشياء.

فقال: سَل.

فقلت له: ما الحَسَن؟

فقال: ما حَسُن عند العقل.

قال: فقلت له: ثم ماذا؟

---

(١) الحجَّاج بن يوسف الثقفي «٤٠ – ٩٥هـ»: قائد داهية خطيب.

(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان «٧١ – ١٢٥هـ»: من ملوك الدولة الأموية في الشام.

(٣) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، المأمون العباسي أبو العباس «١٧٠ – ٢١٨هـ»: سابع الخلفاء من بين العباس في العراق، وأحد أعاظم الملوك في سيرته وعلمه وسعة ملكه.

obeikandl.com

فقال: ما حسُن عند الشرع.

قال: ثم قلت له: ثم ماذا؟

قال: ما حسُن في العرف..

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم لا.

ثم قال: ما كان في المذهب، فليكن عندك الذهب.

فلما استيقظ، اعتقد في جميع أنواع علوم الحكمة، فجمع النقلة، وفتح دار الحكمة، وأطلق الجرايات والوظائف على أن ينقلوا العلوم الحكمية إلى العربية.

وأنفذ رسولًا إلى ملك الروم يطلب كُتب الحكمة، فسير له جُملة من الكتب، وكذلك فعل (بنو موسى).

وكثر –بعد ذلك الطلب– حتى كان بعضهم يذهب إلى الروم، ويبذل الأموال، ويطلب الكتب، وينقلها إلى العربية.

- أول الحكماء:

أول الحكماء «آدم» أبو البشر صلوات الله تعالى عليه وسلامه..، فكان في أول الدور الأول بعد خراب الربع المسكون بالطوفان، وهو أول من استخرج الصنائع وآلاتها، وعلَّمها أولاده.

obeikandi.com

واستخرج أيضًا العلوم، ودَوَّنها لأولاده، ورأيت بعض كُتبه في التعفينات، وبعض الصنائع والعلوم.

وعُلِّم الأسماء المذكورة في قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾[البقرة: ٣١].

وعاش دهرًا طويلًا..، وكان رجُلًا فاضلًا، وعظيم القَدر، جليل الشأن...، أول «أنبياء الله» تعالى، «ورسله» عليهم الصلاة والسلام.

ثم ولده «شيث» عليهما السلام، وهو «أوريا» الأول، وهو أيضًا **«أغاثا ذيمون»**: أستاذ «هرمس» الهرامسة، المسمَّى عند العرب «بإديس» عليه السلام، وهو أول من أُخذ عنه الشريعة والحكمة..، والصابئة تنسب إليه، تعترف بنبوَّته، ولهم كتب أحكام بعضها منسوبة إلى شيث عليه السلام، وبعضها إلى «يحيى بن زكريا» عليه السلام، ولا يقولون بقيمة الأجساد، بل الأرواح، ولهم كتابة وحروف بالنبطية قديمة على هِجاء أبجد، وليس لهم (أ- ب- ت- ث).

ولهم كتاب يسمونه (الزبور) الأول، وهو مائة وعشرون سورة كبارًا وصغارًا، وقبلتهم: بيت المقدس، والله أعلم بمسكنه من الأرض، ولعل الأظهر أنه كان بالشام، أو بصعيد مصر.

وكان من كلامه أنه قال: إنه يجب أن يكون في المؤمن الحقيقي ست عشرة خصلة:

- المعرفة بالله تعالى، وملائكته من السمائيين، والروحانيين، وحملة العرش، وأهل طاعته.

- معرفة الخير والشر... أما الخير فليرغب فيه، وأما الشر فليحذر من فعله.

- السمع والطاعة للملك الرحيم الذي استخلفه الله تعالى في الأرض، وملَّكهُ أمر البلاد والعباد.

- برُّ الوالدين.

- اصطناع المعروف بقدر الطاقة.

- المواساة للفقراء.

- التعصب للغرباء.

- الشجاعة في طاعة الله تعالى.

- العصمة عن الفجور.

- الصبر بالإنابة، واليقين.

- صدق اللهجة.

- العدل.

- القنوع في الدنيا.

- الضحايا والقرابين شكرًا لله تعالى على ما أوْلَى من النِّعم لخَلْقِه.

- الحلم وحمد الله تعالى على مصائب الدنيا من غير تململ.

- الحياء وقلة المماراة.

obeikandi.com

وقال: «سبيل الملك كما يجب أن تكون رعيته تحت طاعته، كذلك يلزمه أن يكون هو المتفقِّد أحوالهم قبل حال نفسه في جميع أمورهم؛ لأن صورته معهم صورة النفس في البدن».

وقال: إن ظن الملك أنه يجمع مالًا من ظلم، فقد ظنَّ عجزًا، ولا يجمع الملك المال إلا من عمارة الأرض.

وقال: إن غفل الملك عن النظر في أمور رعيته، وجيوشه، وأعدائه يومًا واحدًا: اشتغل فكره، ووسوس خاطره، واشتُهر عنه شهرًا.

وقال: ما أحسن حال الرعية، وأولياء الملك... إذا كان مَلِكُهم لطيف العقل، صحيح الرأي ، عالمًا بالحكمة، وما أسوأ حالهم... إذا عُدِم من هذه الأشياء شيئًا.

وقال: إذا استهان الملك بصغير الأشياء، صار كبيرًا.. كالعلة في البدن، متى لم يتدارك علاجها، ولدت سُقمًا للبدن.

وقال: إذا اغترَّ الملك بالملق، والمنطق اللطيف من عدوه، ولم يتفقد آثاره، ويتتبع أعماله فلا يأمن وثوبه عليه، فإن وثبة الأسد على غفلة سبب هلاك الموثوق به.

وقال: سبيل الملك: الا يغفل عن تعليم ولده سائر العلوم التي بها قوام مملكته، والعدل في رعيته، وسياسة جيوشه، ولا يحسن له مداومة الصيد واللعب، ويلزمه الجد وتجنب الهزل.

وقال: يجب على الملك أن يُظهر نعمته على أهل الفضل، والعلم وطالبيه؛ ليحثوا أنفسهم على الزيادة.

وقال: سبيل الملك إذا أراد أن يستخدم متصرفًا في شيء من أعماله: أن يسأل عن أخلاقه، وصبره، وتدبيره لنفسه، ومنزله... فإذا كان حَسَن الخُلُق، شديد السياسة لسائر أحواله، وفيه الدِّين والصبر على الأشياء العارضة، فيستخدمه.. وإن كان ضد ذلك.. فلا.

وقال: يصبر في الأمور، فإن الاستعجال: في الغضب.

وقال: القلوب الفارغة موكولة بالشهوات.

وقال: صديق في الله تعالى يَودُّك خالصًا، خيرٌ من أخٍ شقيق يتمنى ميراثك عاجلًا.

وقال: كل شيء يألف جنسه، والإنسان يألف شكله.

وقال: من لم يعرف مقدار جميل يفعل به، استبدله بالقبيح كفعل العبيد.

وقال: غربة المجهود: ذل.

وقال: أغنى الغنى: صحة الجسم..، وأجل السرور: سعة الصدر.

وقال: طاعة المحبة والود أرجى من طاعة السلطنة والهيبة.

وقال: نِعم المؤدب: التجارب، ونِعم الوفاء: النظر في العواقب.

وقال: أفضل أمر الدنيا وأشرفه: الثناء..، وفي الآخرة: النجاة في الميعاد.

وقال: المغتم لا يجاوره الجُهال في الانفراد، ولا يواصله الأشرار.

وقال: المجهول عند السلطان الجائر.. خير من العزيز العظيم الجاه عنده.

وقال: العُقم.. خير من الولد البليد.

وقال: القُرب من العاقل القليل البخت.. خير من الجاهل الكثير المال.

وقال: الحكمة تُورث صاحبها فراش التواضع، وبها ينال معرفة الأمور، وبها يُحسن الثقة، وتنزل الرحمة بعدل السلطان، ويُبتغى الرضا، ويتفق بالمسالمة، وتجتمع الآراء، ويزداد الورع، ويكثر البر، ويظهر الأخيار، وتقل الذنوب.

وقال: أطال من التمس الحكمة بغير إمعان...، وجهل من ظنَّ أن البهاء سبيل مع النعيم.. والله أعلم.

- هرمس الهرامسة

زعم «أبو معشر» أن (الهرامسة) كثيرة، إلا أن أفضلهم وأعلمهم وأعظمهم ثلاثة:

أولهم: الذي كان قبل الطوفان، وتذكر (الفُرس) أن جده «**كيومرث**»، وهو «**أخنوخ**»: عند العبرانيين، و«**إدريس**»: عند العرب.

قال: وهو أول من تكلم في الأشياء العُلوية من الحركات النجومية، وأول من تكلم في الطب، وألَّفَ لأهل زمانه قصائد موزونة وأشعارًا معلومة في الأشياء العُلوية والأرضية.

وهو أوَّل من أنذر بالطوفان، وآفة سماوية تلحق الأرض من الماء والنار.

وكان مسكنه صعيد مصر، فبنى الأهرام، ومدائن البرابي، وخاف ذهاب العلم بالطوفان، فبنى البرابي، وهو الجبل المعروف بالبوتاجية، وصوَّر فيها جميع الصناعات نقشًا.

وصوَّر جميع آلات الصُّنَّاع، وأشار إلى صغار العلوم برسوم لمن بعده خشية أن تذهب.

وثبت في الأثر المروي: أنه أول من دَرَس الكتب، ونظر في العلوم، وأُنزل عليه ثلاثون صحيفة.

وأول من خاط الثياب.

وحكى عنه «أبو معشر» حكايات شَنعاء.

وهرمس الثاني: بابلي، سكن مدينة الكلدانيين، وكان بعد الطوفان في مدينة بابل، وهو أول من بنى مدينة بابل بعد نمروذ الجبار..، وكان بارعًا في الطب والفلسفة، عارفًا بطبائع الأعداد.

وكان تلميذه «فيثاغورث»، وجدَّد من العلوم ما دُثر بالطوفان.

ومدينة الكلدانيين مدينة الفلاسفة من أهل المشرق، وهم فلاسفة الفُرس الحُذَّاق.

و«هرمس» الثالث... كان بعد الطوفان، وهو صاحب كتاب (الحيوانات) ذوات السموم..، وكان فيلسوفًا طبيبًا، جوَّالًا في البلاد، عالمًا

بنُصبها وطبائع أهلها، وله كلام في الكيمياء، وتلميذه «أسقليبوس»[1]، وله أخبار شنعة، وقصص بشعة، وهو باني الأهرام، والأهرام كثيرة، إلا أن الكبار منها اثنان، وكل واحد منها ذراع، ولا سبيل إلى فتحها.

ويقال: إنه ادَّخر فيها من النفائس والذخائر ما لا شوهد مثله، وقد اجتهد الخليفة «المأمون»[2]، في فتحها... فلم يمكنه فتح أكثر من واحدة، وأخرج منه ذهبًا، مع أنه أنفق على ذلك أضعاف ما حصله، وقريب من الأهرام عمل خمس مدن من البرابي صغار... ويقال: إن على باب كل واحد منها صورة من حجر، متى بلغ الرجل إليها اختفت به إلى آخر دور العالم على المذهب القائل بالأدوار.. والله أعلم بذلك..

وولد: هرمس الهرامسة بمصر في مدينة (منف)، وهي على اثني عشر ميلًا من (الفسطاط)، وكانت دار الحكمة حتى بُنيت الإسكندرية فنقلت منها.

وهو باليونانية «أرمس»، وإنما عُرِّب فقيل: «هرمس»، ومعنى «أرمس»: عطارد.

ويُسمى أيضًا (عليه السلام) عند اليونانيين: طرسمين.

وعند العرب يُسمَّى «إدريس».

---

(١) اسقليبوس: طبيب الحريقي.

(٢) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، المأمون العباسي كأبو العتبة «١٧٠ - ٢١٨هـ» سابع الخلفاء الراشدين من بني العباس.

وعند العبرانيين يُسمَّى «**إخنوخ**»، وهو ابن «**تارح بن ماهلليل بن قنان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام**».

كان قبل الطوفان الكبير الذي أغرق الدنيا، وهو الطوفان الأول.

وكان بعده طوفان آخر أغرق أهل مصر فقط، وكان في بداية أمره تلميذًا لـ«**غاثاذيمون**» المصري، وكان «**غاثاذيمون**» النبي (عليه السلام): أحد أنبياء اليونانيين والمصريين، وهو «**أوريا**» الثاني، و«**إدريس**»: أوريا الثالث.

وتفسير اسم «**غاثاذيمون**»: السعيد الجد.

وخرج «هرمس» من مصر، وطاف الأرض كلها، وعاد إلى مصر، فرفعه الله إليه، قال الله تعالى: ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ [مريم: ٥٧].

وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة، ودعا الخلائق من سائر أهل الأرض إلى «الباري» سبحانه وتعالى باثنين وسبعين لسانًا، آتاه الله تعالى الحكمة بمنطقهم، وعلمهم، وأدبهم، وبنى لهم مائة مدينة وثمان مدن عظيمة أصغرها الرُّها، وعلمهم العلوم.

وكان أول من استخرج علم النجوم، وأقام لأهل كل إقليم سُنَّة تليق بهم، وتقارب آراءهم، وخدمه الملوك، وأطاعه أهل الأرض كلها، وأهل الجزر التي في البحار، وخدمه الملوك الأربعة، كل واحد منهم ولَّى بأمره عليه السلام الأرض كلها، فأولهم «**ايلاوس**» وتفسيره: «**الرحيم**».

والثاني: ابنه «**لاوس**».

والثالث: «**أسقليبوس**».

والرابع: «آمون»، وهو أبو «سيلوخس»، ودعا إلى دين «الله» عزَّ وجلَّ، والقول بالتوحيد، وعبادة الخالق، تخليص النفوس من العذاب، والحض على الزهد في الدنيا، والعمل بالعدل، وطلب الخلاص في الآخرة، وأمرهم بصلوات ذَكَرَها لهم على صفات بيَّنَها لهم، وصيامهم في أيام معلومة من كل شهر، والجهاد لأعداء الدين، والزكاة في الأموال، ومعونة الضعفاء، وغِلظ عليهم في الطهارة من الجنابة والحيض، ومس الموتى، وأمرهم بتحريم أكل الخنزير والجمل والحمار والكلب والبصل والباقلاء... وكل ما يضر بالدماغ، وغيرها من المآكل، وحرَّم السُّكْر من كل شيء من المشروبات، وشدد فيه أعظم تشديد.

وجعل لهم أعيادًا كثيرة في أوقات معروفة، وصلوات فيها، وقربانات منها: لدخول الشمس رءوس البروج، ومنها لرؤية الهلال، وأوقات القُربانات.

وكلما صارت الكواكب إلى بيوتها وإشراقها، وناظرت كواكب أخرى... قربوا قُربانًا.

والقرابين فيما جاء به ثلاثة أشياء: البخور، والذبائح، والخمر.

ويقرِّبون من باكورة الأشياء من الرياحين: الورد، ومن الحبوب: الحِنطة والشعير، ومن الفاكهة: العنب، ومن الأشربة: الخمر.

ووعدهم أنه سيأتي بعده عدَّة أنبياء، وعرَّفهم أن من صفات «النبي» المبعوث: أن يكون بريئًا من المذمومات، والآفات كلها.

كاملًا في الفضائل والممدوحات كلها.

obeikandl.com

لا يُقصر عن مسألة يُسأل عنها مما في السموات والأرض، وأن يدل عن ما فيه الشفاء من كل ألم.

وأن يكون مذهبه ودعوته المذهب الذي يصلح به العالم، ويكثر عمارته.

ورتَّب الناس ثلاث طبقات: **كهنة، وملوكًا، ورعية.**

ومرتبة **الكاهن**، فوق مرتبة الملك؛ لأن الكاهن يسأل الله في نفسه، وفي ملكه، وفي رعيته... وليس للملك أن يسأل الله تعالى في شيء.. إلا في نفسه فقط.

وكان عليه السلام رجُلًا آدم اللون، تام القامة، أجلحِ، حسن الوجه، كث اللحية، مليح التخطيط، تام الباع، عريض المنكبين، ضخم العظام، قليل اللحم، برَّاق العين، أكحل، متأنيًا في كلامه، كثير الصمت، ساكن الأعضاء، إذا مشي: أكثر نظره إلى الأرض، كثير الجد، فيه فكرة وعبسة إذا تكلم يحرك سبَّابته.

وكان على فصِّ خاتمه الذي كان يلبسه كل يوم: «**الصبر مع الإيمان يورث الظفر**».

وعلى فص خاتمه الذي يلبسه في الأعياد: «**تمام الفرح بالأعياد الأعمال الصالحة**».

وعلى فص خاتمه الذي يلبسه إذا صلى على ميت: «**الأجل حصار الأمل، والموت رقيب غير غافل**».

obeikandl.com

وعلى المنطقة التي يلبسها دائمًا: «**النظر في العاقبة يورث سلامة النفس والبدن من الأعراض المؤذية**».

وعلى المنطقة التي يلبسها في الأعياد: «**حفظ الفروض والشريعة تمام الدِّين، وتمام الدين كمال المروءة**».

وعلى المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: «**من نظر لنفسه فاز.، وشفاعته عند ربه الأعمال الصالحة**».

وانتهت شريعته، وهي الملة الحنيفية، وتعرف أيضًا بدين القيِّمة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وشمالها وجنوبها، وطبقت الأرض بأَسْرها، حتى لم يبقَ على وجه الأرض آدمي إلا تديَّن لها.

وكانت قبلته: الجنوب على خط نصف النهار..

- من منثور حِكَم «هرمس»:

ومن مختار حكم هرمس، ومواعظه، وآدابه هو المثلث بالحكمة، ومعنى المثلث بالحكمة: أنه نبي، ثم ملك، ثم حكيم، أي: هو متصف بهذه الصفات الثلاث الممدوحة، وهو «إدريس».

قال: لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام بها على خَلْقِهِ.

وقال: من أراد بلوغ العلم، وصالح العمل.. فليترك من يده أداة الجهل، وسيئ العمل.. كما أن الصانع الذي يعرف الصنائع كلها إذا أراد الخياطة، أخذ آلتها، وترك آلة النجارة، وإذا أرد الكتابة، أخذ آلتها، وترك آلة الخياطة.. فحُبّ الدنيا وحُب الآخرة لا يجتمعان في قلب أبدًا.

وقال: أيها الإنسان إذا اتقيت ربك، وحذرت الطرق المؤدية إلى الشر، لم تقع فيه.

وقال: لا تَمِلْ إلى الدنيا والهوى وحلاوتها الصادَّتين لك عن الشغل بميعادك، فتكون كالغريق والمشتغل عن التدبير بخلاص نفسه، يحمل بضاعة ثقيلة اغترَّ بحُسنها، وهي سبب عطبه.

وقال: لم يكن البشر ليهتدوا إلى معرفة عظَمَة الله عزَّ وجلَّ، لولا أن عَرَّفَهُم نَفْسه، وهَداهُم إلى عبادته بالوسائط من أنبيائه، وحملة وحيه المختارين المصطفين، الناطقين عن روح القُدُس المرشدين إلى تقوى الله عزَّ وجلَّ وسُبُل طاعته، الموقفين لنا على حدود أوامره وزواجره، وحفظ سُنَنِه في مذاهب رضاه المؤدية إلى الحياة الدائمة والنعيم المتصل.

وقال: لا ترفعوا إلى الله تعالى دعاءكما بالجهالة، ولا بالنيات المدخولة..، ولا تعصوه، ولا تتعدوا حدوده ونواميسه، ولا يجرين أحدكم إلى معاملة أخيه على ما يكره أن يعامل بمثله.

واتفقوا، وتحابوا، وثابروا على الصوم والصلاة جماعة ببصائر صافية نقية، ونيات غير مقسمة ولا مشوبة.

وتوادُّوا على طاعة الله تعالى بالتقوى له.

وابتغوا الخير، واجتهدوا فيه.

ولتكن تأدية فرائض الله بالتمام والكمال والخشوع والخضوع من غير عُجبٍ ولا استكبار.

وإياكم والتفاخر والتكاثر، وعليكم بالإخبات والتواضع؛ لكيما تستكثروا فعل إثمار الخير من أعمالكم.

وقال: ابعدوا عن مخالطة الخونة والفسقة، ومتبعي الضلال، ومقابح الأفعال.

وقال: لا تحلفوا بالله كاذبين، ولا تهجموا على الله تعالى باليمين، واعتمدوا الصدق؛ حتى يكون (نعم) من قولكم (نعم)، و (لا): لا تورعوا عن تحليف الكذابين بالله عزَّ وجلَّ؛ فإنكم تشاركونهم في الإثم إذا علمتم منهم الحنث، وليكن الأثر في نفوسكم أن تَكِلُوهُم إلى الله سبحانه عالم السرائر.. فحسْبكُم به من جاءكم يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وقال: اعلموا واستيقنوا أن تقْوَى الله سبحانه هي: الحكمة الكبرى، والنعمة العظمى، والسبب الداعي إلى الخير، والفاتح لأبواب الفهم والعقل؛ لأن الله سبحانه لما أحب عباده، ووهب لهم العقل، واختص أنبياءه بروح القُدس، وكشف لهم عن السرائر الربانية، وحقائق الحكمة -انتهوا عن الضلال، واتَّبعوا الرشاد.

وقال: استشعروا الحكمة، وابتغوا الديانة، وعوِّدوا أنفسكم الوقار، والسكينة.

وتحلُّوا بالآداب الحَسَنة الجميلة.

وتروُّوا في أموركم، ولا تستعجلوا لا سيما في مجازاة المسيء.

واجعلوا الحياة قِبَل وجوهكم، والخيفة من الله سبحانه حَشْو جنوبكم.

وتدبَّروا بالصحة والاستقامة، واحذروا عواقب الندامة، فبلوك هذه السبيل، تصير النفس حُرةُ معتَقة من رِقِّ الجهالة، وجاذبية الحداثة.

وقال: إن تكن من أحدكم إفراط، أو ارتكب منكرًا -فليُقلع عنه، ولا تحمله السلامة منها على المعاودة لها... بل بالتوبة والإقلاع عنها؛ فإنها وإن ستُرت عليه في الدنيا.. فإنه يفتضح بها يوم الدين، ويجازى عليه بعقوبةَ لا رحمة معها.

وقال: تأدبوا بآداب الله سبحانه وتعالى التي دعاكم إليها، وأَمَرَكُم بحفظها... واتبعوا الحُكماء والعلماء، وخذُوا عنهم الفضائل.

ولتكن شهواتكم مصروفة إلى طلب الحمد، واستحقاق المدح... ولا تصرفوها إلى الشرور، ومقابح الأمور.

وقال: اهربوا من المآكل الخبيثة، واحتشموا من المكاسب الدنيئة؛ فإنها وإن ملأت أكياسكم من المال، فإنها تفرغم قلوبكم من الإيمان.

وقال: عوِّدوا أنفسكم إكرام الأخيار والأشرار!.. أما الأخيار: فمن أجل خيرهم.. وأما الأشرار: فلاستكفاف شرهم.

وقال: تحفَّظوا من مخالطة القوم الذين لا يهتدون للحق، ولا يكملون بمعرفته، ولا يتعقلون منه بعصمته غير أن يستمعوه سماعًا، ولا يفعلوه فعالًا.

ولا تنصبوا لمكاره الناس الحبائل، ولا تسعوا لهم في المَضَرَّة؛ فإن ذلك لا يخفى، ومتى خَفي في الأول لم يخف في المستقبل.. وأريعوا نفوسكم عن أن تفعلوا هذه الفعال، أو أن تقوموا هذا المقام.

وقال: اجمعوا بين محبة الدين ومحبة الحكمة، وقفوا أنفسكم على تعلمهما.

وإن قدرتم على أن يكون زمان مقامكم في هذه الدنيا مصروفًا بأسرها إلى ذلك دون غيره -فافعلوا، ومتى كنتم بهذه الصفة سهل عليكم ما يصعب على غيركم، وكان ما يحصل من شرف الفضيلة أنفع من ذخائر الذهب والفضة، وسائر أصناف الاقتناء؛ فإنها تفنى، وثواب الله تعالى لا يفنى.

وقال: ساووا بين باطنكم وظاهركم في المخاطب، ولا تكن ألسنتكم مخالفة لضمائركم.

وقال: أطيعوا رؤساءكم، واخضعوا لسلطانكم، وأكرموا كباركم، وبرُّوا مؤدبيكم، ولتغلب عليكم محبة الله تعالى والحق.

ولا تخالفوا الرأي الصواب، ومشاورة الفصحاء..؛ لتأمنوا الندامة، وتسلموا من الملامة.

ولتكن أفواهكم مملوءة بشكر الله سبحانه وتعالى، وحمده عند الشدة والرخاء، والفقر والغنى.

وقال: لا تتفاضلوا بأعمالكم، ولا تجوروا في الحُكم، ولا تستعملوا الشِقاق، ولا تزكوا الخونة، ولا تخونوا الأذكياء.

وليكُن الفقر مع الاستقامة أحب إليكم من الثروة مع الإثم..؛ فإن المال يفْنَى، وأعمال البر والخير تبقى.

وقال: لا تحبوا كثرة الضحك والهزل، ولا تطيَّروا بالناس، وإن ظهرتم من أحد على عاهة، أو عورة، أو في حالة مذمومة... فلا تعيِّبوه، ولا تضحكوا

منه، واعتبروا وارجعوا إلى الله سبحانه وتعالى؛ فإن البشرية تجمعكم، وأنتم وهم من طينة واحدة، وليس الضاحك بآمن من أن يناله مثله في المستأنف.

والواجب عليكم: إذا رأيتم ذَوى البَلْوَى أن ترفعوا نواظركم إلى الله سبحانه وتعالى، وتحمدوه على العافية، وتسألوه الإعاذة.

وقال: إذا جادلكم المخالفون لكم في الدين بالفظاظة، وسوء القول.. فلا تقابلوهم بمثل ذلك، بل بالرفق والدلالة والهداية، ولطف المخاطبة.

واعتصموا بالله سبحانه وتعالى، وقولوا بأجمعكم: اللهمَّ أصلح بريَّتك، واجر عليهم من قضائك وقدرك ما يقودهم إلى الأُلفة والسلامة والإيمان والهُدى.

وقال: أكثروا من الصمت في المحافل، ولا تطلقوا ألسنتكم بمحضر المتحفظين عليكم بما عسى أن يجعلوه سلاحًا يقاتلونكم به، وأقلُّوا من المراء، والهذر، والفضول من القول.

وقال: حياة النفس في الحِكمة، والحكمة في الإيمان بالله عزَّ وجلَّ في حفظ الدين، ألا تعملون أن الحكمةَ والإيمان بالله سبحانه وتعالى لا يفترقان، إن وُجِد أحدهما وُجِدَ الآخر وإن عُدِم عُدِم.

وقال: لا يمكن أن يكون الإنسان عادلًا، وهو غير خائف من الله عزَّ وجلَّ، وإنما يكون العدول عدولًا إذا استكثروا من خشية الله عزَّ وجلَّ..

وبذلك يكسبون روح القُدس في يوم القيامة، وتُفتح لهم أبواب الفردوس؛ حتى تسبح أنفسهم في النفوس المطهرة العاملة مع الله تعالى المستحقة للحياة الأبدية.

وقال: احذروا الأشرار والحُسَّاد، والمشتملين على العداوات والأحقاد والسكارى والجُهَّال، وإذا هممتم بالخير قدِّموا فعله؛ لئلا يعارضكم سوء الخاطر.. فتتوقفوا عنه.

وقال: لا تغبطوا الفاسق على أن يواتيه الحظ؛ فإن استمتاعه قليل، وعاقبته الوبال... والله لا يصلح أعمالهم.

وقال: روِّضوا أولادكم بالتعليم قبل أن يكبروا؛ لئلا يتمردوا عليكم، ويميلوا إلى الشر، ويلحقكم الإثم فيهم.

وقال: لتكن همَّتكم إلى الله سبحانه رب الأرض والسماء، وارفعوا إليه صلواتكم ودعاءكم بصفاء من ضمائركم، وعلى غير تصوُّر من خواطركم.

فإنكم إن تناجوه بقلوب سليمة يسمع منكم، ويستجيب لكم، ويبلِّغكُم آمالكم، ويفتح لكم أبواب الرُّشد في مساعيكم، ومتوجهاتكم، ويعصمكم من أفكار الشر، ويحفظ أنفسكم من المكاره، وينجيكم من فخاخ الآثام، ويرد عنكم المخاوف، ويكُب رءوس أعدائكم تحت أقدامكم.

وقال: إذا دخلتم في الصيام فطهِّروا أنفسكم من نَجَس ودَنَس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية منزهة من الأفكار السيئة، والهواجس المنكرة.. فإن الله سبحانه وتعالى يستبعد القلوب الملطخة، بالنيات المدخولة.. ومع صيام أفواهكم عن المآكل، فلتصم جوارحكم عن المآثم.

فإن الله سبحانه وتعالى لا يرضى أن تصوموا عن المطاعم فقط، لكن عن المناكير كلها، والفواحش بأسرها ما يغني عنكم -ليت شعري- الصوم إذا كانت أفعالكم فيه مذمومة، وبصائركم مشوبة، وواظبوا في صيامكم على بيوت الله تعالى، واعمروها بالصلاة والدعاء، ولا تستكبروا بالعبادة، ولا تروموا بها السمعة والشهرة.. بل استعملوها بالتذلل والاستكانة.

وإذا أَدَّيْتُم فرائضكم، وعيَّدتُم أعيادكم، وانقلبتم إلى منازلكم مسرورين بحريمكم وأولادكم... فاذكروا أهل الضُّر والمسكنة، ومدوا أيديكم إليهم بالبِر والمواساة.

قال: نَفِّسُوا عن المكروبين، وفرِّجُوا عن المحزونين، وافتدوا الأسارى، وعالجوا المرضى.

أضيفوا الغرباء، وأطعموا الجياع، وأرووا العطاش، عَزُّوا أهل المصائب، خلِّصوا المظلومين ممن يظلمهم.

لا تزيدوا المحزونين حزنًا، ولا تصيروا عليهم من خطوب زمانهم عونًا.. بل سَلُّوهم، وعاونوهم، وعاضدوهم، واسوهم بالقول الحَسَن، والفعل الجميل، وإن كانوا ممن أسلفوكم الإساءة، فاعفوا واقتصروا بهم على ما نالهم من العقوبة.

وقال: اكتسبوا الأصدقاء، وقدِّموا الاختبار لهم قبل الاستمالة إليهم، ولا تعجلوا بالثقة بهم قبل المحنة لهم؛ لئلا يلحقكم الندم، وينالكم منهم المضرة.

وقال: ومن آتاه الله تعالى فضلًا في دنياه، فلا يفتخرنَّ على أخيه، ولا يدخُله العُجْب والتعاظم، وليكن ذلك الفضل محتقرًا في عينه؛ فإن الله سبحانه وتعالى خلقَ الفقراء والأغنياء، وهم عنده سواء.

وقال: لا تبدو عند الغاضب منكم كلمة فُحشْ؛ فإنها تورثكم العار والمنقصة، ويلحق بكم العيب والهجنة، وتَجُرُّ عليكم المآثم والعقوبة.

وقال: مَنْ كَظَمَ غيظه، وقيَّد لفظه، ونظَّف منطقه، وطهَّره نفسه -فقد غلب الشرَّ كله.

وقال: لا ينبغي لطالب الحكمة أن يكون طلبه لها، ورغبته فيها؛ ليثاب عليها، ويمن بها.. لكن ينبغي له أن تكون منه رغبة لنفسه فيها؛ لفضلها على كل شيء سواها.

وقال: إذا كانت الحكمة خالصة، فهي معدن كل سعادة، ومظهرة كل أدب، وماحقة كل شر.

وقال: خير الملوك من بدَّل الشر في مملكته إلى السيرة الحسنة، وشرُّهم: من عكَسَ.

وقال: الدليل على غريزة الجود: السماح عند العُسرة، وعلى غريزة الورع: الصدق عند السخط، وعلى غريزة الحلم: العفو عند الغضب.

وقال: من سَرَّهُ مَودَّة الناس إياه، ومعونتهم له، وحسن القوم منهم فيه: حقيق على أن يكون مثل ذلك لهم.

قال: ومن أحب أن يجاد عليه عند حاجته، فليجد بها وسِعَ له على أهل الحاجة إليه.

وقال: من فَضل العلماء، وقصد العدل، واستفاد العمل الصالح، واجتهد في طلب الحكمة، وتزيَّن بالأدب -أصاب ما يرغب فيه من خيري الدنيا والآخرة.

وقال: أعظم الناس مصيبة في الدنيا والآخرة، من لم يكن له عقل ولا حكمة، ولا له في الأدب رغبة.

وقال: من منع ما عنده من العلم والأدب الصالحين -قوَّى بذلك جهل الأشرار.

ومن منع العلم لمستحقه منعه الله تعالى لمنفعته في الدنيا والآخرة... ولا يبخل بالعلم على مستحقه، إلا جاهل قليل العلم... فإن لم يكن قليل العلم، فهو رديء الهِمَّة، حسود.

وقال: من جاد بالعلم والحكمة، فهو أفضل ممن جاد بالمال، وأبقى لِذكرِه.. فإن المال يفنى، والذكر يبقى.

وقال: السلامة ألا يُعادي المرء أحدًا، ولا تكون له إساءة إلى من عاداه، وأضرَّ به، بل يحسن إليه، ويلين له القول.

وإن من أفضل الأعمال ثلاثة أشياء: أن تبدل العدو صديقًا، والجاهل عالمًا، والفاجر بارًّا.

وقال: الصالح من خيره خير لكل أحد، ومن يعد خير كل أحد لنفسه خيرًا.

وقال: ما أقل منفعة المعرفة مع غلبة الشهوة، وما أكثر منفعةِ قلَّة المعرفة مع ملك النفس.

وقال: الموت مثل سهم مرسل، وعمرك بقدر مسيره نحوك.

وقال: من أوكد أسباب الحكمة والحلم: رحمة الجُهال.

وقال: ربما شَرَقَ شارب الماء قَبْلَ ريِّه.

وقال: من تجاوز الكفاف، لم يُغْنِهِ الإكثار.

وقال: الساعي: كاذب لمن سعى إليه، أو خائن لمن سعى به.

وقال: المزاح يفني الهيبة، كما تفني النار الحطب.

وقال: الفرصة سريعة الفوت، بطيئة العودة.

وقال: لا أشجع من بريء، ولا أجبن من مُريب.

وقال: من جَرى في عنان أمله، عثر بأجله.

وقال: كأن الحاسد خُلِقَ ليغتاظ.

وقال: اقتص من شهوة خالفت عقلك، بالخلاف عليها.

وقال: الغضب إذا كان له سبب يعرف، كان الرضا سهلًا يسيرًا.

وإذا كان بلا سبب، كان الرضا صعبًا؛ لأن المُحال غير موجود على كل حال.

وقال: المستشير على طرف النجاح.

وسئل: ما الذي يَهِدُّ الرجل؟

فقال: الغضب، والحقد، وأبلغ منهما: الْهَمُّ.

وسئل: ما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء، أكثر مما تأتي الأغنياء أبواب العلماء؟

فقال: لمعرفة العلماء بفضل الغِنَى، وجهل الأغنياء بفضل العلم، وإن العلم ممدوح بكل لسان، متَزَيَّنَ به في كل مكان.

وقال: العقل بغير أدب، كالشجرة العاقر!.. والعقل مع الأدب كالشجرة المثمرة.

وقال: العلم بالخير والشر هو تمام العلم.. وبتمام العلم يكون تمام الحكمة، وبتمام الحكمة: سلامة العاقبة.

وقال: ما ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره، وطاعة نفسه ممتنعة عليه.

وقال: من الجهل كان عاقلًا، ومن جهله كان جاهلًا.. ومن جهل صورة الحكمة، جهل صورة ذاته كان بغير ذاته، ومن جهل صورة ذاته أجهل.

وقال: الناس اثنان: طالب لا يجد، وواجد لا يكتفي.

وقال: الحكمة إنما هي كالجواهر التي في الصَّدَف في قعور البحار، لا تنال إلا بالغوَّاص الحاذق.

وقال: لا يمدح بكمال العقل، من لا يكمِّل عفَّته، ولا بكمال العلم من لم يكمِّل عقله.

وقال: إن الأدب صورة العقل، فحسِّن عقلك ما قدرت.

وقال: العاقل لا تدعه عيوبه يفرح بما ظهر من محاسنه، والنصح بين الملأ: تقريع.

وقال: إعادة الاعتذار: تُذَكِّر بالذنب.

وقال: ما عُفي عن الذنب، من قُرِع به.

وقال: الجاهل صغير وإن كان شيخًا، والعالم كبير وإن كان حَدَثًا.

وقال: الدنيا تهين من كانت تكرمه، والأرض تأكل من كانت تُطعمه.

وقال: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.

وقال: الميت يقل الحاسد له، ويكثر الكذب عليه.

وقال: يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك.

وسئل: عن شيخ له زوجة؟

فقال: من لا يقدر أن يسبح في البحر، كيف يقدر أن يحمل على عنقه آخر؟

وقال: اجتنب مصاحبة الكذاب؛ فإنه مثل السراب: يلمع ولا ينفع.

وقال: من كَثُر حقْده، قل عتابه.

وقال: الحازم: من لم يشغله النظر بالنعمة، عن العمل للعاقبة، وألهم بالحادثة عن الحيلة لدفعها.

وقال: من مدحك بما ليس فيك، فلا تأمنه أن يذمَّك بما ليس فيك.

وقال: الغضب يصدئ العقل؛ حتى لا يرى صاحبه حُسْنًا فيفعله، ولا قبيحًا فيجتنبه.

وقال: من تكلف بما لا يعنيه، فاته ما يعنيه.

وقال: لا تقطع أخاك، إلا بعد عجز الحيلة في استصلاحه... ولا تتعبه بعد القطيعة وقيعة، فتسد طريقه بالرجوع إليك.. ولعل التجارب أن ترده عليك، وتصلحه لك.

وقال: خير الأصحاب، من نَسي ذنبك، ولم يقرعك به، فبه معروفة عندك، ولم يُمن به عليك.

وقال: أعطِ الحق من نفسك، وإن لم تُعطه منها، كان الحَكَم خصمك.

وقال: نعمة الجاهل، كروضة على مزبلة.

وقال: إخوان السوء، كشجرة على النار يحرق بعضها بعضًا.. ورُبَّ كلام جوابه السكوت، ورُبَّ عمل: الكف عنه أفضل، ورُبَّ خصومة الإعراض عنها أصواب.

وقال: أفضل ما خلق الله سبحانه وتعالى في هذا العالم الناس: العقل.. وأفضل ما في الناس العقل، وأفضل أمور العقل: تدبير صاحبه بالعدل، والكف لنفسه عن الذنوب.

وقال: أحمد الأشياء عند أهل السماء والأرض: لسان ناطق، صادق بالحق، والعدل.

وقال: الخير والشر: واصلان إلى الناس لا محالة.

وقال: وطوبى، والويل لمن جرى وصولهما إلى الناس على يديه.

وقال: ينبغي للسلطان، وذوي المُلك ألا يملكوا، ولا يسلِّطوا إلا من له رحمة ومودَّة لكل أحد، مثل ما يكون عند الأب المحب: للولد الكريم عليه.

وقال: غاية النفس المنطقية: المعرفة الحقيقية، وغاية معرفة القوة الشهوانية: المحبة، وغاية معرفة فعل القوة الغضبية: السلامة.

وقال: كفى بالظفر شفيعًا للمذنب.. إلى الحكيم.

وسئل: عن الجود؟

فقال: هو أن تجود بمالك، وتصون نفسك عن سؤال غيرك.

وقال: إن أمر الدنيا لأحقر، من أن تُطاع فيه الأحقاد.

وقال: قاتل غضبك بحلمك، وجهلك بعلمك، ولسانك بذكْرك.

وقال لتلميذه «قواطليس»، وعنده موسيقى: حرك عليَّ صورة الشجاعة.. أفهمت ما قلت؟

قال: نعم.

فقال: لا أرى عليك أثر الفهم.

قال: وكيف ذاك؟

قال: لا أراك مسرورًا، والدليل على الفهم السرور.

وقال: الحياء في الصبى: أَحمدُ من الخوف..؛ لأن الحياء يدل على العقل، والخوف يدل على الرهبة.

وقال: تزوَّد من الخير وأنت مقبل... خير من أن تتزود منه وأنت مدبر.

وقال: من لم يسكن موضعًا فيه سلطان قاهر، وقاض عادل، وطبيب ماهر عالم، وسوق قائم، ونهر جارٍ... فقد ضيَّع نفْسه وأهله، وماله وولده.

ووصى «بلوخس» - وهو «آمون» الملك.

فقال: أول ما آمرك: بتقوى الله عزَّ وجلَّ، وإيثار طاعته.. ومن تولَّى أمر الناس، فقد يجب عليه ثلاثة أشياء يكون ذاكرًا لها.

أولها: أن تكون يده مطلقة على قوم كثير.

والثاني: أن الذي يده مطلقة عليهم أحرار، لا عبيد.

والثالث: أن سلطانه إنما يلبث مدة يسيرة.

فسبيلك أن تطهر نفْسك بحُسْن النية ما أضرب، والقول بالحق، وإياك أن يهمك الحرب والجهاد لمن لا يؤمن بالله عزَّ وجلَّ، ويتَّبع سُنَّتى وشريعتي، لما ترغب إليه من دخولهم في طاعة الله عزَّ وجلَّ.

واحذر أن ترغب في أخذ أموالهم، وتتركهم على طغيانهم.. فإن المال لا رغبة فيه إلا من حِلٍّ، ومال الله فيه الرضا.

واعلم أن الرعية تسكن إلى من أحسن إليها، ولا تحسن المملكة إلا برعيتها.. فمتى ما لم يكن للسلطان رعية حصل السلطان نفسه إذا سلم منهم.

وإياك والغفلة عن النظر في أمورهم، وأمر مملكتك، ثم نفسك..

وقدِّم ما تُصلح به آخرتك، يصلح أَمْر دنياك، وسبيلك إذا لقيت حربًا أن تكون حازم الرأي في جميع أمورك.

واحذر الهزيمة؛ فإنها إذا وقعت بعسكر ليس يشد حزامًا سريعًا، وأكثر الجواسيس.

ولتكُن أخبار أعدائك معك وقتًا بوقت، واحذر من حيلة تعمل عليك، وإذا أمرت بأمر فسَلْ عنه بعد ذلك، ولا تقصر فيه، فيلحقك من ذلك نقصان الهيبة.

وإذا أمرت أن يُكتب لك كتاب، فاحذر ختْمه، وإنفاذه قبل أن تقرأه أنت؛ لأن الجيل تقع بالملوك، وأنت أول ملك أُهِّل لهذا الأمر.

وإياك أن تأنس إلى أحد، أو تكشف إليه سرًّا، بل يكون خواصَّك ورعيتك يأنسون إليك بحُسن سياستك لهم.

واجعل النوم لك بقدر راحة جسمك.

ولا تشغل نفسك إلا بجد الأشياء، وليكن أمرك كله جدًّا بلا هزل. وإذا هممتَ فافعل، وإذا قدرت فاتق، وإذا ألقيت فاحذر.

وإياك والغفلة عن الكيمياء العظمى وسياسة أهلها، وميل قلوبهم، والمسامحة لهم وهم الفلاحون؛ فإن الكيمياء عمارة الأرض بالزرع والنبات؛

فإن الرعية بها يسكنون، والجُند بها يكثرون، وبيوت الأموال بها تعْمُر، والدولة بها تثبت... فليس سبيلك أن تفعل أمرًا هذا عُقباه.

وسبيلك: أن تكرم أصحاب المراتب في المذاهب، ثم كل إنسان على قدر علمه وعقله، وأشهر إكرامهم؛ لئلا تجهل الرعية حقوق أهل الفرض.

ومن يطلب العلم، فأكرمه واعرف حقه، وفوِّض إليه الإحسان؛ لتزيد هِمَّته فيه، ويلطف عقله، ويصفو ذهنه، وتقل هِمَّته في أمر دنياه.. وينتفع به إن شاء الله تعالى.

وعجل العقوبة على المفسدين في الأرض بعد أن يصحَّ عندك جُرمَهُم، وتتضح خيانتهم.

ومن قدح في ملكك فاضرب رقبته، وأشهره ليحذر غيره.

ومن سرق، اقطع يده...

ومن تلصص في طريق فاضرب عنقه، واصلبه؛ ليشتهر ذلك، ويأمن سبيلك..

ومن وُجِدَ مع ذَكَرٍ مثله يفسق به، فحرقُه بالنار واجب.

ومن وُجِدَ مع امرأة يزني بها، فاضربه خمسين جلدة، وارجم المرأة مائة حجر، بعد إقامة البينة الثقة على ذلك.

واحذر أن تسمع قول ساعٍ. بل إذا صح عندك سعايته، فعجِّل عليه بالعقوبة وأشهره.

فرِّغ قلبك قبل أن تشغله بالمحال.

obeikandi.com

وإياك والغفلة عمَّن هو في الحبْس في كل شهر؛ لئلا يكون فيهم مظلوم، فمن يستحق التخلية، أطلقت سبيله بعد الإحسان إليه.

ومن استحق العقوبة عجلت عليه، ومن استحق أن يمهل إلى وقت ينكشف حاله رددته.

واحذر الإعجاب برأيك، والزم المشاورة بمن حَسُن عقله، وطعن في سِنِّه؛ لكثرة ما مَرَّ عليه من التجارب، وحصِّل آراءهم، فإن رأيت في أحدهم سدادًا، وإلا فاعتقد أنت من جميعهم رأيًا سديدًا.. ترشد، وبالله التوفيق.

وقال: الشريف: من استعمل الفضائل.

وأعظم الشرف: العدل، والعفة، والجود قبل الطلب.

وقال: حقيق أن يطلب المرء الحكمة، ويثبتها في نفسه، ولا يجزع من المصائب التي تَعُم الأخيار.

ولا يأخذ بالكبير، ولا فيما بلغ من سَرفٍ.

ولا يزهو بحال الغنى والسلطان، ويعدل بين بنيه بقوله وفعله، وتكون رغبته مما لا عيب فيها، ودينه غير مختلف، وحجته مما لا تنقص.. فما يُغيرُ الله ما بهو الأمن له ولعقبه.

وقال: لا يستطيع أحد أن يجد الخير والحكمة، إلا أن يخلص نَفْسَهُ في المعاد.. ولا خلاص له منه، إلا أن تكون له ثلاثة أشياء: وزير، وولي، وصديق..

فوزيره: عقله..

ووليه: عفَّته..

وصديقه: علمه الصالح..

وقال: أحمدُ الأشياء عند أهل السماء والأرض: لسان صادق، ناطق بالعدل والحق.

وقال: لكل شيء حيلة غير الموت.

وكل شيء فانٍ، غير الإثم.

وكل شيء يبيد، غير العمل الصالح.

وكل شيء يطاق تعبيره غير الطباع.

وكل شيء يُقدر على إصلاحه، غير الخُلُق السوء.

وكل شيء يُستطاع دفعه، غير القضاء.

وقال: ليس العجب ممن امتنعت عنه الشهوات، أن يكون فاضلًا... وإنما العجب ممن الشهوات مقرونة به، ويكون فاضلًا.

وقال: لا خير فيمن يستر وجه العفو بمكروه التقريع.

وقال: لا تعجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقًا.

وقال: زلَّة العالم ككسر السفينة، تَغْرق ويغُرق معها خَلْق كثير.

وقال: الغِنَى: وطن.

والفقر: غُربة..

والطمع: رقٌّ..

واليأس: حرية..

وقال: إذا كان الملك لا يقدر على قهر حواسه، وغلبة شهواته.. فكيف يقدر على ضبط خاصته، وكيف يقدر على ضبط أعوانه؟ وإذا لم يقدر على ضبط أعوانه، فكيف يقدر على رعيته؟ وما بعد عن مملكته.. فسبيل الملك: أن يبتدئ بسلطانه على نفسه؛ ليستقيم سلطانه على غيره.

opeikandl.com

من آداب «طاطو» وهو صاب بن إدريس عليه السلام

وإليه يُنتسب الحُنفاء.. فقيل لهم: الصابئون.

قال: من لم يملك عقله، لم يملك غضبه.

وقال: الملك اللبيب يبلغ بالرفق والمداراة ما لا يبلغه بالجفاء والصولة، وخاصة مع الأخيار.

فسبيل المُلك الحازم: أن يختبر الرجال بأفعالهم، لا بما يُشاهد من عِظَم أجسامهم.

وكذلك: لا يظهر لا يظهر الخلاف على من ليس له به طاقة.

وقال: إذا جمع الملك الأموال، ولم ينفق منها في مواضع الحقوق.. كان ذلك سبب تضييعها مع إتلاف ملكه.

وقال: النار إذا اشتعلت بغير ريح، ضعف عملها، وبطأ إحراقها.

وقال: جَمْعُ المال يحتاج إلى الأعوان، والأعوان يحتاجون إلى المال.

وقال: سبيل السلطان: أن يعرف المنقطعين إليه، وينزلهم بمنازلهم، وعقولهم وعلومهم، ونصحهم وما يستحق كل امرئ منهم، ولا يكثر عطاؤه وإنعامه عليهم، ولا يحصل له في نفوسهم موقع لا يجدون به سرورًا.

وقال: سبيل الملك: ألا يصطنع لمعروفة مِن عُرِف بالكذب والشر، تقديرًا منه أنه إذا اصطنعه، زال عن طبعه، وَغيَّره، فإن تغيير الطِباع ونقلها، يبعد عن صاحبه.

وقال «صاب»: لا تأخذوا من الناس جميع ما عندهم، لكن ينبغي أن تأخذوا ممن هو من الناس محمود في جميع خصاله: جميع ما عنده وممن هو محمودٌ في شيء واحد، وذلك الشيء فقط.. فإن التفاحة ليس يلتذ منها برائحتها فقط، بل يلتذ مع ذلك منها بأكلها.

فأما الزهر.. فإنما يلتذ منه برائحته، ومنه ما لا يلتذ منه برائحته فقط.

بل بالنظر إليه مثل ورد الدفلي.

فأما النخلة.. فإنما يلتذ منها بثمرتها..

وأما شجرة الورد.. فبزهرها بعد أن يتوقى شوكها.

فإذا كان الأمر على ذلك، فينبغي أن يأخذ ممن هو محمود في الكلام والعقل جميع ما عنده، ممن هو محمود في الكلام.

وانظر مع ذلك إلى قوتك، هل أنت كُفء لأخذه؛ فإن التقاط العسل عن الزهر يمكن للنحلة، ولا يمكن للإنسان.

وقال: سبيل من تعلَّم الحكمة أن يلقنها للمتعلمين، ويُقرئها لهم، ويفهمهم إياهم.. فإن الفهم الأخير يحل رباط الجهل القديم..

obeikandl.com

أسقليبوس

هو «النبي» الحكيم عليه السلام.. كان تلميذًا لهرمس عليهما السلام.

وقيل: كان تلميذًا لهرمس المصري.. وكان مسكنه أرض الشام.

وذكر «جالينوس»: إن الله تعالى أوحى إليه «لأن أسمِّيك حكيمًا ملكًا، أقرب من أن أسمِّيك إنسانًا».

وذكر «أبقراط»: أنه ارتفع إلى الهواء في عمود من نور.

وحكى «أفلاطون» عنه: أنه تحاكم إليه رجل وامرأة في جنين كان في بطن المرأة فقال: «أسقليبوس» للمرأة: يا ظالمة إنه كان زوجك في هيكل عبدة الشمس يدعو لك بالبقاء والسلامة... وأنت واقعك غلام من بني فلان، وستلدين غلامًا بعد ثلاثة أشهر مشوهًا.

فولدت جنينًا في صدره يَدَان.

ثم قال للرجل: عقدتَ نكاح المرأة على ما لا ينبغي، فحصدت منها أكثر مما زرعت.

وخبأ له رجل مالًا، ثم قال: يا نور الألباب... ضاع لي مال، فآثره لي.

فنهض معه فأخرجه، ثم قال لرجل: إن المال تسلبه فسلبه.

وقيل: إنه رجل علم الطلب في مكان لليونانيين برومية بهيكل الشمس.

وقيل: إنه هو الذي وضع هذا الهيكل، ويُعرف بهكل الشمس، ويدل على هذا قول «جالينوس»: إنني لما خلصني الله تعالى من مرض قتَّال، حججت إلى بيته المسمَّى بهيكل الشمس.

وكان «أسقليبوس» يحرص على العلم، وهو مستنبط للطب، وكان مُعَظَّمًا عن اليونانيين، وكان القوم يستسقون بقبره.

ويقال: إنه كان يُسرج على قبره -كل ليلة- ألف قنديل.

وكان الملوك والحُكماء من نسله، وكان له في جميع نواحي الأرض اثنا عشر ألف تلميذ.

وكان يُعلم الطب مشافهة، وكان نسلة يتوارثون الطب إلى زمن «أبقراط»، وكان يسافر معه إلى البلاد.

فلما خرجوا إلى الهند، وجاءوا إلى (فارس) خلفه ببابل؛ ليضبط الشرع فيهم.

فلما كان في آخر عمره.. اعتل، فاجتمع إليه جماعة من الحُكماء فعادوه.

فلما رأى اجتماعهم عَلِمَ أن المعابد والهياكل قد خَلَتْ منهم، فقال لهم: هذا ما كنت أوصيكم به، وكنت أنهاكم عنه.. ولكن المستعان بالله عليكم.. قد استعملتم الآراء الفاسدة؛ ليتفرد كل واحد منكم بشيء، أو يجعل له سوقًا؛ ليكون له فيه مرتبة وأطعمتم جُهَّالًا من ملوككم، واخترتم الدنيا على الآخرة، ولا حتى تسألون ما جاء به من اصطفاه الله تعالى، واتَّخذه رسولًا إليكم، ومرتِّبًا لشريعتكم (يعني): «إدريس» كان أَوْلَى، وأحمد عاقبة.

وقال لهم: عهدي ذات ليلة، ونحن بَحضرة «النبي» الأعظم: أشركنا الله تعالى في صالح دعائه، ونحن على أسرِّ ما كُنَّا عليه من العبادة التي يجب علينا إذا دخل غلمان بأطباق هدايا حسنة.

فردَّها ووضع خدَّه على الأرض، وقال: ربِّ أعطوني ما ليس لي، فخُذْهُم بما جنوا على أنفسهم، وعلى غيرهم، ولا تجمع لهم شملًا «فاستجيبت دعوته».

opeikandl.com

آداب أسقليبوس

وقال: إن من عرف الأيام، لم يغفل الاستعداد.

وقال: إن أحدكم بين نعمة من باريه سبحانه، وبين ذنب من عمله.. وما يصلح هاتين الحالتين إلا الحمد للمنعم، والاستغفار من الذنب.

وقال: كمن من دهرٍ ذممتموه، فلما صرتُم إلى غيره حمدتُّموه.

وكم من أمر يغضب أوائله، وبكّى عند أواخره عليه.

وقال: المجتهد بغير معرفة، كحمار الطاحون، يدور ولا يبرح، ولا يدري ما هو فاعل.

وقال: فوت الحاجة، خير من طلبها من غير أهلها.

إعطاء الفاجر، تقوية له على فجوره.

والصنيعة عند الكفور: إضاعة للنعمة.

وتعليم الجاهل: ازدياد في الجهل.

ومسألة اللئيم: إهانة للعرض.

وقال: إني أعجب ممن يحتمي من المآكل الردية مخافة الضرر.. ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة.

وقال: أكثروا من الصمت؛ فإنه سلامة من المقت، واستعملوا الصدق؛ فإنه زين المنطق.

obeikandl.com

وقيل له: صِفْ لنا الدنيا.

قال: أمسٌ: أجل، واليوم: عمل... وغدًا: أمل.

وقال: المشفق عليكم يسيء الظن بكم، والزاري عليكم كثير العتب لكم، وذو البغضاء قليل النصيحة لكم.

وقال: سبيل من له دين ومروءة أن يبذل لصديقه نفسه وماله، ولمن يعرفه طلاقة وجهه، وحُسْن محضره.. ولعدوه العدل، وإن يتهاون عن كل حال يعيبه.

obeikandl.com

الحكيم العظيم الرَّبَّاني (أنباذقلس)[١]

هو ابن «بادر» من أهل «أفراغلينا»، وهو من الكبار والعظماء عند الجماعة من الحكماء، دقيق النظر في العلوم الحكمية، رقيق الحال في الأعمال.

ولمَّا وَعَى الحكمة من «داود»[٢]، و«لقمان»[٣] بالشام، وعاد إلى اليونان فتكلَّم بالحكمة، فقال: إن «الباري» تعالى لم يزل هويته فقط، وهو العلم المحض، والإرادة المحضة، والجود، والعز، والقدرة، والخير، والحق، لا أرى هناك قوى مُسمَّاة بهذه الأسماء..

بل هي: هو، وهو: هذه كلها مبدعة فقط، إلا أنه أبدع من شيء ولا أنه كان معه شيء، فأبدع البسيط الذي هو أول البسائط المعقولة، أعني: العنصر الأول.

ثم كثُرت الأشياء المبسوطة من ذلك المُبدع البسيط الواحد.

ثم كوَّن المركبات من المبسوطات، وهو مبدع المتضادات، والمتقابلات المعقولة، والخيالية، والحسية.

---

(١) أنباذقلس «٤٩٥ – ٤٣٥ق.م» فيلسوف يوناني قال: إن العالم مؤلف من أربعة عناصر: الماء، والهواء، والنار، والتراب.. ولكل منها كيفية خاصة.

(٢)داود «ت. ح ٩٧٢ق.م» النبي والملك يصعد نسبه إلى إسحاق بن إبراهيم.

(٣)لقمان الحكيم: معمر عُرِف في الجاهلية قبل الإسلام، وفي القرآن الكريم سورة باسمه.

وقال: إن المنطق لا يقدر أن يغير ما عند العقل؛ لأن العقل: أكثر من المنطق؛ لأنه بسيط.. والمنطق: مركب متميز... والعقل: متحد، فليس للمنطق -إذن- أن يصف «الباري» تعالى إلا بصفة واحدة، وذلك أنه هو ولا شيء من هذه العوالم بسيط ولا مركب، إلا العنصر الأول: بسيط من نحو ذات العقل، ليس هو بسيطًا مطلقًا.. أي: واحدًا بحتًا.

فلا معلول إلا وهو مركب تركيبًا عقليًا، أو حسيًا.. فالعنصر في ذاته – مركَّب من المحبة، والغَلَبة.. وعنهما نشأت الجواهر البسيطة الروحانية والجسمانية.. فصارت المحبة والغَلَبَة صفتين، أو صورتين للعنصر، مبدأين لجميع الموجودات، فانطبعت الروحانيات كلها على المحبة الخالصة، والجسمانيات كلها على الغلبة، والمركبات على طبيعتي المحبة والغلبة، والازدواج والتضاد، بمقدارهما في المركبات تعرف مقادير الروحانيات في الجسمانيات.

ولذلك: ائتلفت المزدوجات، واختلفت المتضادات، والائتلاف الذي فيها: من الروحانيات، والاختلاف والغلبة: من الجسمانيات.. وربما اجتمعا في نفسٍ واحدة بإضافتين مختلفتين.

وكان في زمن «داود» عندما أخذ الحكمة عن «لقمان» بالشام، وقيل: عن «سليمان»، ثم انصرف إلى بلاد اليونانيين، فتكلم بخلقه العالم بشيء فهجره بعضهم، وطائفة من الباطنية تنتمي إلى حكمته.. ويزعم أن له رموزًا أقل ما يوقف عليها.

وكان «محمد بن عبد الله بن مسرة الجبلي الباطني»[1] من أهل قرطبة – كلفًا بفلسفته، دءوبًا على دراستها، وهو بالجُملة: عظيم الشأن، جليل القدر، كثير الرياضة والتأله، والتقشف، تاركًا للدنيا، مُقبلًا على الآخرة، ماهرًا في معرفة النفس والمجردات وأحوالها، وتراتيبها.

وقد رأيتُ له كتابًا في الفلسفة يدل على ذوقه وكشفه، وقوة سلوكه، وتبريزه في العلم الإلهي، وحكمته.

وهو أول من ذهب إلى الجمع بين معاني صفات الله، وأنها كلها تؤدي إلى شيء واحد.. وليس ذات معانٍ متميزة، يختص بهذه الأسماء المختلفة.. بل هو الواحد بالحقيقة الذي لا يتكثر أصلًا، بخلاف باقي الأشياء الموجودة... فإن الوحدانيات العالية معرَّضة للتكثر، إما بأجزائها، أو بمعانيها، أو بنظائرها.

فذات «الباري» سبحانه وتعالى مُنزَّه عن هذا كله.. وإلى هذا المذهب ذهب «علي بن أبي طالب»[2] رضي الله عنه، و «أبو الحسين البصري»[3] وجماعة من المعتزلة، وجمهور الحُكماء.

(١) محمد بن أحمد الجبلي، أبو عبد الله «تُوفي عام ٣١٣هـ»: عالم بالأحكام، من أهل قرطبة.

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي، القرشي أبو الحسن «٢٣ ق. هـ- ٤٠هـ» أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول الناس إسلامًا، بعد السيدة خديجة.

(٣) محمد بن علي الطيب، أبو الحسين البصري «ت ٤٣٦هـ»، أحد أئمة المعتزلة.

obeikandi.com

- من حكمه.. وأقواله:

ومن لطائف كلماته قوله: إن في طلب الفلسفة شرفًا، وإن مرتبتها لعالية عظيمة، فينبغي لمن طلبها أن يكون ذهنه صافيًا، وعقله لطيفًا، وهمومه في هذا العالم قليلة.

وإن في طلب الحكمة فضيلة، ومرتبة شريفة، وهي -في ذاتها وحدودها- تدل على ما وصفت.. وذلك أنها تثير العقل بالنور العالي الإلهي في طلبه إياها.

وإن الحكمة لترغب في الرحلة عن هذا العالم، إلى ذلك العالم، وتُزهِّد العقل والنفس في هذا العالم... فلا مرتبة أفضل من هذه المراتب الثلاث.

ومما نُقل في أمر المعاد: أنه نبقى في هذا العالم على الوجه الذي نعهد بأمر النفوس التي تشبثت بالطبائع والأرواح التي نطقت بالشبائك، حتى تستغيث في آخر الأمر إلى النفس الكُلية... فتتضرع النفس الكلية إلى العقل، ويتضرع العقل إلى «الباري» تعالى، فيسيح «الباري» تعالى، على العقل، ويسيح العقل على النفس، وتسيح النفس على هذا الغالم بكل نورها.. فحينئذٍ تستضيء الأنفس الجزئية، وتشرق الأرض والعالم بنورها، حتى تعاين الأنفُس الجزئية كلياتها... فتتخلص عن الشبكة، وتتصل بكلياتها، وتستقر في عالمها مسرورة محبورة.

وقال: إن العنصر الأول لما صور في العقل ما عنده من الصور العقلية والروحانية، وصور العقل في النفس ما استفاد من العنصر، وصورت النفس الكلية في الطبيعة الكلية ما استفادت من العقل، حصلت قشور في الطبيعة لا تشبهها، ولا شبيهة لها بالعقل الروحاني اللطيف.

فلما نظر العقل إليها، وأبصر الأرواح واللبوب في الأجسام، والقشور... ساح عليها من الصور الحَسَنة الشريفة، وهي صور النفس المشاكلة للصور العقلية اللطيفة الروحانية، حتى يدبِّرها، ويتصرف فيها بالتمييز بين القشور واللبوب.. فيصعد باللبوب إلى عالمها.

فكانت النفوس الجزئية أجزاءً للنفس الكلية، كأجزاء النفس المشرقة على منافذ البيت، والطبيعة الكلية معادلة للنفس.

وفرقٌ بين الجزء، وبين المعلول.. وخاصة النفس الكلية المُحبة؛ لأنها لَمَّا نظَرَت إلى العقل وحُسنه... عشقته، فطَلَبت الاتحاد به، وتحركت نحوه.

وقال: ليس يقدر أحد أن يعرف النفس إلا من كانت نفسه طاهرة زكية تستولي على بدنه، فيعرف حينئذٍ ما النفس، ويراها رؤيا حسنة؛ لأنها روحانية غير متجسمة... ويعرف أنها جوهر لا أشرف منه، ولا أكرم باقٍ، دائم، لا يموت ولا يفنى.

فأما جُل الناس، فإن نفوسهم ناقصة، كأنها بدنٌ مقطوع الأعضاء، فينكرون شرفَهَا وحُسْنها وبَسْطها، وعدم موته.. وهو خطأ؛ لأنه لا ينبغي أن يقول قولًا في شيء قبل أن يفحص عنه، ويعرف علته، وباطنه وظاهره... ثم يقضي عليه، إذا أراد أن يفحصه عن شيء، فلا يُلقي نظرة خارجة على القشر الظاهر.. بل يحرص على أن يلقيه على روحانية الشيء الباطن الذي هو الجوهر الخالص بعينه، وإلا لم ينل معرفة حقيقة ذلك الشيء.

فافهم ذلك... وهذا الكلام في غاية الحسن.

وقال: إن من أراد أن يعرف الأشياء من العُلو-أعني: من الجوهر الأول -عسر عليه إدراكها.

ومن طلبها من أسفل عسر عليه إدراك العلم الأعلى؛ لانتقاله من جوهر كثيف.. إلى جوهر في غاية اللطف.

ومن طلبها من المتوسط، وعرف المتوسط كنه المعرفة، أدرك به علم الطرفين، وسهل عليه الطلب.

وهذا كلام عجيب، لا يعرف قدره، إلا من عرف المتوسط: أعني: النفس الإنسانية.

وقال: إن النفسَ جوهر مبسوط متحرك باقٍ، وليس يعني بالبسط: هذا البسط، ولكن بسط الذهن والوهم.. فإن ذلك البسط روحاني... وهذا البسط جزئي مركب عند البسط الأول الوهمي والذهني، وإنما صار عندنا مبسوطًا؛ لأننا لا ندرك شيئًا من الأوائل اللطيفة، التي هي مدركة في هذا العالم؛ إذ هي ألطف من ذلك.

فإن أردت أن تعلم خاصية المبسوط، فتوهَّم النور لا النار، والضياء لا الضوء.

ولو لم تكن النفس مبسوطة، لم تكن نَيِّرة، ولا كان يتصل نور بعضها ببعض؛ وذلك لأن من هذه الجواهر الخمسة ثلاثة نقية من القشور، واثنان كثير القشور.

obeikandi.com

فالثلاث الروحانية المبسوطة يختلط بعضها ببعض، وكل واحد محيط بالذي دونه.

وأما الجوهران الآخران.. فهُما أفق باطن الأفلاك الثلاثة، فمن هذه الجهة صارت هذه الجواهر مبسوطة؛ لأن النور محيط لها، ولأنه لَمَّا صار كل جوهر من هذه الجواهر محيطًا بصاحبه كإحاطة الفلك بالفلك.. كان نور كل واحد من هذه الجواهر متصلًا بنور صاحبه، يستمد الذي هو أدنَى من صاحبه الذي هو أعلى منه بوصلة واحدة، ولا فرق بينهما أكثر من أنه يصل إلى الأول قبل الثاني، وإلى الثاني قبل الثالث، والوصلة بينهما غير منقطعة.. إلى أن يصل إلى الطبيعة، فتنقطع.. لأن فلك النفس لا يحيط بفلك الطبيعة، والطبيعة محيطة بفلك الهيولي الثانية، والعقل يمد النفس بنور الهيولي الأولى، فيفيضه على الطبيعة.

وقيل لـ «أنباذقلس»: لأي شيء قعدت عن خدمة الملوك؟

فقال: لعلني بقِلَّة من يسلم منهم.

وقال له تلميذه: أي العلوم أشرف؟

فقال: ما العامة فيه أزهد.

وقال: كما أن الإناء إذا ترك فيه أكثر مما يسعه خرج منه، كذلك الذهن إذا ترك فيه أكثر من المقدار الذي يمكنه تحير.. وربما خرج بعض ما كان ضابطه.

وقال: إذا أرسلت لتأتي ببُر، فلا تأتي بتمر فيؤكل تمرك، ولا تسلم من العتاب.

خبر فيثاغورس

الفيلسوف المتأله

أصله بالرومية «تثواغورس» ومعنى «تثو: الله»، ومعنى «اغورس»: الشاب، ومعناه «شاب الله»، لكنهم يُقدِّمون المضاف إليه على المضاف.

وكان «فيثاغورس» بعد «أنباذقلس» بزمان، وأخذ الحكمة من أصحاب «سليمان» بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام.

وكان قد أخذ الهندسة قبلهم من المصريين.. ثُمَّ دخل إلى بلاد اليونان، وأظهر الهندسة عندهم، وعلم الطبيعة، وعلم الدين.

واستخرج -بذكائه- الموسيقى، وأوقعها تحت النِّسب العددية... وادَّعى أنه استفاد من مِشْكاة النبوة.

وله في نصب العالم -تركيبة على خواص العدد ومراتبه- أمور عجيبة، وأغراض بعيدة.

ويقارب «أنباذقلس» في أن فوق عالم الطبيعة عالمًا روحانيًا نورانيًا، لا يُدرك العقل حُسنه وبهاءه، والأنفس الذكية تشتاق إليه.

ومَنْ قَوَّم نفسه وبَرَّأها من العُجْبِ، والتجبُّر والرِياء، والحَسَد وغيرها من الشهوات البدنية فقد صار أهلًا للُّحُوق به، والاطلاع على جواهره، والانغماس في لذاته.

وله تواليف شريفة في الحكمة والموسيقى، وغيرها... وذكروا أنه كان يرى السياحة، واجتناب مماسة القاتل والمقتول.

وأنه أمر بتقديس الحواس، وبعمل العمل بالعدل، وجميع الفضائل، والكف عن الخطايا، والبحث عن العطية الإنسانية؛ ليعرف طبيعة كل شيء.

وأَمَر بالتجارب، والتأدب بشرح العلوم العُلوية، ومجاهدة المعاصي، وعصمة النفوس، وتعلم الجهاد، وإكثار الصيام، والقعود على الكراسي، والمواظبة على قراءة الكتب، وأن يُعلِّم الرجال الرجال، وأن تعلِّم النساء النساء.

وأَمَر بجَودة المنطق، ومواعظ الملوك.

وكان يقول ببقاء النفوس، وكونها -فيما بعد- في ثواب، أو عقاب على رأي الحكماء الإلهيين.

وكان له غذاءان، أحدهما لا يجوع معه.

وكان قد ألزم نفسه عادة موزونة، فلم يكنْ مرَّة صحيحًا، ومرة سقيمًا، ولا كان مرَّة يسمن، ومرة يهزل.

وكانت نفسه لطيفة جدًّا، ولم يكن يفرح بإفراط، ولا يحزن بإفراط، ولا رآه أحد قطُّ ضاحكًا، ولا باكيًا.

وكان يقدم إخوانه على نفسه.

وكان أول من قال: إن أموال الإخلاء مشاعة، غير مقسومة.

وكان يرمز حكمته ويسترها.. فمن رمزه قوله: لا تعدِّي في المسرَّات، أي: اجتنب الإفراط.

ولا تحرك النار بالسكين؛ لأنه قد حميت منها مرة أي: اجتنب الكلام المحرض عند الغضوب المغتاظ.

ولا تجلس على فقر، أي: لا تعش في البطالة.

ولا تمُر بغياض الليوث، أي: لا تعتدِ بآراء المردة.

ولا تعمُر الخطاطيف البيوت، أي: لا تعتدَّ بأصحاب الطرمذة غير المالكين لأنفسهم.

وألا تلقى الحمل على حامله، لكن يُعان على حمْله، أي: لا يغفل أحد أعمال نفسه في الفضائل والطاعات.

وألا تلبس تماثيل الملائكة على فصوص الخواتم، أي: لا تجهر بديانتك، وتدع أسرار العلوم الإلهية عند الجُهَّال.

وذكر «فرفريوس» في تاريخه حكايات عجيبة، ظهرت عن «فيثاغورس» مما تكهَّن به، ومن إخباره بمغيِّبات سُمِعَت منه، وشوهدت.

وكان لـ«فيثاغورس» أب اسمه «مينساخورس» من أهل صور.. وكان له أخوان، الأكبر منهما «أوبوسطوس»، والآخر: «طورينوس».

وكان اسم أمه «بوثانس بنت لياحقانوس»: من سكان (ساموس)، ولما غلب على صور ثلاث قبائل: ليمون، ويمقرون، وسقرون، فاستوطنوها، وجلا أهلها منها، وجلا والد «فيثاغورس» معه فيمن جلا.

وسكن البحيرة، وسافر منها إلى (ساموس) ملتمسًا كسبًا، فأقام بها، وصار مكرمًا.

ولما سافر منها إلى (أنطاكيا) أخذ «فيثاغورس» معه ليتفرج بها؛ لأنها كانت نزهة جدًّا كثيرة الخصب.

فذكروا أن «فيثاغورس» إنما عاد إليها؛ ليسكنها لما رأى من طيبها أول مرة، ولما جلا منها «منسارخورس» سكن (ساموس)، ومعه أولاده: «أوبوسطوس»، و«طورينوس»، و«فيثاغورس»ـ فتبنَّى «أندراماخس» رئيس (ساموس) لفيثاغورس، وكفله لأنه كان أحدث الإخوة، وأسلمهم من صغره في تعلم الآداب واللغة والموسيقى.

فلما التحق وجَّهه إلى مدينة (مليطون)، وأسلمه إلى «أكثمايدوس» الحكيم؛ ليعلم الهندسة، والمساحة، والنجوم.

فلما أحكم «فيثاغورس» هاتين اشتد حُبُّه للعلوم والحكمة، فسافر إلى بلدان شتَّى طلبًا لذلك... فورد على المصريين والكلدانيين وغيرهم... ورابط الكهنة بمصر، وتعلم منهم الحكمة، وحذق لغة المصريين ثلاثة أصناف من الخط: خط العامة، وخط الخاصة، وهو خط للكهنة المختصر، وخط الملوك.

وعندما كان في (أراقليا) أعني: (هرقلة)، وكان مرابطًا لملكها.

ولما صار إلى بابل ربط رؤساء كلدانيين، ودرس على زارباطا فبصَّره بما يجب على الصديقين، وأسمعه سماع الكبار... وعلَّمه أوائل الكل، إنما هي.

فمن ذلك فُضلت حكمة «فيثاغورس»، وبه وُجِدَ السبيل إلى هداية الأمم، وردَّهم عن الخطايا الكثيرة؛ لكثرة ما اقتنى من العلوم من كل أُمَّة، ومكان.

وورد على «أفاراقوديس»: الحكيم السرياني في بداية أمره في مدينة اسمها (ديلون) من (سوريا)، وخرج عنها... فسكن (ساموس).

وكان قد عرض له مرض شديد.. حتى إنَّ القملَ كان ينهش من جسمه.. فلما عَظُمَ به الأمر سَلَّموه جُملة من تلاميذته إلى «أفاسوس».

ولَّما تزايد ذلك عليه، رغب إلى أهل (أفاسوس)، وأقسم عليهم أن يجولوه من مدينتهم إلى (ساعاينسا)، وعُني تلامذته بخدمته حتى مات، ودفنوه، وكتبوا قصته على قبره.

ورجع «فيثاغورس» إلى مدينة (ساموس)، ودرس على «أرمودانطيس»: الحكيم الإلهي المتأله، المكنَّى «بغراوقوليو» بمدينة «ساموس»، ولقي بها أيضًا «أرموداماليس»: الحكيم الإلهي، المكنَّى «أفروليم»، فرابطه زمانًا.

وكان قرابة ساموس، فصارت لفولو فراطيس أراطرون، واشتاق «فيثاغورس» إلى الاجتماع بالكهنة الذين بمصر... فابتهل إلى «فول إفراطيس» أن يكون له على ذلك مُعينًا فكتب إلى «أماسيس» ملك مصر كتابًا يخبره بما تاق إليه «فيثاغورس»، ويعلمه أنه صديق من أصدقائه، ويسأله أن يجود عليه بالذي طلب، وأن يتحنن عليه.

فأحسن «أماسيس» قبوله، وكتب إلى رؤساء الكهنة بما أراد.

فورَدَ على أهل مدينة الشمس، وهي المعروفة في زماننا بعين شمس، بكتاب ملكهم... فقبلوه قبولًا كريمًا، وأخذوا في امتحانه زمانًا... فلم يجدوا عليه نقصًا ولا تقصيرًا.

فوجَّهوا به إلى كنهة «منف»؛ كي يبالغوا في امتحانه، فقبلوه قبولًا على كراهة، واستقصوا امتحانه، فلم يجدوا عليه «نقصًا»، ولا أصابوا له عثرة.

فبعثوا به إلى أهل (ذيوسبولس)؛ ليمتحنوه، فلم يجدوا عليه طريقًا، ولا إلى إدحاضه سبيلًا لعناية ملكهم به.

ففرضوا عليه فرائض صعبة؛ كيما يمتنع من قبولها، فيدحضونه ويحرمونه طلبه مخالفة لفرائض اليونانيين.

فقَبِلَ ذلك، وقام به، فاشتد إعجابهم منه، وفَشَا بمصر ورعه.. حتى بلغ ذِكْرِه إلى «أماسيس» فأعطاه سلطانًا على الضحايا للرب تعالى، وعلى سائر قرابينهم.

ولم يعطِ ذلك لغريب قط.. ثم مضى «فيثاغورس» من (مصر) راجعًا إلى بلاده، وبنى له بمدينة (أبويه) منزلًا للتعليم، فكان أهل (ساموس) يأتون إليه، ويأخذون من حكمته.

واعتزل خارجًا من تلك المدينة (أمطرون)، فجعله مجمعًا خاصًا لحكمته، وكان يرابط مع قليل من أصحابه أكثر أوقاته.

ولما أتت عليه أربعون سنة، وتمادت طرانة «فولواقراطيس»، وكان قد استخلفه عليه حينًا طويلًا، واستكفاه... ففكر ورأى أنه لا يَحْسُن بالمرء الحكيم المُكْث على لزوم الطراية، والسلطان، والغشم.

فرحل إلى (أنطاكيا)، وسار منها إلى (أفروطوليا)، ودخلها فرأى أهلها حُسْن منظره، ومنطقه، ونُبله، وسِعَة عِلمه، وصحة سيرته مع كَثْرة يَساره، وتكامله في جميع خِصاله، واجتماع الفضائل كلها فيه.

فانقاد له أهل (أفروطوليا) انقياد الطاعة العلمية.. فألزمهم عِصمة القُدماء، وهَدى نفوسهم، ووعظَهُم بالصالحات، وأمر الأراكنة أن يضعوا للأحداث كُتُب الأدب الحكمية، وتعلميهم إياها.

فكان الرجال والنساء يجتمعون إليه، ويسمعون مواعظه، وينتفعون بحكمته... فعظُم مجده، وكبر شأنه، وصير كثيرًا من أهل تلك المدينة مَهَرة بالعلوم... فانتشر خبره، حتى إن عامة ملوك البربر وردوا إليه يسمعون حكمته، ويستوعبون من علمه.

ثم إن «فيثاغورس» جال في مدن (أنطاكيا)، و(سقليا)، وكان الجور والتمرد قد غلب عليهم... فصاروا سماعيه وصديقيه من أهل (قروطونيا)، وأهل (سوراقوسيا)، وأهل (فرافطا)، و(الروم)، وأهل (طافر)، و(ماسون).. وغير ذلك، فاستأصل الفتنة منهم، ومن نسلهم إلى أحقاب كثيرة.

وكان منطقه طاردًا لكل مُنكر... ولمَّا سمع حِكَمِهِ ومواعظه «سيماخوس أطرون»[1]، و(فانطورينا) خرج من مُلكه وخلَّف أمواله، بعضها لأخيه، وبعضها لأهل مدينته.

وذكر أن «بابوس» [2] الذي كان جنسه من قرش، وكان ملكًا قويًّا من ولد «فيثاغورس».

وكانت زوجته تعلم سائر النساء... ولما تُوفي «فيثاغورس» عمد «ديهوطبريوس» المؤمن إلى منزل الحكيم، فجعله هيكلًا لأهل (قروطونيا).

وذكروا أن «فيثاغورس» كان على عهد «كورس» [3]: ملك الفرس – حَدَثًا، وكان مُلكه ثلاثين سنة.

وملك بعده ابنه «فاسوس»، و«فيثاغورس» في الحياة، وإن «فيثاغورس» لبث بساموس ستين سنة.

وسافر إلى (أنطاكيا)، ثم توجَّه منها إلى (قروطونا)، فأقام بها ثمان سنين، وأنه لما هاج عليه بها ذلك الهيج، رحل منها إلى (ساطربوبطبوس)، فمكث بها خمس سنين وتُوفي.

---

(١) سيماخوس أطرون «٣٤٠- ٤١٦م»: خطيب وسياسي روماني، دافع عن الوثنية وهاجم المسيحية.

(٢) بابوس: «نحو عام ٣٠٠م» عالم رياضي يوناني، قام بتسجيل من سبقوه وأضاف إليها كثيرًا.

(٣) كورس، أو قورش الكبير: أول ملك فارسي «٥٦٠- ٥٢٩ ق.م».

وكان غداؤه: عسلًا شهدًا، وعشاؤه خبزًا، وأجحونا وبقولًا شِبه مطبوخة، ولم يكن يأكل من اللحم إلا ما كان من أضحية كهونته، مما كان يُقرَّب لله تعالى.

فلما أن رؤس على الهياكل، وصار رئيس الكهنة جعل يتغذَّى بالأغذية غير المجوعة، وغير المعطشة.

أما الغذاء غير المجوِّع، فكان يتخذه من بذر سقوينون، وسمسم، وقشر أسقال مغسول جيدًا، حتى ساملي، وأسار معول، وأسفود التوت العب طول، وحمص، وشعير من كل واحد جرامًا؛ لتحرير كان يسحقها، ويعجنها بجنس من العسل يُسمَّى المطيو.

وقال: وأما غير المعطش، فكان يهيئه من بذر القثَّاء، وزبيب سمين منزوع العجم، وزهر فورنون، وبذر ملوخيا، وبذر لوبيا، وإندراخين، ونوع من الخبز يُدعى قيل: طاموس، ودقموا واوليس، وكان يعجنها بعسل جانون.

وكان إذا وَرَدَ عليه وارد؛ ليسمع كلامه، ويكلمه على أحد وجهين.. إما بالاحتجاج الدرسي، وإما بالموعظة والمشورة، وكان يعلمه شكل درجتين.

وحضره سفر إلى بعض الأماكن، فأراد أن يؤنس أصحابه بنفسه قبل فراقهم، فاجتمعوا في بيت رجل يقال له: «دسلون» فبينما هم في البيت مجتمعون إذ هجم عليهم رجل من أهل فرونوطونيا اسمه «قلون»، وكان له شرف وحسب، ومال عظيم وكان يستطيل بذلك على الناس، ويتمرد عليهم، ويغتر بالجود.

وكان قد دخل على «فيثاغورس»، وجعل يمدح نفسه... فزجره بين جلسائه، فأشار إليه باكتساب من خلاص نفسه.

فاشتد غيظ «قلون» عليه، وجمع أخلاءه، وقذف «فيثاغورس» عندهم، ونسبه إلى الكفر... ووافقهم على قتله وأصحابه.

ولما هجم عليهم، قَتَل منهم أربعين إنسانًا، وهرب باقيهم... فمنهم من أُدرك وقُتِل.. ومنهم من أفلت، واختفى.

ودامت السعاية بهم، والطلب لهم، وخافوا على «فيثاغورس» القتل، فأفردوا له قومًا منهم، واحتالوا له حتى أخرجوه بالليل، ووُجِّهوا معه بعضهم حتى أوصلوه إلى (قاوامونيا)، ومن هناك إلى (الوقارس).

فانتهت البشاعة فيه إلى أهل (المدينة)، فوجَّهوا إليه مشايخ منهم، فقالوا له: «أما أنت يا فيثاغورس فحكيم فيما نرى.. فأما البشاعة عنك فسمجة جدًّا، لكنا ما نجد في نواميسنا ما يلزمك القتل، ونحن متمسكون بشرائعنا.. فُخذ مِنَّا ضيافتك، ونفقة طريقك وارتحل عن بلدنا بسلام».

فرحل منها إلى (فارقرطا)، ففاجأة هناك قوم من أهل (فاروطونيا)، فكادوا يخنقونه وأصحابه.

فرحل إلى (مقطانويطيون)، وتكاثرت الهيوج عليه في البلاد، حتى كان يذكر ذلك في أهل تلك البلاد سنين كثيرة... ثم إنحاز إلى هيكل يسمَّى هيكل المسوسين، فتحصن فيه وأصحابه.

ولبث فيهم أربعين يومًا فلم يتعدوا، فضربوا الهيكل الذي كان فيه بالنار.

فلما أحسَّ أصحابه ذلك، عمدوا إليه فجعلوه في وسطهم، وأحدقوا به ليقوه النار بأجسادهم.

فعندما احتدمت النار في الهيكل، واشتد لهبها، غُشي على «الحكيم» من لهب حرارتها، ومن الجوى... فسقط ميتًا.

ثم إن تلك الآفة عَمَّتهم أجمعين.. فأُحرقوا كلهم، وكان ذلك سبب موتهم.

وذكروا أنه صَنَّف مائتين وثمانين كتابًا، وخلَّف من التلاميذ خلقًا كثيرًا.

وكان نقش خاتمه: «**شر لا يدوم.. خير من خير لا يدوم**»: أي شر ينتظر زواله، ألذ من خير ينتظر زواله.

وعلى منطقته: «**الصمت: سلامة... من الندامة**».

وكان يقول: إن فوقَ عالم الطبيعة عالمًا نورانيًّا لا يُدرك العقل حُسنه وبهاؤه.. إليه تشتاق الأنفس الذكية، وكل طبقة من طبقات العالم الجسماني بالنسبة إلى ما فوقه كالتفل له، وأيُّما إنسان أحسن تقويم نفسه من التبري من العجب، والتجبر، والمرايا، والحسد... وغيرها من الشهوات الجسمية.

فقد صار مستأهلًا لأن يصير في أعلى أقسامها، فيطَّلع على جميع ما في جواهر العالم من الحكمة الإلهية..

ومتى سعد بذلك، فقد نال السرور الحق، والعز الحق.

obeikandl.com

وكل نَفسٍ كانت شريرة دنسة، فإنها تبقى في هذه الأرض المحاطة باللهب، ويصير السماء للأنفس الزكية كالأرض، وتصير سماؤهم سماء نورانية أشرف من هذه، وهناك الحُسن والمَحسْن المَحْض، واللذة المحضة.

وكان «فيثاغورس» من العلماء الزُّهاد من (ميوس)، وأما كتب «فيثاغورس» فمائتان وثمانون كتابًا... وكانت سلمت لكونها كانت مخزونة (بأنطاكيا).

ويقال: كان عهد «فيثاغورس» في الوقت الذي سَبَى فيه بنو إسرائيل إلى (بابل) في سنة سبع وأربعين من السبي.

وقال «فيثاغورس»: إن «الباري» تعالى واحد، لا كالآحاد، ولا يدخل في العدد.. ولا يُدْرَك من جهة العقل والنفس والفكر العقلي، ولا المنطق النفسي بصفة.. فهو فوق الصفات العقلية، غير مُدرك من نحو ذاته، وإنما يُدرك بآثاره وصنائعه، وأفعاله..

فكل عالم من العوالم، مدركه بقدر الآثار الظاهرة فيه، يصفه بذلك القَدر الذي خصَّهُ من صنعه... فالموجودات في العالم الروحاني خُصَّت بآثاره خاصة روحانية، فتنْعَتْهُ من حيث تلك الآثار والموجودات في العالم الجسماني خاصة بآثاره خاصة جسمانية، وتنعته من حيث تلك الآثار.

ولا شك أن هداية الحيوان مُقدَّرة على الآثار التي جُبِلَ عليها.

وهداية الإنسان مقدَّرة على الآثار التي فُطِرَ عليها.. وكل بصفة من نحو ذاته، وتقدسه عن خصائص صفاته.

وقال: والوحدة تنقسم إلى وحدة غير مستفادة من الغير، كوحدة «الباري» تعالى، وهي وحدة الإحاطة بكل شيء، ووحدة الحُكم على كل شيء، وهي وحدة يصر عنها الآحاد في الموجودات والكثرة منها، وإلى وحدة مستفادة من الغير، كوحدة المخلوقات.

وربما قال: الوحدة مطلقًا تنقسم إلى وحدة قبل الدهر، ووحدة الدهر، ووحدة بعد الدهر، وقبل الزمان، ووحدة مع الزمان.

فالأولى: وحدة «الباري» تعالى.

والثانية: العقل الأول.

والثالثة: وحدة النفس.

والرابعة: وحدة العناصر والمركبات.

وربما قال: الوحدة إما بالذات كوحدة «الباري» تعالى، أو بالعرض كوحدة المخلوقات.

obeikandl.com

آداب «فيثاغورس» ومواعظه

قال: لما كان بدء وجودنا، وخِلْقَتنا من الله سبحانه.. هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة إلى «الله» تعالى.

وقال: إن أحببت أن تعرف «الله» سبحانه وتعالى، فلا تصرف عنايتك إلى معرفة الناس؛ فإنه قد يمكنك أن تعرف الله باليسير من الكَلِم.

وقال: ليس المتقدم عند «الله» سبحانه وتعالى لسان الحكيم بالتكرمة، بل: أفعاله.

وقال: الحكمة لله تعالى خاصة.. فمحبتها متصلة بمحبة «الله» تعالى.. ومن أحب «الله» سبحانه عمل بمحبته، ومن عمل بمحبته قَرُبَ منه، ومن قَرُبَ منه نَجا، وفاز.

وقال: ليست الضحايا والهدايا والقرابين بكرامات «لله» تعالى... لكن الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكرمته.

وقال: الأفعال الكثيرة في «الله» سبحانه علامة تقصير الإنسان عن معرفته.. فإذا خطر ببالك في كلِّ وقت شغل فيه أحد أفعال الجسم، أو النفس فالله تعالى المشاهد لجميع الأعمال والأفكار.. فإنك بسرعة تستحي ممن لا تفوته رؤية شيء، وهذا يكون إذا كان على «الله» تعالى اعتمادك.

وقال: أحط بالأشياء الجليلة النفيسة بالفعل، لا بالقول.. حتى يكون كما يريده الله سبحانه مِنَّا، وله خَلَقَنا.

وقال: الإنسان الحكيم المراقب لله سبحانه.. هو عند الله معروف، فلهذا لا يندم متى لم يكن معروفًا عند جميع الناس.

وقال: ليس لله في الأرض موضع أَوْلَى به من النفس الطاهرة.

وقال: ما أنفع للإنسان أن يتكلم بالأشياء الجليلة النفيسة، فإن لم يمكنه.. فليستمع لقائلها.

وقال: احذر أن تركب قبيحًا من الأمر، لا في خلوة، ولا مع غيرك.. وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد.

وقال: ليكن قصدك في المال: اكتسابه من حلال، وإنفاقه في حلال.

وقال: إذا سمعت كذبًا، فهوِّن على نفسك الصبر عليه.

وقال: روِّ قبل الفعل؛ حتى لا يُعاب في فعلك.

وقال: لا ينبغي لك أن تهمل أمر صحة بدنك، لكن تعنى بالقصد في الطعام والشراب، والنكاح، والرياضة.

وقال: احذر أن تفعل ما يجلب عليك التحسر.

وقال: لا تكن متلافًا بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده.. ولا يكن شحيحًا فتخرج عن الحرية، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها.

وقال: كن متيقظًا في آرائك أيام حياتك؛ فإن شتات الرأي مشارك للموت.

وقال: ما لا تفعله احذر أن تُخطره ببالك.

وقال: لا تطمع من الشرير أن يُحسن إليك؛ لأن تدبير كل إنسان لنفسه ومنحته لغيره –هو بحسب ما يعقد عليه فكره وضميره.

وقال: لسان الرجل المتحرض غير المرتاض، وصلواته وضحاياه.. نجاسة عند «الله» عزَّ وجلَّ.

وقال: معاتبة الإنسان نفسه، أنفع من عتابه لأصحابه.

وقال: الزاد الذي يصلح للحياة الصالحة، ألا يسيء الإنسان إلى مصاحبيه.

وقال: لن يمكن بالتغافل، الوصول إلى الموجودات على الحقيقة.

وقال: ظن بمن كان عديمًا للمعرفة أن مديحة وإمساكه وهجاه أهل أن تضحك منه.. فحياة من لا علم معه: عار.

وقال: ظُن بمعاضديك على الحكمة النافعة أنهم إخوانك.

وقال: الحاكم الذي لا يعدل في قضائه.. أهل لكل رداءة.

وقال: لا تدنس لسانك بالقذف، ولا تصغ بأُذنيك إلى مثل ذلك.

وقال: اجعل عقلك المستولي على جميع تدبيرات حياتك، فرقدة العقل، مجانسة للموت.

وقال: عَسُرَ على الإنسان أن يكون حُرًّا، وهو ينصاع للأفعال القبيحة الجارية مجرى العادة.

obeikandl.com

وقال: لا ينبغي للإنسان أن يطلب القنية الغالية، والأبنية المشيدة العالية؛ لأنها من بعد موته تبقَى على حدود طباعها، ويتصرف غيره فيها... لكن يطلب من القنية ما ينفعه بعد المفارقة، والتصرف فيها.

وقال: من الأحمد للإنسان أن يحيى وهو على سرير من خشب، وهو حَسنُ التوكل على «الله» عزَّ وجلَّ.. خير من أن يكون على سرير من ذهب.. وهو متشكك في «الله» عزَّ وجلَّ.

وقال: الحكيم إذا خرج على غير صواب، فهو سبب جمع الشرور.

وقال: اختر أن تكون متحركًا في نفسك لا في جسدك، فتكون أرباحك أرباحًا نفسية لا جسمية.

وقال: الأشكال المزخرفة، والأمور المموهة في أقصر الأزمان: تتبهرج.

وقال: عدم الفلاح ليس يضر فاعليه فحسب، ولكن يضر بالذين يتصلون بالفاعلين له.

وقال: أعتقد أن أُس مخافة «الله» تعالى: الرحمة.

وقال: إذا رُمْت أَذيَّة غيرك، فتصور أنك لا تخلص من أذيته.

وقال: وطِّن نفسك على قبول ما يَرِدُ عليك بالمستقبل من الأمور التي تسوء وتسر، وخاصة التي تسوء بورودها في كل يوم.

وقال: واجب عليك أن تبعد من جميع زخاف العالم المضللة، المكدرة للفكر.

وقال: لا تساعدنَّ عينيك للنوم قبل أن تتصفح الأفعال التي فعلتها في نهارك، فتقف على الموضع الذي زللت فيه وعلى ما فعلته، مما كان ينبغي ألا تفعله، فلم تفعله... ومتى كنت قد أتيت مكروهًا، فليدعونك... ومتى كنت قد أتيت رضًا، فليبهجنك... فإن ذلك يوطئ لك ما يقربُك إلى الفضيلة الإلهية.. أي: والذي وهَبَ لأنفسنا الينبوع ذي الأربع من الطبيعة التي لا تتغير.

وقال: متى التمست فعلًا من الأفعال، فابدأ إلى ربك عزَّ وجلَّ بالابتهال.. فالنُّجح فيه.

وقال: أعط من مالك الفضلاء، والناس الضعفاء؛ فالذي لا يعطي الأخيار حاجتهم، لا تتأتى له من الله تعالى حاجته.

وقال: الإنسان الذي اختبرته بالتجربة، فوجدته لا يصلح أن يكون صديقًا وخِلًّا -احذر أن تجعله لك عدوًّا.

وقال: لا يعد حرًّا من لا يتمكن من ضبط نفسه.

وقال: اجعل اختيارك للإنسان من أفعاله، خصوصًا من أقواله.. فإن كثيرًا من الناس تدبيراتهم رديَّة، وأقاويلهم شديدة، وأفعالهم خبيثة، وأقاويلهم جميلة.

وقال: علِّموا أولاد الفلاسفة الأعداد والأشكال؛ ليعرفوا من الأعداد: كيف انحراف الأشكال، وخروجها من الاستقامة... ولأجله كان «أفلاطون» ينادي: لا يدخل في الفلسفة شاب لا يعرف التعاليم الأربعة.

وقال: إذا أردت أن يطيب عيشك، فارض من الناس أن يقولوا: إنك عديم عقل، بدلًا من قولهم: إنك عاقل.

وقال: إذا فعلت الخير، ثم فارقت هذا البدن... كنت سائحًا في الملكوت غير عائد إلى الإنسانية، ولا قابلًا للموت.

وقال: ما أحسن الإنسان ألا يخطئ، وإن أخطأ فما أكثر انتفاعه بأن يكون عالمًا بأنه أخطأ، ويحرص في ألا يعاود.

وقال: من جرت عادته بأذيَّتك لا تسلم إليه في حكمك.

وقال: الخمر عدو النفس رابط ومانع لها عن تصرفاتها، مقوٍّ للجسم، منهض له، ويجري مجرى إلقاء نار على نار.

وقال: من الواجب على الإنسان أن يكون طائعًا لسلطانه وجيشه.. فهذا ليس يكون مطلقًا ، لكن إلى الحدِّ الذي يقتضي شروط الحرية.

وقال: لا تكشفنَّ أحدًا سرق من فاقة... فالسارق فاقته، لا هو.

وقال: إذا وعظت مذنبًا فبرفق؛ لئلَّا يخرج إلى المكاشفة.

وقال: التقلب في الأمصار، ومشاهدة الصناعات يزيد الرجال أدبًا وحكمة.

وقيل له: أي شيء في غاية المفسدة للإنسان؟

فقال: فضل المال.

وقال: شرف النفس أن تقبل النفس النعم، والمكاره قبولًا واحدًا.

obeikandi.com

وقال له رجل: مَنْ أشقَى الناس؟

فقال: من يجمع المال لغيره.

قيل له: من صديقك؟

فقال: مَنْ لا يغضب من الحقِّ إذا سمعه.

قيل له: أي الناس أَوْلَى بالمغاداة؟

قال: أنقصهم ذنوبًا.

قيل له: فأيُّهم ذلك؟

فقال: أكملهم عقلًا، وأوفرهم عملًا بالواجب.

وقال: حفظ ما في يدك، أَوْلَى من التماس عندك.

وقال: أربعة من البرِّ: كتمان الفاقة، والمصيبة، والوجع، والصبر عند الممات.

وقال: من منع المال من الحمد، ورَّثَهُ مَنْ لا يحمده.

وقال: أنكد العيش: عيش الحسود.

وسأله إنسان سخيف أن يقيم عنده، فقال له: عقلك يضاد من ينفعك، فلا تطمعنَّ أن أقيم عندك؛ لئلَّا أمرض بمرضك.

وقال: الأصلح للإنسان: أن يموت، من أن يجعل نفسه مظلمة بالجهل، والكسل.

وقال: لا يصُدَّنك عن الأفعال الجميلة سوء سيرة الإنسان الكافر للنعمة.

وقال: اذكُر نفسك، فكل الناس إنما خُلقوا للذِّكر والفكرة الفاضلة، والقليل منهم يبلغ هذه المرتبة العليا، ويتمكن من الصبر عليها.

وقال: النفس الطاهرة المتألهة، لا طريق إلى أن يوافقها شيء من مواصلة الأرضيات.

قال: من جعل جميع زمانه مصروفًا في طاعة الله سبحانه وتعالى.. فرجاؤه ينبغي أن يكون دائمًا لله ومع الله عزَّ وجلَّ.

وقال: افرح بمن يعتبك، لا بمن يزهو لك.

وقال: احرص ألا تجعل للعداوة طريقًا إلى النمو.

وقال: متى أساء بك إنسان قليلًا، فلا تسئ به كثيرًا.

وقال: إذا أخطأ عليك صديقك، فسهل عليك احتماله، والافتقار له.

وقال: احرص أن تتخذ الأصدقاء بذاتك، لا بالأشياء التي تملكها.

وقال: الأخلق بالإنسان ألا يفعل ما يريد، لكن ما ينبغي.

وقال: ينبغي أن تعرف الوقت الذي يحسن فيه الكلام، والوقت الذي يحسن فيه السكوت.

وقال: من لم تقهر نفسه جسده.. فإنما جسده قبر لنفسه.

وقال: الحر الذي لا يضيع حرفًا من حروف النفس، لشهوة من شهوات الطبيعة.

وقال: غاية الاستواء، والاعتدال: استواء الكَم مع الكيف.

وقال: جرِّد العقل من الهوى يظهر صدق المعاملة.

وقال: إن لم تُقدِّم حُسْن الظن في كل ما تطالب من المحمودات، لم تلتذ بالشيء المطلوب، وإن تمَّ.. كذلك يجب على المرء أن يقدِّم سوء الظن في المذمومات.

وقال: بقدر ما تطلب تعلم، وبقدر ما تعلم تطلب.

وقال: ليس من شرائط الحكيم ألا يضجر، ولكن يضجر بوزن.

وقيل له: مَن الخَيِّر؟

فقال: خادم الخير.

وقال: ليس الحكيم من حُمِل عليه بقدر ما يطيق فصبر.. ولكن الحكيم من حمل عليه أكثر مما تحتمل الطبيعة، فصبر.

وقال: الطبيب هو من لم يدع بدنه سقيمًا، وليس مَنْ عالج غيره.. يعني: من صان نفسه عن القبائح، وفعل الفضائل وليس من وصف وثَنَّى، وترَك نفسه.

وقال: الدنيا دول.. مَرَّة لك، ومَرَّة عليك... فإذا توليت فأحسن... فإذا تولوك فَلِن.

وكان يقول: أكثر الآفات لا يُعرِّض للحيوانات لعدمها الكلام، وتعرض للإنسان من قِبَلِ الكلام.

وكان يقول: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء، فهو خليق ألا ينزل به المكروه، كما ينزل بغيره العجلة، واللجاجة، والعُجْب، والتواني.

فأما ثمرة العجلة: الندامة.

وثمرة العُجْب: البغضة.

واللجاجة ثمرتها: الحيرة.

وثمرة التواني: المذلة.

ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلم ويلحن في كلامه، فقال له: إمَّا أن تتكلم كلامًا يشبه لباسك، أو تلبس لباسًا يُشبه كلامك.

وسأله ملك صقلية أن يقيم عنده، فقال له: إن عقلك يضاد ما ينفعك، وبقاؤك يقلع أساسك، فلا تطمعنَّ إذًا في مُقام «فيثاغورس» عندك؛ فإن الأطباء لا يضمنون أن يمرضوا مع المرضى.

وقال لتلاميذه: لا تطلبوا من الأشياء ما يكون بحسب محبتكم، ولكن أحبوا من الأشياء ما هي محبوبة في أنفسها.

وقال لأخيه: إن أحببت ألا يخطئ إبنك ولا عبدك، فقد طلبت ما هو خارج على الطبع.

وقال: ينبغي للخيِّر أن يظهر بكلامه ما هو منطوٍ عليه، ويظهر بأفعاله صدق قوله.

وقال لبعض تلامذته: كان معجبًا: إن أردت أن تعظم محاسنك في أعيُن الناس، فلا تعظمنَّ في عينك.

وقيل له: فلان مُسيء بالقول فيك.

فقال: حمله على ذلك جهله بالقول الحسن.

وقال: لا تعجب من البلاء الشديد إذا نزل بإنسان، كيف يألم له؟! ولكن اعجب من الصبر، كيف يحتمله؟!

وقال: الإنسان الحكيم يُعنى بنفسه، كعناية غيره بجسمه.

وقال: النفس بحلولها بين الأخيار في اللذات والنعيم، وبين الأشرار في الأحزان والغموم.

وقال: لك أن تلطف بالإنسان، وليس لك أن تستكرهه.

وقال: اتخذ آخذي الحق بقبول: أصدقاء... والممتنعين: أعداء.

وقال: الأخلق بالإنسان أن يفعل ما ينبغي.. لا ما يشتهي.

وقال: اصبر على النوائب من غير أن يتذمر بك، واطلب مداواتها بقدر ما تطيق.

وقال: إذا سمعت من كلام الناس جملة وردية، فلا تمتعض منه، ولا على نفسك الامتناع من استماعه.. فإن سمعت كذبًا، فهوِّن على نفسك الصبر عليه.

وقال: استعمل الفكر.. قبل العمل.

وقال: كما أن المريض إذا لم يصدق في صفة دائه للطبيب، لم يقدر على علاجه... كذلك المرء أيضًا إذا لم يصدق نفسه بما له وعليه، لم تصح له مودَّات العامة والخاصة.

وقال: كَثْرة العدو تقل الهدوء.

وكان «فيثاغورس» إذا جلس على كرسيه أوصاهم بهذه السبع وصايا.

قَوِّموا موازينكم واعرفوا أوزانها.

عدِّلوا الخَطَّأ، تصحبْكُم السلامة.

لا تشعلوا النار؛ حيث ترون السكين تقطع.

عدِّلوا شهواتكم، تستدعوا الصحة.

استعملوا العدل، تُحِطْ بِكُم المحبة.

عاملوا الزمان كالولاة الذين يستعملون عليكم، ويعزلون عنكم.

لا تترفوا أبدانكم ففيها أنفسكم.. فتفقدوها في أوقات الشدائد، إذا وردت عليكم.

وذُكِرَ عنده وقُدِح، فقال: وما حاجتي إلى ما يحيطه الحظ، ويحفظه اللوم، ويهلكه السخاء.

وقيل له: ما أصعب الأشياء على الإنسان؟

قال: أن يعرف نفسه، ويكتم الأسرار.

وقال وقد نظر إلى شيخ يحب النظر في العلم، ويستحي أن يرى متعلمًا، يا هذا.. لا تستحِ أن تكون في آخر عمرك، أفضل منك في أوَّله.

وقال: أنكَى لعدوك ألا تريه أنك متخذهُ عدوًّا.

وقال: سبيل الملك الحازم: أن يتعاهد مُلكه، ورعيته كتعهد صاحب البستان بُستانه.

وقال: سبيل الملك أول ما يبدأ به: إظهار السُّنن الجارية.

وإقامة الأمور اللازمة للرعية.

وأخذ الحدود من أهلها بحسب ما يستحق كل واحد منهم.

وأن يقهر نفسه عمَّا تنازعه إليه من الشهوات.

وإن احتاج مع أعوانه إلى زيادة أعوان، فليجمع إليهم الناصحين الناصرين للدين، اللازمين الشرائع والسُّنن.

وقال: سبيل الملك، أن يحذر الإعجاب والانفراد برأيه، وكثرة الصيد، وانفراده فيه عن عسكره.

وليحذر أن يسلك طريقًا لا يعرفها، ولا طريقًا فيها ضيق.

ويحذر الركوب في ظُلمة الليل.

وإذا سار مركبه، فليكن ثابتًا على دابَّتِه حَسَن الركب، طَلِقَ الوجه، يرمق الناس بعينيه، ويردُّ عليهم السلام بيده، مستبشرًا بهم.. فإن العيون إليه كثيرة من الرعية.

ولا يدخل إلى نسائه من النساء الخادمات لهنَّ، إلا من مضى من أعمارهنَّ خمسون سنة، وما فوقها.

وإن احتاج إلى رجل، يكون في خدمتهنَّ، فليكن طاعنًا في السنِّ، قبيح الصورة، له دين وأمانة، فإذا نام الملك، واشتغل بشيء من لذاته، فليتوكل على حُرَّاس فراشه وثقاته، ويأمر بافتقادهم في كل وقت، وإن توانى أحدهم عن نوبته: عاقبه، وشهره، وعزله عن موضعه.

وليحذر كل الحذر أن يأكل أو يشرب من يد النساء اللائي يَعزّن عليه، أو غيرهنَّ من سائر خواصه ورعيته... بل يتولى ذلك له مَن يثق بعقله ودينه ومروءته، ويحب ملكه ودولته.

كذلك... لا ينام على فراشٍ لا يثق به، ولا يلبسه ثيابه، ولا يبخره إلا من هو بهذه الصفة التي سلَفت.

ولا يمسح بمنديل بعد مجامعته نسائه، إلا بعد الثقة به.

وقال: أصحاب الشهوات البدنية مملوكون للخواتين، وأصحاب الفضائل موافقون العقل.

وقال: الحذِر في هذا العالم، مَنْ أحصى عيوبه، وضده من كان محصيًا لفضائله.

وحضرت امرأته الوفاةُ في أرض غربة، فقال: معشر الإخوان.. ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق، وذلك أن الطريق إلى الآخرة واحد من جميع النواحي.

وقيل له: ما أحلى الأشياء؟

فقال: الذي يشتهي الإنسان.

وقال لحدث يتهاون بتعليمه: أيها الحدث.. إنك إن لم تصبر على تعب التعليم، صبرت على شقاء الجهل.

وقال: الرجل المحبوب عند الله: هو الذي لا يدل غيره لأفكاره القبيحة.

وقال: كلام الاستواء، هو طبيب يحوز بقربه إلى الله عزَّ وجلَّ.

وقال: الكلام في الله تعالى يجب أن تتقدمه الأعمال التي يرضاها الله عزَّ وجلَّ.

obeikandl.com

خبر «سقراطيس» الزاهد المتأله الحكيم

وكان «سقراط» من تلاميذ «فيثاغورس»، و «أرسالاوس»، ومعنى «سقراط» باليونانية «المعتصم بالعدل» ولد في زمن «بهمن الفاضل» وسم في أواخر أيامه، واقتصر من الفلسفة على العلوم الإلهية والأخلاق.

وأعرض عن ملاذِّ الدنيا ورفضها، وانعزل إلى الجبل.. وأقام في غار، واشتغل في الزهد ورياضة النفس.

وخالف اليونانيين في عبادتهم الأصنام، وقابل رؤساءهم بالحجج والأدلة فأثار العالم عليه، فاضطروا مَلِكَهُم إلى قتله، فقتله بالسُّمِّ تفاديًا من شرِّهم بعد مناظرات جرت له مع الملك محفوظة.

وله وصايا شريفة، وآداب فاضلة، وحِكَم مشهورة، ومذاهب في الصفات قريبة من مذاهب «فيثاغورس»، وأبناء «قلس».

وله في المعاد آراء: ظاهرها ضعيف، والله أعلم بأسراره ومرموزاته.

وقال: إن «البارئ» تعالى لم يزل هويته فقط، وهو جوهر فقط.. وإذا رجعنا إلى حقيقة الوصف والقول فيه، وجدنا العقل والمنطق متأخرًا عن اكتناه وصفه، وتحققه، وتسميته، وإدراكه..

لأن الحقائق كلها من تلقاء جوهره، فهو المدرك حقًّا، والواصف لكل شيء وصفًا، والمسمى لك موجودًا اسمًا.. فكيف يقدر المسمى أن يسميه،

obeikandl.com

وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفًا، فيرجع فيصفه من جهة آثاره وأفعاله، وهي أسماء وصفات؟!

إلا أنها ليست من الأسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته مثل قولنا: «الباري» تعالى واضع كل شيء، وخالق -أي: مقدِّر- كل شيء... وعزيز، أي: ممتنع أن يضام.. وحكيم، أي: مُحكَم الأفعال.. وكذا سائر الصفات.

وقال: إن علمه، وقدرته، ووجوده، وحكمته... بلا نهاية، فلا يبلغ العقل أن يصفها، ولو وصفها لكانت متناهية.

فقيل له: تُرى الموجودات متناهية؟

فقال: إن تناهيها بحسب احتمال القوابل، لا بحَسَب القدرة، والجود والحكمة.. لأن المادة لا تحتمل صورًا غير متناهية.. فتناهت الصور، لا من جهة بخل الواهب... بل لقصور المادة.

وعن هذا... اقتضت الحكمة أنها وإن تناهت ذاتًا وصورة وحيزًا ومكانًا، فغير متناهية زمانًا، والأشخاص إن لم يتصور بقاؤها في ذاتها إلا أنها تبقى ببقاء الأنواع، ويستبقي النوع بتجدد الأشخاص، فلا تبلغ القدرة إلى حد النهاية، ولا الحكمة تقف على غاية.

وزَعَم.. أن أخص أوصافه تعالى هو «الحي القيوم»؛ لأن العلم، والقُدرة، والجود، والحكمة تندرج تحت الحياة التي هي صفة جامعة للكل والبقاء، والسرمد، والدوام، وحفظ النظام في العالم يندرج تحت «القيوم» الذي هو صفة جامعة للكل، وهو «حي» ناطق من جوهره وهُما لنا، لا من جوهرنا.

ولهذا... يتطرق إلى حياتنا، ونطقنا العدم والدثور.

وهو ابن «سفرونسقس»، ومولده ومنشؤه بأثينة.. وخلف من الولد ثلاثة ذكور.

ولما ألزم التزويج -على عاداتهم الجارية في إلزام الأفاضل بالتزويج؛ ليبقى نسله بينهم- طلب تزويج المرأة السفيهة التي لم يكن في بلده أسلط منها؛ ليعتاد جهلها، والصبر على سوء خُلُقها؛ ليقدر أن يحتمل جهل العامة والخاصة.

وبلغَ مع تعظيمه الحكمة مبلغًا أضر بمن بعد من مُحبِّي الحكمة.. لأنه كان من تعظيمه الحكمية رأيه ألا يستودع الحكمة الصحف، والقراطيس تنزيهًا لها عن ذلك.

ويقول: الحكمة طاهرة مقدَّسة، غير فاسدة، ولا دنسة.. فلا ينبغي لنا أن نستودعها إلا الأنفس القدسية الحية، وننزهها عن جلود الميتة، ونصونها عن القلوب المتمردة.. فلم يصنف كتابًا، ولا أملى على أحد من تلامذته ما أثبته في قرطاس، وإنما كان يُلقِّنهم علمه تلقينًا لا غير.

وتعلم ذلك من أستاذه «طيما ولوس» فإنه قال له في صِباه: لا تدعني أن أُدوِّن ما أسمع منك من الحكمة.

فقال له: ما أوثقك بجلود البهائم الميتة، وأزهد له افي الخواطر الحية.. هب أن إنسانًا لقيك في طريق، فسألك عن شيء من شرف العلم: هل كان يحسن أن تُحيله على الرجوع إلى منزلك، والنظر في كتُبك؟ فإن كان لا يحسُن، فالزم الحفظ.

فلزمه «سقراط»، وكان زاهدًا في الدنيا، قليل المبالاة فيها.

وكان من رسوم ملوك اليونانيين إذا حاربوا أخرجوا حكماءهم معهم في أسفارهم، فأخرج الملك معه «سقراط» في سفرة خرج فيها لبعض مهماته، فكان «سقراط» يأوي في عسكر ذلك الملك إلى جُب مكسور يسكن فيه من البرد.. فإذا طلعت الشمس، خرج منه، فجلس عليه يستدفئ بالشمس.. ولأجل ذلك سُمِّي «سقراط الجب».

فمرَّ به الملك يومًا –وهو على ذلك الزير– فوقف عليه، وقال: ما لنا لا نراك يا سقراط، وما يمنعك من المسير إلينا؟

فقال: الشغل أيها الملك.

قال: بماذا؟

قال: بما يقيم الحياة.

قال: تصير إلينا؛ فإن هذا لك عندنا معدًّا أبدًا.

قال: لو علمت أيها الملك أني أجد ذلك عندك، لم أدعه.

قال: بلغني أنك تقول: إن عبادة الأصنام ضارة.

قال: قلت: (إن عبادة الأصنام: نافعة للملك، ضارة لسقراط)؛ لأن الملك يصلح بها رعيته، ويستخرج بها خراجه، و«سقراط» يعلم أنها لا تضره ولا تنفعه؛ لأنه مُقر بأن له خالقًا يرزقه، ويجزيه بما قدَّم من شيء وأحسن.

قال: فهل لك من حاجة؟

قال: نعم... تصرف عنان دابتك عنِّي؛ فقد سترتني جيوشك من ضوء الشمس.

فدعا له الملك بكسوة فاخرة من ديباج وغيره، وبجواهر ودنانير؛ ليحبوه بذلك.

فقال له «سقراط»: أيها الملك... وعدت بها يقيم الحياة، وبذلت ما يقيم الموت، ليس لسقراط حاجة إلى حجارة الأرض، وهشيم النبات، ولعاب الدود.. والذي يحتاج إليه «سقراط» هو معه حيث توجَّه.

وكان «سقراط» يرمز في كلامه مثل ما كان يفعل «فيثاغورس»، فمن كلامه المرموز قوله: عندما فتشت عن علة الحياة ألقيت الموت، وعندما وجدت الموت، عرفت حينئذٍ كيف ينبغي أن أعيش.

وقال: إن الذي يريد أن يحيا حياة إلهية.. ينبغي أن يميت نفسه مع جميع الأفعال الحسية على قدر القوة التي مُنِحَها؛ فإنه حينئذٍ يتهيأ له أن يعيش حياة الحق.

وقال: تكلم بالليل؛ حيث لا تكون أعشاش الخفافيش.

أي: ينبغي أن يكون كلامك عند خلوتك لنفسك، وأن تجمع فكرك، وتمنع نفسك أن تطلع في شيء من أمور الهيولات.

وقال: سد الخمس الكوى؛ ليضيء مسكن العلة.

أي: اغمض حواسك الخمس من الجَوَلان فيما لا يجدي؛ لتضيء نفسك.

وقال: املأ الوعاء طيبًا.

أي: أودع عقلك بيانًا، وفهمًا، وحكمةً.

وقال: افرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة.

أي: ارفض عن قلبك جميع الآلام العارضة في الثلاثة أجناس من قُوى النفس، التي هي أصل جميع الشرور.

وقال: لا تأكل الأسود الذئاب.

أي: احذر الخطيئة.

وقال: لا تتجاوزنَّ الميزان.

أي: لا تتجاوز الحق.

وقال: عند المات لا تكن نملة.

أي: في وقت إماتتك لنفسك، لا تعين ذخائر الحس.

وقال: ينبغي أن تعلم أنه ليس زمان من الأزمنة يفقد فيه زمان الربيع.

أي: لا مانع لك في كل زمان من اكتساب الفضائل.

وقال: ابحث عن ثلاث سُبُل فإن لم تجدها، فارفض أن تنام لها يوم المستغرق.

أي: افحص عن علم الأجسام، وعلم ما لا جسم له، وعلم الذي وإن كان لا جسم له، فهو موجود مع الأجسام، وأما اغتاض منها عليك، فارض بالإمساك عنه.

وقال: ليس التسعة بأكمل من الواحد.

أي: العشرة هي عقد من العدد؛ وهي أكثر من تسع.. وإنما تكمل التسع فتكون عشرة بالواحد.. وكذلك الفَضائِل كالتسع، تتم وتكتمل بخوف الله عزَّ وجلَّ، ومحبته ومراقبته.

وقال: اعتن بالاثني عشر.. يعني: الاثنا عشر عضوًا التي يُكتسب بها البر والإثم، وهي: العينان، والأُذُنان، والمُنخران، واللسان، واليدان، والرجلان، والفَرْج.

وأيضًا: بالاثني عشر شهرًا اكتسب أنواع الأشياء المحمودة، والمكملة للإنسان في تدبيره، ومعرفته في هذا العالم.

وقال: ازرع الأسود، واحصد الأبيض.. أي: ازرع بالبكاء، واحصد بالسرور.

وكان أهل دهره لَمَّا سألوه عن عبادة الأصنام؟ صدَّهُم عنها، وأبطلها، ونَهَى الناس عن عبادتها، وأمرهم بعبادة «الإله» «الواحد»، «الصمد»، «الباري»، «الخالق»، «العالم»، بما فيه «الحكيم»، «القدوس»، لا الحجر المنحوت الذي لا ينطق، ولا يسمع، ولا يحس بشيء من الآلات.

وحضَّ الناس على البِرّ، وفعل الخير، وأمَرَهُم بالمعروف، ونهاهُم عن الفواحش والمنكرات في بقية من أهل زمانه.

ولم يقصد استكمال صواب الرأي؛ لعلمه أنهم لا يَقْبلون ذلك منه.

فلما علم الرؤساء -في وقته من الكهنة، والأراكنة- ما رامه من دعوته، وأن رأيه نفي الأصنام، ورد الناس عن عبادتها.. شهدوا عليه بوجوب القتل.

وكان الموجبون عليه القتل قُضاة أسليس الأحد عشر، وسُقي السُّم الذي يقال له: قلنيون؛ لأن الملك لَمَّا أوجب عليه القُضاة القتل، ساءه ذلك، ولم يمكنه مخالفتهم.

فقال له: اختر أي قتلة شئت.

فقال: بالسم.

فأجابه إلى ذلك... والذي أخَّر قتل «سقراط» شهورًا بعد ما أوجبوه عليه: أن المركب الذي كان يبعث كل سنة إلى هيكل (أولوقومون) ويحمل إليه فيه ما يُحمل، عرض له ما يحبسه لتعذر الريح، فأبطأ شهورًا.

وكان من عاداتهم ألا يُراق دم، ولا غيره حتى يرجع المركب من الهيكل... إلى (سلس).

وكان أصحابه يختلفون إليه في الحبس طوال تلك المدة، فدخلوا إليه يومًا، فقال له «أقريطون» -رجل منهم: إن المركب داخل غدًا، أو بعد غد.. وقد اجتهدنا في أن ندفع عنك مالًا إلى هؤلاء القوم، وتخرج سرًّا.. فتصير إلى رومية، فتقيم بها حيث لا سبيل لهم إليك.

فقال له «سقراط»: تعلم أنه لا يبلغ ملكي أربعمائة درهم.

وقال له «أقريطون»: لم أقل لك هذا القول على أنك تعزم شيئًا؟ لأنا نعلم أنه ليس في وسعك ما سأل القوم... ولكن في أموالنا سعة، لذلك وأضعافه وأنفسنا طيبة لأدائه لنجاتك، وألا نفجع بك.

وقال له «سقراط»: يا أقريطون.. هذا البلد الذي فعل بنا فيه ما فعل، هو بلدي وبلد حبسي.. وقد نالني فيه ما رأيت، ولم يوجب ذلك عليَّ لأمرٍ استحققته، بل لمخالفتي الجور، ولطعني على الأفعال الجائرة وأهلها من كُفرهم بالباري سبحانه، وعبادتهم الأوثان من دونه.

والحال التي أوجبت عليَّ القتل هي معي حيث توجَّهت، وإني لا أدع نُصرة الحق، والطعن على الباطل والمبطلين حيث كنت، وأهل رومية أبعد منِّي رحمًا من أهل مدينتي.

وهذا الأمر إذا كان باعثه على الحق، ونُصرة الحق، فحيث توجَّهت فغير مأمون عليَّ هناك مثل الذي أنا فيه.

وقال له أقريطون: فتذكر ولد وعيالك، وما تخاف عليه من الضيعة.

فقال له: الذي يلحقهم برومية مثل ذلك، ألا إنكم هاهنا بهم أحرى ألا يضيعوا معكم.

فلما كان اليوم الثالث بكَّر تلامذته إليه على العادة، وجاءهم السجَّان، ففتح الباب، وجاء القضاء الأحد عشرة، فدخلوا إليه، وأقاموا مليًّا.

ثم خرجوا من عنده، وقد أزالوا الحديد عن رجليه.. وخرج السجَّان إلى تلامذته، فدخل بهم إليه... فسلَّموا عليه، وجلسوا عنده... فنزل «سقراط» عن السرير، وجلس على الأرض.. ثم كشف عن ساقيه، فمسحهما وحكَّهما، وقال: ما أعجب فعل السياسة الإلهية؛ حيث قربت الأضداد بعضها من بعض، فإنه لا يكاد تكون لذة إلا ويتبعها ألم، ولا ألم إلا وتتبعه لذة!!

obeikandl.com

وصار هذا الكلام سببًا لدوران الكلام بينهم، فسأله «**سيماوس ومملون**» عن شيء من الأفعال النفسية، وكثرت المذاكرة بينهم.. حتى استوعبت الكلام في النفس بالقول المتقن المستقصى، وهو على ما كان يعهد عليه في حال سروره، وبهجته ومرحه في بعض المواضع.

والجماعة يتعجَّبون من صرامته، وشدة استهانته بالموت.. ولم يكل عن تقصي الحق في موضعه... ولم يترك شيئًا من أخلاقه، ولا من أحوال نفسه التي كان عليها في زمان أمنه من الموت، وهُم من الكمد والحزن على فراقه على حال عظيمة.

فقال له «**سيماوس**»: إن التقصي في السؤال عليك –مع هذه الحال– لثقلًا علينا شديدًا، وقُبحًا في العشرة.. فإن الإمساك عن التقصي في البحث لحسرة عظيمة جدًّا مع ما نعلم في الأرض من وجود الفاتح لما يريد.

فقال له «**سقراط**»: لا تدع عنَّا التقصي لشيء أردته؛ فإن تقصيك لذلك هو الذي أَسَرُّ به، وليس بين هذه الحال عندي وبين الحال التي ضدها فرق في الحرص على تقصِّي الحق؛ فإنا وإن كُنَّا نعدم أصحابًا، ورُفقاء أشرافًا محمودين فاضلين.. فإنا أيضًا كُنَّا معتقدين ومتيقنين الأقاويل التي لم تزل تُسمع منا أن نصير إلى أقوام فاضلين، أشراف محمودين منهم: «**إيسالوس**»، و«**إينارس**»، و«**أرفيلس**»، وجميع من سَلف من ذَوي الفضائل النفسانية.

فلما تصرَّم القول في النفس، وبلغوا فيها الغرض الذي أرادوه.. سألوه عن هيئة العالم، وحركات الأفلاك، وتركيب الأسطقسات.

فأجابهم عن جميعه.. ثم قَصَّ عليهم قصصًا كثيرة في العلوم الإلهية، والأسرار الربَّانية.

ولما فرغ من ذلك، قال: أما الآن.. فقد حضر الوقت الذي ينبغي لنا أن نستحم فيه ونُصلِّي ما أمكننا، ولا نكلف أحدًا بحمام الموتى؛ فإن الزمان قد دعانا، ونحن ماضون إلى «أراوس»... وأما أنتم، فتنصرفون إلى أهاليكم.

ثم نهض، فدخل بيتًا، فاستحم فيه، وصلَّى وأطال اللبث، والقوم يتذاركون عِظَم المصيبة، وأنهم يفقدون منه حكيمًا وأبًا عليمًا، ويبقون بعده كاليتامى.

ثم خرج، فدعَى بولده ونسائه، وكان له ابن كبير، وابنان صغيران.. فودَّعهم، ووصَّاهم.

فقال له «أقريطون»: فما الذي تأمرنا أن نفعله في أهلك وولدك، وغير ذلك في أمرك؟

وقال: لست آمركم بشيء... بل هو الذي لم أزل آمركم به قديمًا من الاجتهاد في إصلاح أنفسكم.. فإذا فعلتُم ذلك سررتُموني.

ثم سكت مليًّا، وسكت الجماعة.. فأقبل خادم الأحد عشر قاضيًا، فقال: يا سقراط.. إنك جريء مع ما يصيبك.. إنك تعلم أني لست عِلَّة موتك، وإن علة موتك القضاة الأحد عشر، وأنا مأمور بذلك، وإنك أفضل من جميع من صار إلى هذا الموضع.. فاشرب الدواء بطيب نفس، واصبر على الاضطراب اللازم.

ثم ذرفت عيناهُ، وانصرف.

قال «سقراط»: نفعل.

ثم سكت هنيهة، وقال لأقيطون: مُرْ الرجل الذي يأتيني بشربة موتي.

فتناولها منه، وشَرِبها.. فلما رأوه قد شربها، غلبهم من البكاء والأسف ما لم يملكوا أنفسهم معه.. فَعَلَت أصواتهم بالبكاء.

فأقبل عليهم يلومهم، ويعظهم، وقال: إنما صرفنا النساء؛ لئلَّا يكون منهم مثل هذا، فأمسكوا استحياء منه، وقصدًا للطاعة له على مضض شديد من فقده.

وأخذ «سقراط» في المشي والتردد هنيهة، ثم قال للخادم: قد ثَقُلتْ رجلاي عليّ.

فقال له: استلقِ.

فاستلقى.. فجعل يتحسس قدميه، ويقول: هل تحس بغمزي لهما؟

فقال: لا.

ثم غَمزَ ساقيه، وجعل يسأله ساعة بعد ساعة، وهو يقول: لا.

فأخذ يجمد أولًا فأول، فيشتد برده.. حتى انتهى إلى حقويه.

قال الخادم: إذا انتهى البر على قلبه ومضى.

فقال له «أقريطون»: يا إمام الحكمة.. ما نرى عقولنا إلا تبعد عن عقلك، فتعهد إلينا.

فقال: عليكم بما أمرتكم به أولًا.

ثم مدَّ يدهُ إلى «أقريطون» فوضعها على خدِّه، فقال له: مُرني بما تحب.

فلم يُجبهُ بشيء، ثم شخَصَ ببصره، وقال: أسلمتُ نفسي إلى قابض أنفُس الحكماء.

ومات، فأطبق «أقريطون» عينيه، وشدَّ لحيته.. ولم يكن «أفلاطون» حاضرًا معهم؛ لأنه كان مريضًا.

وذُكر أن «سقراط» هلك عن اثني عشر ألف تلميذ وتلميذ وتلميذ.. وكان رجلًا أبيض أشقر، أزرق العينين، وجيد العظام، قبيح الوجه، ضيق ما بين المنكبين، بطيء الحركة، سريع الجواب، شعث اللحية، غير طويل.

إذا سُئل، أطرق حينًا، ثم يجيب بألفاظ متقنة، كثيرة التوحيد، قليل الأكل والشرب، كثير التعبد، شديد التعب، يكثر ذكر الموت، قليل الأسفار، مجيد الرياضة، بدنه خسيس، ملبسه مهين، حسن المنطق، لا يوجد فيه خلل.

مات بالسُّم، وله مائة سنة وبضع سنين.

وقيل له: لا بُدَّ أن نزوِّجك.

فقال: وإن كان لا بد، فتكون امرأة قبيحة الوجه، سيئة الخُلُق.

فقالوا: لِمَ هذا؟

فقال: أما الأول؛ فلئلا تحن نفسي إلى جمالها.. وأما الثاني؛ فلأروض نفسي على الاحتمال.

فقيل له: لِمَ تكره الجماع، وهو لذيذ؟

فقال: لأربع خِصال:

الأول: هتك الأستار، والعاقل تأبى نفسه ذلك.

الثاني: ولوج الأقذار، والعاقل يأبى ذلك.

الثالث: نهك القوى، والعاقل يشح على قوَّته.

والرابع: تخليف خليف الموت الذي إن عاش فتن، وإن مات حزن.. والعاقل لا يجعل نفسه مرتهنة بشيء.

و«سقراط» المذكور هنا هو: أبو الفلاسفة، حكيم الحُكماء.. من عنده وردت الفلسفة، وعنه صدرت الحكمة، له الأمثال السائرة، والفوائد الغامرة.. كلامه في القلوب كنسيم الرياح عند الهبوب، وكالراحة للمكروب.

obeikandl.com

آداب «سقراط» الحكيم الزاهد

قال: ليكن أول ما تجعل فيه هِمَّتك ومحافظتك: أن تعرف حق «الله» عزَّ وجلَّ في العبادة والتُّقى.

وأن تجتهد فيما يرضَى به، ليس بالقرابين وحدها.. ولكن أن تحذر التعدي في أن تُقسم به باطلًا.. فإن هذا النحو إن أحكمته كان علامة غنى، وأثرًا صالحًا من شيمة الأبرار... فأرض «الله» سبحانه دهرك.

واجتهد في موافقة الجماعة؛ فإن العصمة بذلك مع العمل بالشريعة.

وقال لتلاميذه: الحكمة سُلَّم العُلو من عدمها: عدم القُرب من «بارئه» عزَّ وجلَّ.

وقال: بالله تعالى، وبالإخلاص لذلك في الشرائع: خلاص الحائرين.

وقال: العدل أمان النفس.

وكان يقول إذا جلس للتعليم: إنما أنا زارع، والدارسة ماء التربية.. فمن لم يكن له مزرعة نقية، وماؤها متدفق.. لم ينجع فيها الزرع.

وقال: عجبًا لمن عَرفَ فناء الدنيا، كيف تُلهيه عمَّا فيه فناء.

وذكر عنه.. أنه لما أُدخل على الملك الذي قتله قال له: يا سقراط، أنت الزارئ علينا، والقائل: «إن اتِّخاذ الأصنام ليس بجيد لبعض الناس».

فقال له «سقراط»: أنا القائل إن اتخاذ الأصنام ليس بجيد لبعض الناس.

فقال له الملك: لمن هو جيد؟ ولمن هو ليس بجيد؟

قال: ليس بجيد لسقراط، وهو للملك جيد.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأنها ليست بجيدة للحكيم، وجيدة للذي ليس بحكيم.

قال: وكيف ذلك؟

قال: لأن مَن عرف الله تعالى حقَّ معرفته، وما يرضيه.. لم يحتج إلى ما يربطه عن السيئات، وما يجنبه منها لزوم الواجب من حق «خالقه وبارئه» سبحانه، فأما من كان بخلاف ذلك، فيحتاج إلى ما يربطه ويردعه عن السيئات من خوف الأصنام التي وضعها أربابًا له، فهي تردعه باعتقاده إياها آلهة، وهي لا تنفعه؛ لأنها جسد موات.

وقال: النفس الزكية تُحب الخير، وتأمر به، والنفس الرديَّة تُحب الشر، وتأمر به.

وقال: غرس النفس الفاضلة: الإنصاف.

وثمرة غرسها: السلامة.

وغرس النفس الرذلة: الشر.

وثمرة غرسها: الندامة.

وقال: النفس الفاضلة تُعرف بحُسن مسارعتها، وقبولها الحق.. والنفس الناقصة تُعرف بمسارعتها إلى الباطل.

وقال: إذا وقفت النفس عمّا اشتبه عليها، وقبلت ما اتضح لها، فهو دليل على ذكائها.

وقال: نفوس الأخيار نافرة عن أفعال الفجار... ونفوس الأشرار متبرمة بأعمال الأبرار.

وقال: متبع الشهوات نادم في العاقبة، مذموم في العاجلة، ومخالف الشهوات سالم في العاقبة، غانم في العاجلة، محمود، مغتبط في الآجلة.

وقال: النفس الزكية تسلم، ويسلم معها غيرها.

وقيل لسقراط: هل تغير قلب العاقل قِلَّة المال؟

قال: من كان كذلك لم يكن عاقلًا.

وقيل له: هل يعمل العاقل غير الصواب؟

فقال: ما يعمله برأي العقل، فهو صواب.

وقال: شخص بغير علم، كجسد بغير روح.

وسَألت امرأة «سقراط»: أي شيء رأيت منه حَسَنًا؟

فقالت: ما كان يدخل ويخرج بوجه واحد.

وسئل: أي شيء ألذ؟

فقال: تعلُّم حكمة لم تعرفها.

وسأله بعضهم، فقال: متى نكمُل في الحكمة؟

فقال: إذا لم تفرح بالمدح، ولم تحزن بالذم.

obeikandl.com

فقال: متى يتهيأ لي ذلك؟

قال: إذا حصلت أربعة: أُذنان تسمعان الحكمة، وأُذنان تصُمَّان عن هذر الجُهَّال.

وقال: لا ينبغي للأديب أن يخاطب من لا أدب له، كالصاحي لا ينازع السكران.

وقال: النفس الرديَّة تهلك، ويهلك معها غيرها.

وقال: النفوس أشكال، فما تشاكل منها اتفق.. وما تضاد منها اختلف.

وقال: اتفاق النفوس باتفاق هِمَمِها، واختلافها باختلاف مُرادها.

وقال: النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه، عرف كل شيء... ومن جَهل نفسه، جَهل كل شيء.

وقال: النفس جوهرة لا قيمة لها... فمن عرفها صانها، إلا عمَّا يشاكلها... ومن جهلها ابتذلها في غير موضعها.

وقال: من بخل على نفسه، فهو على غيره أبخل.. ومن جاد على نفسه، فذلك المرجو جوده.

وقال: ما ضاع من عَرف نفسه، وما أضيع من جهل نفسه.

قولا: من لا يُحسن النظر لنفسه، أوشك ألا يحسنه لغيره.

وقال: من كان حريصًا على صيانة نفسه، عرف ذلك من توقِّيه من المداخل السيئة.

وقال: النفس عِوض عن كل شيء.. ولا شيء عوض عن النفس.. فمضيِّع نفسه، مضيع لكل شيء، وحافظ نفسه، حافظ لكل شيء.

وقال: النفس الخيِّرة: مجربة بالقليل من الأدب.. والنفس الشريرة: لا ينجع فيها كثير من الأدب؛ لسوء معرفتها.

وقال: لو سكت من لا يعلم، لسقط الاختلاف.

وقال: ستة لا تفارقهم الكآبة: الحسود، والحقود، وحديث عهد بغنى، وغني يخشى الفقر، وطالب رُتبة يقصر قدره عنها، وجليس أهل الأدب وليس منهم.

وقال: مؤدِّبُ النفس الرديَّة كمروضِ الفرس الصعب.. إن غفل عن عنايته: جَمَحَ به.

وقال: من مَلَك سِرَّهُ: خفي عن الناس أمره.

وقال: لا تكره سخط من رضاه الباطل.

وقال: التقرُّب من الناس: مجلبة لقرين السوء.. والتباعد: مجلبة للعداوة، فكن من الناس بين المنقض، والمسترسل.

وقال: خير من الخير: من عمل به، وشر من الشر: من عمل به.

وقال: العقول مواهب، والعلوم مكاسب.

وقال: من ظنَّ أنه شيء، وليس يحسن شيئًا، فليس يستأهل شيئًا سوى التوبيخ.

obeikandi.com

وقال: العالم طبيب الدين، والمال: داء الدين.. فإن رأيت الطبيب يجر الداء إلى نفسه، فيكف يداوي غيره؟!

وقال: لا تكون كاملًا حتى يأمنك عدوك.. فكيف بك إذا كنت لا يأمنك صديقك؟

وقال: اتَّقوا من تبغضه قلوبكم.

وقال: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: ناطق عالم، أو: صامت واعٍ.

وقال: الدنيا سجن لمن زهد فيها.. وجَنَّة لمن أحبها.

وقال: إنما الدنيا كطريق فيها شوك، مغطًّى بالتراب، يدوسه من لا يعرف مسلكه، فينخسه ويؤلمه.. ويقف عنه من استراب فيه، فيسلم منه.

وقال: من مال إلى الدنيا، تعجَّل التعب فيها.. وكان على يقين من فنائه عنها.. ومن زهد فيها، استراح من عنائها.. وأحبه أهلها، وأمِنَ خوف العاقبة بعد مفارقتها.

وقال: ما أعقل من تيقن بالرحيل من الدنيا وهو دائب، مجتهد في عمارتها.

وقال: جدير على العاقل ألا يجدَّ في عمارة شيء يتركه لغيره.

وقيل له: لِمَ تُعاشر الأحداث وأنت شيخ كبير؟

فقال: الراضة، إنما تروض مهار الخيل، لا مُسنَّاتها.

ووقف عليه الملك، وقال له: ألا تخافني؟

فقال: أخيِّر أنت، أم شرير؟

فقال: بل خيِّر.

فقال: لا أخاف من الأخيار.

وركب في سفينة، فلما لجج، قال للملاح: كم عرض ألواح السفينة؟

فقال: إصبعان.

فقال: بيننا وبين الموت إصبعان؟ رُدَّني إلى الساحل.

وقال لرجل وقد عَيَّره بأنه من أهل بيت لا شرف لهم، فقال: أهل بيتي عار عليَّ، وأنت عار على أهل بيتك.

وقصده رجلٍ غني من موضع بعيد؛ ليتعلم منه الحكمة، فلما دخل عليه رآه ملفوفًا بكساء خَلِق. فالتفت إلى مَنْ أرشده إليه، فقال: هذا سقراط.

فقال سقراط: نعم.. سقراط هذا يكون، وإن كان في كساء غير جديد، ولكنك لا تعرف، فأنت لستَ من رجال الحكمة.

ودخل عليه آخر.. فرآه يغتسل بالماء، فقال: أين موضع سقراط؟

فقال: في موضع كذا.

فذهب إلى هناك ينتظره، فلما رجع قال: كنت سقراط، ولم تخبرني؟

فقال: لأنك سألتني عن موضع «سقراط»، لا عن «سقراط» نفسه، والجواب على حسب السؤال.

ونظَر إلى شيخ يحب النظر في الفلسفة، ويستحي فقال: يا هذا.. أتستحي أن تصير أفضل مما أنت عليه؟

وعُوتب على إدامة العزلة؟ فقال: لو عرفتُم نفعها وحلاوتها، لاستوحشتم من أنفسكم.. فكيف من الناس؟!

وقال: استهينوا بالموت؛ ليعزَّ عليكم فراق الحياة.

وقال: ليس ما مضى من الدنيا، إلا كما لم يكن.

وقال: ليس بين الدنيا والآخرة، إلا حلول الموت.

وقال وقد ذُكِرَ عنده «موسى» عليه السلام: معاشر اليونانيين، لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا؛ لأنا مهذبون.

وقال: الكلام فيما لا يدرك: جهل.. والمناظر فيما لا يبلغه الرأي: خطأ.

وقال له رجل وضيع الأخلاق، شريف الجنس: أما تأنف يا سقراط من خساسة جنسك.

فأجابه: جنسك عندك انتهى، وجنسي مني ابتدأ.

وقال: كما أنه يستدل بالصواب على الخطأ.. كذلك لا يعرف المنزل الجيد حتى ينزل المنزل الرديء... ولا يعرف اللين، من لا يعرف الخشن.. والمفروح به، هو المحزون عليه.

وقال: الدنيا كصورة في صحيفة.. كلما نُشر بعضها، طُوي بعضها، وخير الأمور: أوسطها.. والصبر يعين على كل عمل.

وقال: من أسرع، يوشك أن يكثر عِثاره.

وقال: من ابتلي فصبر، كمن عوفي فشكر.

وقال: إذا لم يكن عقل الرجل أغلب الأشياء عليه، كان هلاكه في أغلب الأشياء عليه.

وقال: من لا يعرف الخير من الشر، فألحقوه بالبهائم.

وقال: خير الإخوان: من صرف إخوانه من الشر إلى الخير.

وأقوى الأقوياء: من دفع به إلى الضرر عن الناس.

وأفضل السيرة: طيب المكسب، وتقدير الإنفاق.

وكتب إلى ملك زمانه، وقد مات ابنه: «أما بعد.. فإنَّ الله جلَّ اسمه جعل الدنيا دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سببًا.. وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عِوَضًا.. فيأخذ ما يأخذ بما يعطي، ويبلى إذا أبلى ليجزي.. والسلام».

وقال : لا يكون الحكيم حكيمًا.. حتى يغلب شهوات الجسم.

وقال لتلامذته: احذروا كل الشهوات؛ فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عن الله عزَّ وجلَّ.

وقال: الدنيا واعظ لمن بقي بمن مضى.

وقال: حوادث الدنيا: هلاك لقوم.. ووعظ لقوم آخرين.

وقال: السكون إلى الدنيا بعد العلم بها: نهاية العجز... والثقة بها: غاية الغرور.. وسوء الظن بها: نَفَس الحزم.

وقيل له: ما النعيم؟

فقال: طيب النفس.

وقيل له: ما الغنى؟

قال: صحة الجسم.

وقال: إن مساعدة الأمور للمرء، تكاد تسلبه عقله.

وقال: إن القلب الفارغ يبحث عن الأسواء، واليد الفارغة تتنازع إلى الآثام.

وقال: بطن الأرض: ميت، ظهرها: سقيم.

ودفع إليه بعض تلامذته بُرًّا فقبِلَهُ منه، ثم بكى فسئل: لِمَ تبكي؟

فقال: لأني أهلكت الشعيرة، بقبولي الأجرة.

وقال: كُن مع والديك، كما تحب أن يكون معك بنوك.

وقال: لا تُكثر الضحك، ولا تستقل كلمة غضب.. فإنهما شيئان من صنيع الجُهال.

وقال: ما استحيينا من فعله، ينبغي أن نستحي من الكلام به.

وقال: كابر شهوات الحداثة بالقهر لها.. فإن ذلك أزين ما أنت لابس، وبذلك تنجو من تلون الصبا.. وإن أتيت فاحشة سِرًّا، وظننت أن ذلك مستور، فأيقن أن ذلك لن يخفى عن الناس، مع توبيخ النفس إياك به..

فاتق الله سبحانه، واستح من الناس، واحفظ الوصية، واسمع من الحُكماء وتعلم.. وأخبر إلى غاية الذكر الصالح.

obeikandi.com

فما أجمل الشهوة الحَسَنة.. وما أقبح الشهوة السيئة!

وقال: احذر النميمة، وإن كان كذبًا.. فإن أكثر الناس لا يعرفون الحق.

وكتب إليه «**أفلاطون**»: إني أسألك عن ثلاثة أشياء، فإن أجبت عنها، تتلمذت لك.

فكتب إليه: سَلْ، وبالله التوفيق.

فكتب إليه: أيُّ الناس أَوْلَى بالرحمة؟ ومتى تضيع أمور الناس؟ وبماذا تتلقى النعمة من الله تعالى؟

فأجابه: أَوْلَى الناس بالرحمة ثلاثة: البرُّ، يكون في السلطان الفاجر، فهو -الدهر- حزين لِمَا يرى ويسمع.

والعاقل في تدبير الجاهل، فهو -الدهر- متعب مغموم.

والكريم يحتاج إلى اللئيم، فهو -الدهر- له خاضع ذليل.

وتضيع أمور الناس، إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه.. والسلاح: عند من لا يستعمله.. والمال: عند من لا ينفعه.

وتتلقى نعمة الله تعالى بكثرة شكره، ولزوم طاعته، واجتناب معصيته.

فأقبل «**أفلاطون**» إليه، فتتلمذ له حتى مات.

وقيل له: هل شيء أصعب من الموت؟

فقال: الحياة أصعب؛ لأن مع الحياة: الغم، والهم، والمرض، والفقر، والتعب.. ومع الموت: الرحمة من جميع ذلك.

obeikandl.com

وقيل لسقراط: إنك تستخف بمَلِك مدينتك.

فقال: ملكتُ الشهوة، والغضب، ومَلكاهُ.. فهو في محل عبد لعبدي.

وقال بعض الملوك لسقراط: اعمل لي كتابًا فيه جُمَل من حكمتك أرجع إليها.

فقال: هيهات.. «الحكمة» أجَلُّ من أن تخدمها بنفسك.

وحكي عنه أنه قال: لا تحرصوا على الفتنة، فيشتد فقركم، واستهينوا بالموت.. لئلا تموتوا، وأميتوا أنفسكم: تخلدوا، والزموا العدل: تلزمكم النجاة، والعدل: أمان النفس.

وقال: الحزن للمبتلين؛ حتى يتخلصوا من البلايا، أفضل من الفرح لأهل السلامة.

وكان يقول: الإقلال للعاقل: حصن من الرذائل، وطريق للجاهل إليها.

وكان يقول: راحة الحُكماء في وجود الحق.. وراحة السفهاء في وجود الباطل.

وكان يقول: ضادُّوا الشهوات بالغضب؛ فإن من غضب على نفسه في تناول المساوئ، شُغِل عنها.. وذللوا الغضب بالصمت.

وكان يقول: ضالَّة الجاهل غير موجودة، وضالة العاقل معه حيث ما سلك.

وقال: المعجب بنفسه يرى فيها ما هو أجل منها.. مع ضعف قوته، فيظهر فرحه.

وقال: من استعمل العقل: قَلَّ حُزنه، واشتاق إليه كل شيء.

وقال: ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض.

وقال: اللذة: صدقة مرسلة.

وقال: طالب الدنيا لا يخلو من الحزن في حالين: حزن على ما فاته، كيف لم ينله؟ وحزن على ما ناله، كيف يخاف سلبه؟

وإن أمن سلبه، أيقن بتركه لغيره بعد موته، فهو منغَّص في جميع أحواله.

- كلمات.. في الدنيا

وقال لتلميذ له: يا بني.. اقنع من الدنيا بما بلَّغت قوتك من المأكول، واكْتَفِ بما كسر ظمأك من المشروب، وارض بما سترك من الملبوس، واستغن بما أكنَّك من البيوت، وكُن خادمًا لنفسك يهدأ قلبك، وتستغني عن مداراتك لغيرك.

واجعل نعليك مركبك، واجعل الأرض مهادك، والقمر والنجوم سراجك، والعلم طلبك، والعمل دأبك، وتعلم الحكمة شأنك، تكن من أفضل زمانك، وتلحق بمن تقدم من محمودي إخوانك.

وإياك والفخ المنصوب على الأرض للرجال من النساء؛ فإنه مفسد للحكمة، مسقط للرتبة، مورث للنقمة، مؤدٍّ إلى نقص الهمة.

وقال: طالب الدنيا قصير العمر، كثير الفكر.

وقال: طالب الدنيا كراكب البحر.. إن سلم، قيل: مخاطر.. وإن عطب، قيل: مغرور.

وقال: طالب الدنيا كناظر السراب، يحسبه ماء.. فيتعب نفسه في طلبه.. فإذا جاءه خاب ظنه، وفاته أمله، وبقي عطشه، ودامت حِدَّته، وخسر طول عنائه.

وقال: عُمر الإنسان في الدنيا مثل الفي[1] الذي لا حقيقة له، يزول من موضعه إلى غيره.. فإذا التمسه في موضعه، لم يجده شيئًا.

وقال: الإنسان في الدينا معذب بجميع أحوالها، غير باقٍ عليه ما يصير إليه من امتنانها، قليل التهنئة بما يجد من ملاذها، دائم الغصص بمفارقة أحبابه فيها.

وقال: حب الدنيا يصم الأسماع عن الحكمة، ويعمي الأبصار عن نور البصيرة.

وقال: حُب الدنيا يورث الضغائن، ويزرع الأحقاد، ويكنُّ الشر، ويمنع البِر.

وقال: الدنيا تنصح تاركها، وتغش طالبها.. فنُصحها لتاركها ما تريه من تغيرها بأهلها، وغشها لطالبها ما تُذيقه من لذة ساعتها.. ثم تعقبه مرارة طَعمها، وسوء منقلبها.

وقال: من أراد أن يستعمل الحق بأكثر مما يستعمله الملك.. فإياهُ وخدمة الملوك، فليستعمل القدر الذي يستعمله الملك من الحقِّ، ولا يتجاوزه؛ فإنه متى تجاوزه، فليعلم أنه قد ناهض الملك.

---

(١) الفي: الظل.

Obeikandl.com

وكان يقول: القنية مخدومة، ومن خَدَم غير ذاته، ليس بحُرٍّ.

وكان يقول: ما الإيمان إلا ما نصح، ولا العمل إلا بما يحل، ولا الابتداء إلا بما يوقن فيه بحُسن العاقبة.

وقال له رجل: ما أشد فقرك يا «سقراط»؟

فقال له: لو عرفتَ الفقر، لشغلك التوجع لنفسك.. عن التوجع لسقراط.

- كلمات.. في الموت

وقيل له: ما أقرب شيء؟

قال: الأجل.

فقيل له: وما أبعد شيء؟

قال: الأمل.

فقيل له: ما أحسن شيء؟

قال: الصاحب المواتي.

فقيل له: وما أوحش شيء؟

قال: الموت.

وقال: من أعجب العجب: عاقل تأسف.

وقال: من أمات نفسه موتًا طبيعيًّا، كان جسمه قبرًا.. ومن أمات نفسه موتًا إراديًّا، كان موته الطبيعي حياة لنفسه أبدًا.

obeikandl.com

وقال: أفضل من استشير: الزمان في كل وقت.

وقال: أحسن الناس صورة: أعمالهم بما يوجبه الحق.

وقال: الموت: حق واجب، وليس يكرهه إلا من كَثُر جوره، وقَلَّ عدله.

وقال: ما أبين فضيلة الموت إذا كان سببًا لنقله من عالم الذُّل، إلى عالم العز.

ومن عالم الفناء إلى عالم البقاء.

ومن عالم الجهل، إلى عالم العقل.

ومن عالم التعب إلى عالم الراحة.

وقال: لو لم يكن للموت فضيلة إلا الراحة.. فمن لا ينصف من أضدادك، ومن أهل العدل من إشكالك.

وقال: ما أسهل الموت على من أيقن بما بعده، وما أصعب الموت على من شكَّ فيما بعده.

وقال: من طابت حياته، طابت ميتته.

وقال: الموت: أمان من الموت، وموصل إلى النعيم والفوز.

وقال: الموت: خير من المُقام في دار الهوان.

وقال: الموت: راحة لمن كان عبد شهوته، ومملوك هواه.. لأنه كلما طالت حياته كثُرت سيئاته، وانبثت في العالم جناياته.

وقال: من كان شريرًا، فالموت سبب راحة العالم من شَرِّه.

وقال: الموت: محمود على كل حال للبر والفاجر.

فأما البر: فيصل ما قَدَّم من جميل أفعاله، ويلتقي مع محمودي إخوانه.

وأما الفاجر: فيستريح العالم من فجوره، وثقل تزيده، ووزره.

وقال: الموت بُشْرَى للعاقل، وعِظة للجاهل.

وقال: الحياة تجور في القضاء – بين الأحياء.. والموت: يساوي في القضاء بين الأموات.

وقال: من قُتِلَ مظلومًا، كان ذلك أمانًا له في عاقبته.. ومن قتل ظالمًا، كان ذلك جديرًا له بالخوف في عاقبته.

وقال: ما أقبح البكاء على من قتل مظلومًا! وما أحسنه على من قُتل ظالمًا! لأن المظلوم يفرح له، ويحسن ما يرد عليه... والظالم يحزن له بسوء ما يرد عليه.

وقال: من خاف من شيء، عمل ما يؤمنه... فمن خاف الموت، فليعمل ما يرجو به السلامة من شَرِّه.

وقال: يا بُني لا تُغالب أمرًا مقبلًا؛ فإنه بعيد أن يضعف.. واستند إلى قوم مقبلة حدودهم.

وإياك، وأنت مقبل أن تخلو بقوم مدبرين.

وقال: إذا أردت فعل أمر من الأمور، فانظر في علله التي عنها يكون.. فإن كنت تنالها فاطلبه بها، وإن لم تنلها، فمُحال أن تبلغه.. وكيف تنال أمرًا ليس معك التي بها ينال.

وقال: فقدُ السعة مع نزاهة النفس أغنى من امتهان العِرض لمن يستكثر: قليل نيله لك، ويستقل ما بذلتَ له من نفسك.

وقال: لا تعدن معروفًا، ولا حظًّا نِلته نفيسًا، إذا كان مع ابتذال نفسك، وإخلاق وجهك، وضِعة قدرك.. فإن الذي فقدت من عز الصيانة أكثر من قُدر الفائدة، وقيمة ما بذلت من قَدرك: أعظم مما أفدت من قضاء وطَر نفسك.

وحكي: أنه كان يتعلم الموسيقى على كِبَر.

فقيل له: أما تستحي يا شيخ أن تتعلم على الكبَر؟

فقال: أقبح من ذلك: أن أكون على الكِبَر جاهلًا.

ويرى فتىً قد أكل ماله، وحصل على أكل الزيتون من الشجر بجمعه.

فقال له: لو كنت اقتصرت على أن يكون هذا طعامك، لم يكن هذا طعامك.

وقال: إنما جُعِل للإنسان لسان واحد، وأُذُنان.. ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به.

وقال: الملك الأعظم هو الغالب لشهواته.

وقيل له: أيُّ الأشياء ألذ؟

فقال: استفادة الأدب، واستماع أخبار لم تكن قد سُمِعَت.

Obeikandl.com

وقال: أنفس ما لزمه الأحداث: الأدب... وأقل نفعه لهم: أنه يقطعهم عن الأشياء الردية.

وقال: أنفع ما اقتناه الإنسان: الصديق المخلص.

- كلمات في الصمت

وسمع إنسانًا يقول: السكوت أسلم، وذلك أن الكلام الكثير قد يقع فيه الخطأ الكثير.

فقال: ليس يعرض ذلك إلا لمن يدري ما يتكلم به.. بل إن تكلم الجاهل قليلًا، أو كثيرًا، فهو خطأ.

وقال: نفع السكوت، أكثر من نفع الكلام.. وضرر الكلام، أكثر من ضرر السكوت.

وقال: العاقل يُعرف بكثرة صمته.. والجاهل يُعرف بكثرة كلامه.

وقال: الصامت يُنسب إلى العِي ويَسْلم... والمتكلم يُنسب إلى الفضول ويندم.

وقال: لو لم يربح الصامت إلا ألم المجادلة وألم المقاولة، لكان رابحًا... فكيف هو مع ذلك يربح حُسن العاقبة، وراحة الأحياء به؟

وقال: من لم يستعمل الصمت من نفسه، وإلا أسكته غيره كُرهًا، وكان عارًا عليه.

وقال: من سكت حتى يستنطق، كان الربح لمن ينطق حتى يعيش.

obeikandi.com

وكان مكتوبًا على باب صومعته: سلامي على من لا أعرفه.. ولا يعرفني.

وقال: الحكمة طب النفوس، والحكيم العالم: معالج النفوس.

وقال: الكلام مملوك، ما لم ينطق به صاحبه.. فإذا نطق به، خرج عن ملكه له.

وقال: مَنْ قَوِيَ على الإمساك عن الكلام إلا في موضعه.. كان على الفعل أقوى.

وقال: الكلام: مفتاح السر، والسكوت: مغلاق.

وقال: الصمت: محمود في أكثر المواضع.. والكلام: مذموم في أكثر المواضع.

وقال: إذا تكلم المرء، عُرف تمامه من نقصه.. وإذا سكت، شككك في أمره فلم يقض عليه بنقص... ولا بتمام.

وقال: من عَلِمَ أن الكلام يتصفح، فليتصفحه هو على نفسه قبل أن يتصفحه عليه غيره.

وقال لتلميذ له: الكلام يُحصَى عليك فاحرص أن يكون صوابًا، وإلا فالإمساك أولى به، وقال: من كان الكلام له موجعًا كان من الضرب سالمًا.

وقال: الصامت متصفح على غيره، والمتكلم متصفح عليه.

واستشاره رجل في التزويج، فقال له: احذر أن تكون كالسمك، فالداخل في الشبكة يطلب الخروج، والخارج يطلب الدخول.

وقال: استهينوا بالموت... فإن مرارته في خوفه.

وقيل له: ما القُنْيَة المحمودة؟

فقال: ما ينمي على الإنفاق.

وقال: لا تكن عنايتك أن تكتسب الشيء بدون عنايتك بحُسن استعماله.

وقال له رجل: ما أغنت عنك الحكمة، وأنت لا تبيت إلا فقيرًا؟

فقال: أغنت عني: ألم ما لا أملك.

وقالت له امرأة معروفة بالمجون، والسرف على نفسها: يا شيخ.. ما أقبح وجهك؟

فقال لها: لولا أنك من المرايا الصدئة، لبان حُسن صورتي عندك.

وقال: السُّكر إنما هو عدم النفس عالم العقل، وهو يترك كالهيولي التي لا صورة لها، فتبقى النفس لا حيلة لها.. فأي شيء أضر من شرب ما يجرد على النفس حيلتها.

وقال: المتصرفون في الزمان نحو تصرف الزمان لا يستشارون؛ لأنهم لا يشيرون بالرأي.. لأنه لا رأي لهم، بل إنهم يشيرون بمحض الهوى.. وإنما يُستشار من حصر الزمان برأيه فلم يتصرف معه.. ومن لم يتصرف مع الزمان، فله المحبة المحضة العقلية، ومن تصرَّف مع الزمان، فإنما محبته هوائية.

وقال: الرأي يُريك غاية الأمر في مبدئه.

وقال: كتمان السر: واجب في العقل.. فمذيعه لا عقل له.

وقال: كتمان سرك سبب إصابتك، وكتمان سر غيرك: واجب عليك.

وقال: المشكور من كَتَم سرًّا لم يستكتمه... وأما من استكتم سرًّا، فذلك واجب عليه.

وقال: اكتُم سرَّ غيرك، كما تحب أن يُكتم سرك غيرك.

وقال: كِتمان السر: كَرَم في النفس، وسُمو في الهِمَّة.

وقال: إذا ضاق صدرك بسرك.. فصدر غيرك به أضيق.

وقيل له: لِمَ صار العاقل يستشير؟

فقال: العلة في ذلك تجريد الرأي عن الهوى، وإنما استشار تخوفًا من شوائب الهوى.

وقال: لو عَلِمَ الذي يأكل الحلو ويُدمنه أن علاجه المر.. لَمَا داوم عليه.

وقال: الفضل بين الحُرِّ والعبد.. وأن الحُر يحرس الحق أبدًا حراسة جوهرية.. والعبد يحرس حراسة عرضية، وهي حراسة المخافة.

وقال: من حَسُنَ خُلُقه: طاب عيشه، ودامت سلامته، وتأكدت في النفوس محبته.. ومن ساء خُلُقه: تنكدت عيشته، ودامت بغضته، ونفرت النفوس منه.

وقال: حُسْن الخُلُق يغطي غيره من القبائح، وسوء الخلق يُقبح غيره من المحاسن.

وقال: رأس الحكمة: حُسْن الخُلُق.

obeikandl.com

وقال: حُسْن الخُلُق: يؤدي إلى السلامة، ويؤمِّن من الندامة، ويوجب الألفة، ويؤمن من الفقر، ويبعث على الجميل.

وقال لتلميذ له يومًا: أي بني.. إياك والاغترار بالزمان؛ فإنه لم يقف لمن وعده قبلك.. وكذلك لا يفي لك وعليك بحُسن الخلق: تكن محبوبًا بالوفاء.. واعلم يا بني أنك إن كنت حَسَن الصورة، فجمعتَ إلى حُسن صورتك حُسن خُلُقك فكنتَ كاملًا.. وإن كنتَ قبيح الصورة لم تجمع إلى قُبح صورتك.

وأوصى «سقراط» تلاميذه فقال: عوِّدوا أنفسكم القنوع، وتعرَّفوا الفضل عند الزيادة: يطيب لكم العيش.. ولا تستودعوا أسراركم غيركم؛ كي تأمنوا صرف الزمان، ولا تستصغروا الأمر الصغير إذا ورد عليكم، وكان قابلًا للنَّماء.

وقال: رَبُّوا أصدقاءكم بالمحبة والفضل، ولا تظهروا لهم المَودَّة من أنفُسكم دفعة واحدة.

وقال: النوم موتة خفيفة، والموت: نوم طويل.

وقال: من طلب أكثر من حاجته، شغِل عن منفعته.

وقال: القنوع إمام الكفاية.. ومن تعاهد نفسه بالمحاسبة: أمن منها المداهنة.

وقال: الأمل: نزوع النفس الرديئة التركيب.

وقال: لأجل حب الدنيا: صمَّت الأسماع عن الحكمة، وعميت القلوب عن نور البصيرة.

وقال: اقبل عُذر الناس، تستمتع بحديثهم.. وأمت ضغائنهم بالبِشرِ بهم.

وقال: الحكمة نور جوهري الطبع، والصواب فرع الرأي، والفكر والعمل بالهوى: ضد الحزم.

وقال: استِدم الحب من صديقك بحُسن صحبتك له، يطل مكثه معك.

وقال لتلميذ له: لا تركن إلى الزمان؛ فإنه سريع الخيانة لمن ركَن إليه.

وقال: غوائل الأيام كثيرة، ولن يُحصي أحد عددها.

وقال: الزمان يحذر عن نفسه، ويخبر عن سوء عاقبته.

وقال لتلميذ له: يا بُني.. لا تغترنَّ بحسن شبابك، وصحة جسمك؛ فإن عاقبة الصحة: سقم، وعاقبة السقم: موت...

يا بني... اعمل في التخلص من آفات الدنيا، وغوائل الزمان.. فإن: مع كل فرحة: ترحة، ومع كل صفو: كدر، ومع كل نعمة: نِقمة، ومع كل اجتماع: تشتت، ومع كل تواصل: انقطاع.

وقال: من سرَّه الزمان في حال، ساءه في أخرى.

وقال: أوشك لمن سرَّه الزمان في عدوه... أن يسرَّ عدوه فيه.

وقال: من كانت الأيام به سائرة.. فلا شك أن عظامه بالية، ومهجته عن الدنيا راحلة.

وقال رجل لسقراط: ذكرتك لفلان، فلم يعرفك.

فقال: يضُرُّه ألا يعرفني، ولا يضرني أن يعرفني... إني لا أعنى بمعرفة خسيس، ولا يجهل مثلي إلا خسيس.

وقال: متبع الشهوات: نادم في العاقبة، مذموم في العاجلة.. ومُخالف الشهوات: سالم في العاقبة، محمود في العاجلة.

وقال: من أنزل نفسه منزلتها، أمن عليها من سوء الدوائر.

وقال: النفس جوهرة لا قيمة لها.. فمن عرفها: صانها، إلا عما يُشاكلها.. ومن جهلها: بذلها في غير موضعها.

وقال: اتفاق النفوس في اتفاق هَمِّها.. واختلاف مرادها.

وقال: من لم يعدل على نفسه، أوشك ألا يعدل على غيره.. ومن لم يُحسن النظر لنفسه، لم يحسن النظر لمن سواه.

وقال: العاقل من يُقاضي نفسه بما يحب لغيره، ولا يتقاضى من غيره ما يحب به.

وقال: من ألهم نفسه حُبَّ الدنيا، امتلأ قلبه من ثلاث خِلال: فقر.. لا يدرك منتهاه.

وشغل.. لا يدرك فناه.

وأمل.. لا يدرك منتهاه.

وقال: من احتجت أن تستكتمه سرك، فلا تسره إليه.

وقال: إذا لم تجد في الدنيا إلا مهمومًا، فأنفع المهمومين من كان هَمُّهُ في الأمر الباقي.

وقال: إن العاقل المُدْبر.. أرقى من الجاهل المقبل.

وقال: إذا كثرت الأفعال.. قلَّت الشهوة في الإنسان.

وسُئل «سقراط»: لِمَ صار ماء البحر مالحًا؟

فقال للسائل: إن أعلمتني المنفعة التي تنالك من ذلك، أعلمتك السبب فيه.

وقيل له: ما الذي غنمت من المحكمة؟

فقال: صرت كالقائم على شاطئ البحر.. انظر إلى الجُهَّال يتلفُّون بين أمواجه.

وقال: الدنيا ميراث الدول، وبقية القرون، وأوعية الفجائع.

وقال: الحرية هي خدمة الإنسان للخير، وانهاكه فيه.. وبقدر خدمته له، تكون حريته ، ومن لم يتمسك بالخير، فليس بِحُرٍّ.

وقال: لا تُسرف في شهواتك؛ فإن لك من الحدثان وقائع.. فارصد ما يأتي به.. فمن جوهر من خلا أنت، وفي محل من فات مقيم، وإلى العنصر الذي بدأت منه تعود.

وقال: من أراد الاتصال بالإخوان، فليمتحن نفسه بخلاف شهوته، وليعرف صبره بخلاف موافقته.. فإ، كان ذلك سهلًا عليه، طابت عِشْرة أخلَّائه له.. وإلا فالوحدة به أشبه.

وقال: النساء فخ منصوب للرجال.. فما يقع فيه إلا من اغترَّ به.

وقال: لا ضير أضرُّ من الجهل، ولا شرَّ أشرُّ من النساء.

رأى امرأة تحمل نارًا، فقال: حاملة أشر من المحمول.

ونظر إلى امرأة سقيمة على الفراش لا حراك لها، فقال: الشر بالشرِّ يُكَفُّ.

ونظر إلى جنازة امرأة، وخلفها بَواكٍ، فقال: الشر لفقد الشر يتوجع.

ونظر إلى صبيَّة تتعلم الكتابة، فقال: لا يزيد الشر إلا شرًّا.

وقال: من أراد النجاة من مكائد الشيطان، فلا يطيعنَّ امرأة.. فإن النساء سُلم منصوب، ليس للشيطان حيلة إلا بالصعود عليه.

وقال: العجز يعرف بالرجل من ثلاث خصال:

قلة اكتراثه بمصالح نفسه، وقلة مخالفته لما يشتهي، وقبوله من امرأته فيما يعلم، وفيما لا يعلم.

وقال يومًا لتلاميذه: هل أدلُّكُم على النجاة من الشر كله؟

قالوا: نعم، أيها الحكيم.. فقديمًا كانت لك الحكمة علينا.

فقال: لا يطيعنَّ أحدكم امرأة بحال، ولا فيما تعرف، ولا فيما تنكر.. فإنه يسلم.

فقال بعضهم: فالرجل مِنَّا له الأُم الشفيقة، والأُخت الشفيقة.

فقال: فيما قلت لكم كفاية، الشر بالشر شبيه.

وقال: من أراد أن يقوى على طلب الحكمة فليكف عن تمليك النساء على نفسه.

ونظر إلى امرأة تتعطر، فقال: نار يكثُر حطَبها.. حتى يشتد وهجها، وينمو ضررها.

وقيل له: ما تقول في النساء؟

فقال: هي كشجرة الدفلى.. لها رونق وبهاء، فإذا أكله الغر.. قتله.

وقيل له: كيف يجوز لك أن تلوم النساء، ولولاهنَّ لم تكن أنت، ولا أمثالك من الحُكماء؟

فقال: المرأة مثل النخلة ذات السلى.. إن دخل في ثوب إنسان عقره.. وحَمْلها: الرطُب الجني.

وقيل له: ما بالك تنفر من النساء؟

فقال: لِمَا أرى من نفورهنَّ عن الخير، وسلوكهنَّ في طُرق الشر.

وقال: أسير النساء.. غير مفكوك.

وقال: من تملكه النساء، فهو قتيل الأحياء.

ورأى رجلًا يصيح: النار.. النار.

فقال له: ما حالك؟

فقال: امرأة لي آثرت عليَّ غيري.

فقال له: يا هذا.. كفاك عارًا أن تريد من لا يريدك.

obeikandl.com

فقال: فرجْتَ عنِّي ورَبِّ السماء..

ورأى صبية تتعلم الكتابة فقال: عقرب تزداد سُمًّا على سُمِّها.

وقيل له: أي العلوم ينبغي أن يُوجَّه لها الأحداث؟

فقال: كل الأمور التي يستحي الكبير ألا يكون عَلِمَها.

وقيل له: منذ كم بدأت بكسب الفضائل؟

فقال: منذ بدأت بتوبيخ نفسي.

وقال: إذا أحسن الإنسان من نفسه ألا يلوثه الذَّم في لزوم سبيل الحكمة وسننها.. فقد صار حكيمًا.

وقال له «أرشيحانس»: إن الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يُقبل.

فقال: ليس يكربني أن يكون لا يُقبل، وإنما يكربني ألا يكن صوابًا.

وقال: الفاضل في الطبقة العليا، هو الذي سعى للفضائل من تلقاء نفسه.. والفاضل في الطبقة الثانية، هو الذي يتحرك لها إذا سمعها من غيره، ومن أخطأه الأمران، فهو الساقط الدني.

وقال: القنية المحمودة هي التي إذا منحها غيرك، كانت لكمالها عندك.

وقال: من لا يستحي، فلا تُخطره ببالك.

وقال: لست رادًّا ما نفذ منك من قول أو فعل.. وتقدر على التحرر قبل ذلك.

وقال: لا يمنعك من فعل الحسنة أن ترى من يزدريها.

وقال لتلميذه له: «أي بُني.. إياك والحسد على ما يبقى، وهي زينة الدنيا.. وعليك بالتنافس فيما يدوم ويبقى.

أي بُني.. جانب الشر وأهله، يألفك الخير وأهله.

أي بني.. عليك بصحبة العلماء، تكن فاضلًا بصحبتهم، وكن معظِّمًا لأقدراهم، يجعلوك موضعًا لأسرارهم.

أي بُني.. إن التمادي في الغفلة مع طول الصحة: غرور.

أي بُني.. إن أردت ألا يصل إليك من أحد شر، فلا تعتقد الشر بقلبك، ولا تطو عليه سرَّك.

أي بُني.. قلل التفقد لعيوب الناس، يقل تفقد الناس لعيوبك.

أي بُني.. قدم العقل أمامك في جميع أمورك، ترشد باتباعك إياه».

وقال: لا تصدَّنَّك عن الإحسان جحود جاحد النعمة.

وقال: الجاهل من عثر بحَجَرٍ مرتين.

وقال له رجل: ما أقبح وجهك؟

فقال: لم أملك الخِلقة فألَامَ عليها، فأما ما كان ملكي، فقد استكملته، وأما أنت، فالذي كان في ملكك هجنته وقبحته.

فقال له: ما الذي في ملكك من التزيين والتقبيح؟

قال «سقراط»: من التزين: عمارة الذهن بالحكمة.

وجلاء العقل في الأدب.

وقمع الغضب بالحلم.

وردع الحرص بالقناعة.

وإماتة الجسد بالزهد.

وتبديل المرح بالسكون.

ورياضة النفس بالعلم... حتى تصير مطمئنة.

ومن التقبيح والتهجين: تعطيل الذهن من الحكمة.

وتوسيخ العقل بضياع الأدب.

واحتدام الغضب بالانتقام.

وإمداد الحرص بالقلب.

وتذليل النفس بالشهوات البهيمية.. حتى تصير لها تبعًا.

وقال لتلميذ له: وطِّىء نفسك للمصائب؛ فإنك في دار النازل فيها غير معرى من مصائبها على كل حال.. استعد للبلاء قبل نزوله، فإذا نزل كنتَ مستعدًّا له بالصبر، وإن انصرف عنك، كان ذلك بعد استعدادك.

«أي بني... كن ناصحًا لمن ائتمنك: تسلم من سوء العاقبة في أمرك».

وقال: افعل ما تحب له أن يفعل بك، واكفف عما تحب أن يكفف عنك.

وقال: التجني وافد للقطيعة، والبخل من ضيق النفس.

وقال: النفس الناطقة جوهر بسيط، ذو سمع قوي، يتحرك بها حركة مفردة إذا تحرك بها نحو ذاته، ونحو العقل.. وحركاته مختلفة إذا تحرك نحو الحواس الخمس.

وقال: الجود: إيثار لذة عذوبة الثناء.. على لذة المال.

وقال: الصبر: حصن منيع البنيان.. والعجلة: مفسدة المروءة، وقائدة إلى الندامة.

والصدق: ثمرة الكرم، والحرص: فضول الشهوات، والأماني: حبائل الجهل، والعِشْرة الحسنة: وقاية من الأسواء.

وقال: اصنع النعمة باصطناع المعروف، تأمن زوالها عنك، والشكر: دين، وميراث مأخوذ من أهل كل نعمة.. فمن أحاط النعمة بالشكر، أُحيطت له بالمزيد.

وقال: بالتأني تسهل المصائب، وبلين كَنَف المعاشرة: تدوم المودة، وبحفظ الجانب: تأمن النفوس، وبسعة خُلُق المرء يطيب عيشه، وبكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالعدل تجب الجلالة.

وبالنصفة تكون المواصلة، وبالاتصال تعظم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال، وباحتمال المؤمن يجب السؤدد، وبالسيرة العادلة يقهر المناوئ، وبالحلم عن السفيه يكثر أنصارك عليه، وبالرفق والتودد يستحق اسم الكرم، وبالرفق والصدق والوقار تلاحظك بالجلالة الأكفاء.

وبنفي العُجْب تأمن الحسد، وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل.

وقال: لأهل الاعتبار في صروف الدهر: كفاية.. فكل يوم يأتي عليك فيه علم جديد.

وقال: مسالم الناس: عزيز الجانب، وذو الغوائل: غير محفوظ.

والحذر لا ينفع الظالم، وإنما يأمن العدوان المنصف، وحُسْن البشاشة يبلغ بصاحبها المعالي، والفعل الجميل مراتعه: نزهة.

وقال: البشاشة تكسو أهلها المحبة، والفظاظة تخلع من صاحبها ثوب القبول.

وقال: من حاسب نفسه: ربح، ومن غفل عنها: خسر، ومن صبر: غنم، ومن لم يحلم: ندم، ومن سكت: سلم، ومن اعتبر: أبصر، ومن صبر: فهم، ومن فهم: علم.

وقال: من زرع الشر.. يحصد الشر.

والقليل مع القنوع: عز.. والحرص مع الكثير: ذُل.

والفكر في العاقبة: نجاة، وحليف الصدق: موفق، وقرين الكذب: مخذول.

ومصاحب العاقل: مغتبط، ومصاحب الجاهل: تعب.

وإذا زللت فارجع، وإذا أسات فاندم، وإذا ندمت فأقلع، وإذا فضلت على أحد فاكتم.. وإذا منعت فأجمل.

وقال: من استلذ المعروف، كان ربحه الحمد.

ومن كافأ بالشكر، فقد أدَّى الحق، ومن أقرضك الثناء، فأوفه الصنيع، ومن بدأك ببره، فقد شغلك بشكره.

وقال: كن موقر القدر، تبقى لك الجلالة على أي حال كنت.

وتعهد نفسك بالحَذَر في وقت الأُنس مع الموالفة؛ لئلا تخرج من حدود ما يحتمل.

وتجوز العدو في التبذل، فتحمد على أكثر ما ظهر منك فيها يستأنف، ثم يكون منبوذًا.

وقال: بعوارض الآفات تكْدَّر النِّعم على المنعمين.

وقال: العاقل: من اتهم رأيه، ولم يثق بكل ما سوَّلت له نفسه..

والجاهل: لا يعرف تقصيره، ولا يقبل من نصائحه.

وقال: لا تعاشر من الناس إلا من عرف مقدار نفسه، فإن من عرف مقدار نفسه، فمعاشرة منه في طيب عيش، ومن لم يعرف فلا خير في عِشْرته.

وقال: من قلَّ هَمُّهُ على ما فاته، استراحت نفسه، وصفا ذهنه.

وقال: من استقصى على خليطه، تقطعت أسباب مودَّته.. ومن استقصى على نفسه، استراح من استقصاء غيره عليه.

وقال: العاقل من اقتصد في معيشته، وتأدب في منطقه، وتربَّى مع الصالحين من أهل طبقته، ولم يرغب في شيء دنيء إن عرض له.

وقال: لا تستحِ أن تقبل الحق ممن أتى به، وإن أتى به ذميم المنظر؛ فإن الحق عظيم.

وكان يقول: يا شر الموت خلُّوا أمركم بالحكمة إلى الحكيم، وصاحبه يعظم لعظمته.

وقال: من أحبك لنفسك، فلا تخله من فضلك.

وقال: الغني من سَتَّر صاحبه من الامتهان.. أكثر من المال الذي يُرزَقه صاحبه بالهوان.

وقال: أوشك لمن شغل بنفسه أن يرى الرشد في عاقبة أمره.

وقال له بعض تلامذته: ما نرى عليك آثار الحزن.

فقال له: لأني لا أملك شيئًا، إن عدمته أحزنني.. وإن انكسر الحب لم ينكسر المكان.

وقال لرجل منهزم: الهرب من الحرب فضيحة.

فقال له: شر من الفضيحة: الموت.

وقال له «سقراط»: الحياة أفضل من الموت، إذا كانت النجاة من الموت إلى حياة صالحة.. فأما إذا كانت النجاة إلى حياة ردية، فالموت خير منها وأفضل.

وقال لامرأته: حين أُخرج من الحبس وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟

فقالت: كيف لا أبكي، وأنت تقتل مظلومًا.

فقال لها: هل كنت تريدين أن أقتل بحق؟

وقال لتلاميذه: من لم يضمر نفسه عن مضمار الرياضات، لم يسبق إلى غاية الخيرات؛ لأنه لم يبلغ غاية مدى الحكمة.

وكان يقول: يا أسارى الموت، خلُّوا أسركم بالحكمة.

وكان يقول: حيث يكون الشراب واللهو، لا تسكُن العفة والحكمة.. بل هما منه منتفيان.

وشتَمَ بعض السُّفهاء «سقراط» فقال له بعض أصحابه: ائذن لي فيه أيها الحكيم، أكفكَ إياه.

فقال له: ليس بحكيم من أَذِنَ في الشرِّ.

وقيل له: إن أهل المدينة يضحكون منك.

قال: عليَّ أن أتمم ضحكهم لي.. إلى مماتي.

وقيل له: إن فلانًا عدوك مات.

فقال: وددتُ أنكم قلتم تزوَّج؛ فإن تزويجه شر له من موته.

ورآه بعض أمراء الملك يأكل الحشيش في الصحراء، فقال: لو خدمت ملكًا، لما احتجتُ إلى هذا.

فقال: وأنت لو قدرت على أكل الحشيش، لم تعبد من هو مثلك؛ لأنك أبدًا بين حزن وغم، وتعب من الخدمة.

فقال له: وكيف ذلك؟

فقال: لأني لست أملك ما أحتاج إلى الاهتمام به؛ فإن أكل الحكماء بلا نمو، وعبادتهم بلا رياء، وحياتهم بلا أُمنية.

وقال: إذا أردت أن تشاور أحدًا في شيء من أمر نفسك، فانظر كيف تدبير ذلك المستشار في أمر نفسه، فإن كان لم يصلح لنفسه، ولم يُكسبها خيرًا.. فأنت أحرى ألا تنتفع به، فلست آثر عنده من نفسه.

وقال: من يجرب: يزدد علمًا، ومن يؤمن يزدد يقينًا، ومن يستيقن يزدد جهادًا، ومن يحرص على العمل يزدد قوة، ومن يكسل يزدد فترة، ومن يتردد يزدد شكًّا.

بيت «سقراط» وزن بالعربية:

إنما الدنيا وإن رمقت

خطرة من لحظ ملتفت.

وقال: «الباري» تعالى لا غاية له ولا نهاية، وما ليس له نهاية لا شخص له ولا صورة.. والنهاية في سائر الموجودات لو تحققت لكائنات لها صورة واقعة، ووضع وترتيب .. وما تحقق له صورة ووضع وترتيب، صار ساهيًا؛ فالموجودات ليست بلا نهاية... والمبدع الأول: ليس بذي نهاية.. على أنه ذاهب في الجهات بلا نهاية، كما يتخيله الخيال والوهم.. بل لا يرتقي إليه الخيال.

و«الحق».. لم يصفه بنهاية، ولا بغير نهاية.. فلا نهاية له من جهة العقل؛ إذ لا يحده، ولا من جهة الحسن؛ إذ لا يحده.. فهو ليس له نهاية، فليس له شخص وصورة، فليس له صورة حسية ولا خيالية ولا عقلية.

ورأى «سقراط»: إن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل الأبدان، على نحو من أنحاء الوجود، إما متصلة بكلها، أو مباينة بذواتها وأجزائها.. فاتصلت بالأبدان استكمالًا، والأبدان قوالبها وآلاتها.. فإذا بطلت، ورجعت النفوس إلى كلياتها.. ولهذا قال: لما خوف بالملك القاتل له: إن «سقراط» في جب، والملك لا يقدر إلا على كسر الجُب.. فإذا انكسر رجع الماء إلى البحر.

وقال: ينبغي لنا أن نغتم بالحياة، ونفر بالموت... لأنَّا نحيا لنموت، ونموت لنحيا.

وقال: قلوب المغرقين في المغرفة بالحقائق: منابر الملائكة، وبطون المتلذذين بالشهوات: قبور الحيوانات الهالكة.

وقال: كما أن جميع الأعراض الخارجة التي تظهر في البدن تابعة: ضرورة أمراضًا في البدن، وأشياء خارجة عن الطبيعة.

وكذلك الكلام الغامض، والأفعال الصعبة التي تظهر من النفس تابعة: ضرورة أمراضًا، إمَّا نفسية، وإما أشياء خارجة عن الطبيعة.. ثابتة في النفس، والعقل.

وقال: كما أن الذين يستعملون حواس البدن فقط يمنعهم من الغضب الملك المحسوس إذا وقفوا بين يديه.. كذلك يجب على من يستعمل الحواس

النفسانية إن يمنعه من الغضب: الخوف من الملك المعقول الذي هو واقف بين يديه دائمًا.

وقال: واحذر حلم الحكيم، ولا يغرَّك تماديه؛ فإن الصندل مع برده تلجُّ عليه الرياح.. حتى تجمع بين أغصانه، فيبلغ من قدح بعضها لبعض ما يؤذي منه، فتحرقه.

وذكِرَ له رجل كثير المال.. فقال: لستُ أغبطه دون أن أعلم أنه أحسن استعمال ماله.

وجُعِلَ لرجل على أن يشتم «سقراط» مالًا فشتمه.. فقال: إن كان هاهنا وجه آخر يظن أن ينتفع بنا فيه، فلا يُمنع منه.

ورفع عليه رجل في مجلس بعض الرؤساء، فلم يمتعض.. فقيل له في ذلك.. فقال: هذا الحائط الذي قُبالتنا أرفع مِنَّا أجمعين، ولا أرى أحدًا مِنَّا ينغصه ذلك، وإنما أغضب أن ترتفع هِمَّته على همَّتي.. فأما إذا كانت هِمَّتي أرفع: فمجلسي الأرفع، ومجلسه الأدنى..

وقال: احذر العتب لمن تعرف ضرره، فإن وقعت فيه، فلا ينكِّل فيه عن الخروج منه بجهدك.

وقال: لولا أن في قولي: لا أعلم، إخبارًا أني أعلم.. لقلتُ: لا أعلم.

ورآه إنسان وهو في كساء لا يوازيه خِلْق، فقال: هذا «سقراط» واضع نواميس أثينة، وجعل يتعجب منه.

فقال: هذا «سقراط» ألبس عليه الناموس الحق كساء جديدًا.

وكان يقول لتلامذته: استهينوا بالموت، وليهن عليكم خائفو الموت.

وأوصى «سقراط» عند موته بتسعة أشياء، فقال:

- خذوا طبائعكم بالقنوع من بدء ومعرفتها؛ فإنكم تعرفون الشكر عند الزيادة، ويطيب عيشكم.

- ولا تسمع سوى قلبك؛ فإن الزمان لا يؤمن أن يتصرف عليك بالحاشية الجائرة، كما يتصرف عليك بالحاشية العادلة.

- لا تستصغر الأمر -وهو صغير- إذا ورد عليك، وهو قابل للزيادة.

- رَبِّ صديقك بالمحبة دفعة واحدة؛ فإنه متى رأى منك تغيرًا، أعقبك بالعداوة.

- تجنب المرد؛ فإنه يضيع المروءة، ويهتك الستر، والشرف، والفضيلة.

- استعملوا المحبة.

- ارفضوا المعاملة بوزن القصاص: تسلم أنفسكم من الأشرار.

- تقربوا من الأخيار.

- لا تبكت أحدًا بما تفعل مثله، وإلا فاجتنب الفعل الذي تبكت غيرك به.

وقال: من الحكمة: أن يعف المرء نفسه لأي شيء تصلُح.

خبر «أفلاطون» الحكيم وآدابه

هو «أفلاطون بن أرسطن بن أرسطو فليس» من (أثينيه)، وهو آخر الحُكماء المتقدمين الأساطين، وهو معروف بالتوحيد والحكمة.

تتلمذ «لسقراط»، و«طيماوس»[1]، و «غريب» أثينيه، و«غريب» الناطس.

ولما مات «سقراط» قام مقامه، وجلس على كرسيه، وضم إليه العلوم الطبيعية والرياضية.

وحكى عنه تلامذته «أرسطو»، و«طيماوس»، و«ثاوفرسطوس»: إن العالَم مُبدعًا أزليًّا، واجبًا لذاته، عالمًا بجميع المعلومات على نعت الأسباب الكلية، كان في الأزل، ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل، ولا مثال عند «الباري» تعالى، وربما يعبر عنه بالهيولي، أو بالعنصر.

ولعله يشير إلى صور المعلومات في علمه، فأبدع العقل الأول.. ويتوسط النفس الكلية المنبعثة عن العقل انبعاث الصورة عن المرآة، ويتوسطها العنصر والهيولي الموضوعة للصور الحسيسة غير ذلك العنصر.

وأدرج الزمان، أعني: الدهر في المبادئ، وأثبت لكل موجود مثالًا في العالم الحسي، موجودًا غير مشخص في العالم العقلي.

فالمبادئ الأُوَل: بسائط، والمُثُل: مبسوطات، والأشخاص: مركبات.

---

(١) طيماوس الثاني (١)(١)طيماوس»(١) طيماوس الثاني «٧٨٠- ٨٢٣م».

فالإنسان المحسوس جزيء للإنسان المبسوط المعقول.. وكذا كل نوع من الحيوان، والنبات، والمعادن، والموجودات في هذا العالم آثار الموجودات في ذلك العالم.

وكل أثر لا بُدَّ له من مؤثر يشابهه نوعًا من المشابهة، والعقل الإنساني لما كان من ذلك العالم أدرك من المحسوس مثالًا منتزعًا من المادة، معقولًا يطابق الذي في عالم العقل بكليته، ويطابق الموجود الذي في عالم الحس بجزئيته.

ولولا ذلك ما كان يدركه العقل مطابقًا.. فلم يكن مُدركًا لشيء يوافق إدراكه حقيقة مدرك.

وإنما تبقى الصور الحسية إذا كانت لها صور عقلية ترجو اللحاق بها، ويخاف التخلف عنها.

وإذا شاهدنا بالحسِّ جميع المحسوسات وهي محدودة، محصورة بالزمان والمكان وهي مُثُل عقلية.

و«أرسطو» يخالف «أفلاطون» بهذا المعنى العقلي الكلي.. إلا أنه يقول: أنه معنى في العقل موجود في الذهن، لا يوجد في الخارج عنه؛ إذ الشخص الواحد لا ينطبق على «زيد» و«عمرو»، وهو في نفسه واحد.

و«أفلاطون» يقول ذلك المعنى الذي في العقل، لا بُدَّ أن يكون له شيء يطابقه في الخارج، فينطبق عليه.

وذلك هو المثال العقلي، وهو جوهر؛ إذ تصوُّر وجوده لا في موضوع، وهو مقدم على الأشخاص الجزئية، يتقدم العقل على الحس، وهو تقدم عقلي وشرفي معًا.

وتلك المُثُل: مبادئ الموجودات الحسية، منها بدأت وإليها تعود.. ويتفرع على ذلك: أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل الأبدان بنحو من أنحاء الوجود العقلي، وهو «بهما يرى» الصور المجرَّدة.

وخالفه «أرسطو».. ويقال: إنه شارك «سقراط» في الأخذ عن «فيثاغورس»، إلا أنه لم يظهر، ويشتهر بالحكمة إلا بعد موت «سقراط»، واحتوى على جميع فنون الفلسفة، وصنَّف كُتُبًا كثيرة مشهورة في ضروب الحكمة، وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق.

وخرَّج جماعة من التلاميذ.. وكان يعلم وهو ماش، فسُمُّوا بالمشائين، وفوَّض التعليم إلى ذَوِي البراعة في آخر عمره من أصحابه.

وتخلَّى عن الناس، واشتغل بعبادة ربه عزَّ وجلَّ.

ومن كُتُبه كتاب «فادن»: في النفس.

و «صيماوس الروحاني»: في عالم النفس والعقل والربوبية.

وكتاب «طيماوس الطبيعي»: في ترتيب عالم الطبيعة.

ومعنى «أفلاطون» وتفسيره في لغتهم: «العميم الواسع».

وكان اسم أبيه «أرسطن»، وكان أبواه من أشرف اليونانيين، من ولد «أسقليبوس» جميعًا.

وكانت أُمه خاصة من نسل «أسيرولوس» صاحب الشرائع.

وكان قد أخذ أول أمره في تعلم الشعر واللغة.. وبلغ في ذلك مبلغًا عظيمًا.. إلى أن حضر يومًا «سقراطيس» وهو يثبت صناعة الشعر، فأعجبه ما سمع مِنه، وزَهَد فيما كان عنده منه، ولزم «سقراط»، وسمع منه خمس سنين.. ثم مات «سقراط».

وبلغه أن بمصر قومًا من أصحاب «فيثاغورس»، فسار إليهم حتى أخذ عنهم.

وكان يميل في الحكمة قبل أن يصحب «سقراط» إلى رأي «هيراقليطس».

فلما صحب «سقراط» زهد في مذهب «هيراقليطس»، وكان يصحبه في الأشياء المحرمة.

وكان يتبع «فيثاغورس» في الأشياء المعقولة، وكان يتبع «سقراطيس» في أمور التدبير.

ثم رجع «أفلاطون» من مصر إلى أثينة، وكان نصب فيها بيتي حكمه، وعلَّم الناس فيها.

ثم سار إلى «أسقيليا» فَجَرت له قصة مع «ديونسيوس»[1] المتغلب، وكان بها، وأبلى منه بأشياء صعبة.. ثم تخلص منه، وعاد إلى (أثينة) فسار فيهم

---

(١) ديونسيوس الأكبر: طاغية سيراكوزا ديونسيوس الأكبر: طاغية سيراكوزا «٤٠٥ – ٣٦٧ ق.م»، طرد القرطاجيين، وشجع الآداب، خلفه ابنه الأصغر «ديويسيوس».

أحسن سيرة، وفعل الجميل وألان للضعفاء، وألزموه أن يتولى تدبير أمورهم فامتنع؛ لأنه وجدهم على تدبير غير التدبير الذي يراه صوابًا، وقد ارتادوه.

وتمكن من نفوسهم، فعلم أنه لا يمكنه نقلهم عنه، وأنه لو رام نقلهم عمَّا وجدهم عليه، لكان يهلك كما هلك أستاذه «سقراط».

على أن «سقراط» لم يكن رام استكمال صواب التدبير، وبلغ من العمر (إحدى وثمانين سنة)، وكان حَسَن الأخلاق، كريم الأفعال، كثير الإحسان إلى كل ذي قرابة منه، وإلى الغراباء متأنيًا، حليمًا، صبورًا.

وكان له تلاميذ كثيرة، وتولى التدريس بعده رجل بأثينة في الموضع المعروف بالأكاديمية، وكسا «نقراطيس»، والآخر «بلوفين» من عمل (أثينة) أيضًا، وهو «أرسطوطالس».

وكان يلغز حكمته، ويسترها ويتكلم بها ملغوزة؛ حتى لا يظهر مقصده إلا لذوي الحكمة.

وكان درسه وتعليمه على «طيماوس»، و«سقراط»، وعنهما أخذ أكثر رأيه.

وصنَّف كُتُبًا كثيرة، منها ما بلغنا اسمه (ستة وخمسون كتابًا)، ومنها: كُتُب كبار يكون فيها عِدَّة مقالات.

وكُتبه يتصل بعضها ببعض: أربعة أربعة، يجمعها غرض واحد، ويخص كل واحد منها غرض خاص؛ ليشتمل عليه ذلك الغرض العام.. وسمَّى كل واحد منها رابوعًا، وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبله.

وكان رجُلًا أسمر اللون، معتدل القامة، حَسَن الصورة، تام التخاطيط، حَسَن اللحية، قليل شعر العارضين، ساكنًا خافضًا، أشهل العينين، برَّاق بياضهما، في ذقنه الأسفل خال أسود، تام الباع، لطيف الكلمة، يحب الجلوس في الصحارى والوحدة.

وكان يستدل في الحال الأكثر على موضعه بصوتَ بكائه، وكان يُسمع منه على نحو ميلين في الفيافي، والصحارى، والبراري.

أعاد الله تعالى علينا من بركته ودعائه.

obeikandl.com

آداب «أفلاطون» وحكمه ومواعظه

وهو الإلهي الذي سلم له السبق كل من كان بعده، وإذا شئت أن تشهده في هذه القلة العلية، والمكانة الرفيعة.. فانظر إلى آثاره في «أرسطو»؛ فإنه الذي ألف الصناعة بأحرارها، وتصفحها من حضيضها إلى عليائها، واجتنى كل من غَرسَها من أوليائها، والقول فيها طويل، والثناء عليها موصول.

الذي بلَغَنا من أسماء كُتُبه (ستة وخمسون كتابًا)، وفيها كُتُب كبار.

من أقواله

قال: الحمق نوعان: **الأول**: الجنون.

والثاني: عدم العلم.

وقال: لا تسأل شريرًا حاجة؛ فإنه بحسب شرارته في عطيته.

وقال: إذا خطَرَتْ لك فكرة في شيء تريده، أو تشتهيه... فاجعله من بالك كالعارض، فإن تهيأ لك نلته بأسهل الأمور، وإن فاتك تضطر النفس إليه.

ووعظ «أفلاطون» الناس، فقال: أيها الناس... اسمعوا كلامي، واشكروا الله على نعمه عليكم، واعلموا أن الله سبحانه قد ساوى بين خلقه في مواهب النعم، وبذلَهَا لهم كافَّة... فافهموا واعتبروا القول بالصحة: أسبغ الله النِعم، وهي للعامة أجمعين، ولا ينال الصحة بالمراتب، ولا يفقدها أهل الضعف لضعفهم... هذه نعمة تفوق جميع ما افتخر به أهل السَّعَة.

وكذلك الحاسَّة هي للناس أجمعين، وفيها ما أوجب عليكم الشكر في ليلكم ونهاركم على مواهبه، وعلى ما صرف عنكم من الآفات... فاصرفوا فكركم من المشاحنة فيما لا حاجة بكم إليه.

واعلموا أن ما كان في الفِطرة، فهو السُّنَّة الطبيعية، وفيه لكم منافع وغنى، والطبيعة قد أعدت لكم ما يصلح شأنكم في دنياكم وآخرتكم.

فما الذي يدعوكم إلى أن تجمعوا وتكدُّوا فيما تولد بينكم البَغْضاء والعداوة حقًّا؟

أقول لكم: لو علمتم ما في هذه التي تتنافسون عليها، لعِلمتُم أنك زاهدون فيما رغبتم فيه.

- ادفعوا الشهوات؛ فإنها ضد الفكر..

- لا تطلبوا ما لا حاجة بكم إليه.

- خذوا فيما يصلح أمركم.

ما غنى الذهب والفضة في القطرة؟ ما خاصيتهما التي يمدحهما بها محبوبهما؟

قد أعد الله لكم ما يحامي عنكم، وهو الحكمة والتقوى.

يا قوم... التقوى: رأس النجاح، وهوى مفتاح الفضائل.

- إياكم والجور؛ فإنه أداة العطب، وشقة البلاء.

o p e i k a n a l . c o m

- إياكم والفجور؛ فإنه بنشوئه تهلك الأُمم، وهو من الخـواص. الدنيـة.. فأما الذي تطلبونه، فخذوه لتعرف حجتكم في مطـالبتكم بـالغنى، أو الفقـر، فإن كنتم تطلبون الغنى... فالحجة علـيكم، وإن طلبـتم الفقـر... فـالزموا مـا أقول لكم.

أتنكرون الذي له ما يحتاج إليـه، والـذي لا يقنـع بمالـه، فهـو مكـدود في طلب غيره.. فإذا صحَّ لنا أن الطبيعـة قـد أعـدت مـا نحتـاج إليـه، فواجـب عليكم أن تلزموا ما أنعم الله سبحانه عليكم.

- يا طـالبي الـذهب والفِـضَّة.. ألا نفـسكم تريـدون جمعهـا مـا؟ ... أم لأنفسهما؟ فاذا جمعتموهما راغبين فيها، فما الذي يحملكم عـلى أن تبتـاعوا بهـما المحقرات؟ أما تعتبرون، وتعلمون أنهما لا رغبة فيهما؟ فدعوا الذهب والفضة لمن يجمعهما ويشقى بهما.

علـيكم بالحكمـة؛ فإنهـا ضـياء النفـوس، وبهـا تظهـر فـضائلها وجميـع أخلاقها.

- الزموا العلم؛ فإنه من خاصة الصورة التي هي بدء الخِلقة.

- لا تطلبوا الإسراف في الأكل والشراب؛ فإنها مـن شـكل الهيـولي التـي هي أوضع من الصورة، وهو الذي يتم بفعـل الـصورة.. فتـشبهوا بالـصورة؛ لأنها المحركة بالقوة التي أنشأ فيها «الخالق» تعالى.

- لا تميلوا إلى الهيولي الذي أنشأه «الخالق» تعالى، وتممه بالصورة، وحرَّكه بتحريك القوة لها حقًا.

- أقول لكم: إن «أوميروس» الشاعر مصيب في حكمته، وقوله: إن الهيولي مثال الأنثى، والصورة مثال الذَّكَر... أصلحوا لأنفسكم، يصلح لكم إخوتكم.

- إن تقبلوا قولي ترشُدوا، وإن تغفلوها لم تضيِّعوها غير أنفسكم، ولا يبالي ضرر ذلك غيركم.

- الزموا طريق أسلافكم.

- فارقوا الدنيا وأنتم غير مجروحين بشهواتها.

- قدموا الحكمة على جميع المرغوب فيه.

- اعتنوا بقوام البدن؛ فإنه آلة النفس.

- اطلبوا فضائل النفس تصح لكم قواكم.

- لا تمدحوا المذموم، ولا تذمُّوا الممدوح، وتعاونوا على البر.

- وارفعوا عنكم البغضاء، ولا تأنسوا بما يفارقكم، ولا ترغبوا فيما تفقدونه قريبًا.

- اطلبوا الفضائل التي اتفق الناس على أنها رغبة، وارفضوا المذمومات لانقباض الناس أجمعين عنها.

- اعتبروا بمن مضَى من خياركم وملوككم، وارموا الغرض الذي قصدوا إليه.

الحق: واضح، والصواب: بيِّن، والتُقى: معروفة، والأنفة: ظاهرة، والمروءة: مكشوفة، والعدل: فضيلة محمودة.

- ما أبين وصمة المذمومات.. وما أظهر المصيبات!

- أخبركم حقًّا أني أجد من السرور بانقضاء الذهب والفضة، ما لم أجده من اللذة في مزيد مالي منهما.. بل كانت الغموم متزايدة واردة للانقطاع بالاهتمام بذلك، وأنا أتزيد من سرور الحكمة ومثالها.

- على أن الذهب والفضة، وما أشبههما لا فضيلة في شيء منهما؛ لأنَّا نجد قومًا يبتاعون بالذهب الكثير: القليل من العظام التي هي العاج، وقومًا يستبدلون به النحاس، وما دونه من الزجاج وغيره.

ولو كان للذهب فضيلة في نفسه لكان في كل المواضع مرغوبًا فيه.. كما أن الحكمة في جميع الأقطار ممدوحة، والجهل مذموم في جميع الآفاق.

وعند كل الناس.. انظروا لأنفسكم، وحاموا عن مراتبكم.

- وتزيَّنوا بالعدل، والبسوا العفَّة: تفلحوا، وتحمدوا أموركم.

وقال للملك: فكْرُ يومٍ لنفسك، أنفع من خراج سنة لملكك.

وقال لأرسطو: لا تُشنِّع على أحد، ولتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع.

وقال: من عَلِمَ أنه يموت، فليس له أن يغتمَّ لأمر صعب يعرض له؛ لأنه لا يمكن أن يتوهم الحي أمرًا.. هو أصعب عليه من الموت.

وقال «أفلاطون»: العادة على كل شيء: سلطان.

وقال: سوء الخُلق: يفسد العمل، كما يفسد الصبر العسل.

وقال: من لم يواسِ الإخوان عند دولته.. خذَلوه عند آفته.

ورأى رجلًا ورث عن أبيه ضياعًا فأتلفها.. فقال: الأرضون تبلع الرجال، وهذا الفتى يبلع الأرضين.

وقال: الذي يُعلِّم الناس الخير، ولا يعمله... بمنزلة مَنْ بيده سراج يضيء لغيره.

وقال: ليس الملك من مَلَك العبيد، ولكن من مَلكَ الأحرار..

وما الغَني من جَمع المال، ولكن من دثر المال.

وسأله رجل: بمَ نِلْتَ ما وصلت إليه من العلم؟

فقال له: بأني أفنيت زيتًا في سراجي بأكثر من الشراب الذي شربته أنت.

وشتمه إنسان، فقال له: شأنك والشر.. كأنك لا تُحسن خيرًا.

وقال: ينبغي إذا عُوتب واحد من الأحداث.. أن يُترك له موضع الجحود لدينه، وإلا حمَلَه ذلك على المكابرة.

وسئل: من أحق الناس أن يؤتمن على تدبير المدينة؟

فقال: من كان في تدبير نفسه حَسَن المذهب.

وسئل: من أتقن الناس لأمور الحكمة؟

فقال: أفهمهم لرأيه، وأرغبهم في المشورة، وأوقفهم عند الشبهة؛ حتى يُمكِّنه طريق النظر والامتحان.. وفي النواميس صرح: بأن للعالم بدءًا عليًّا.. وليس له بدء زماني.

وقيل له: من أجهل الناس في فعله؟

فقال: أعجبهم برأيه، وأتبعهم بتدبيره دون رأي غيره، وترك مخالفته أمره، والمتفخم في الأمور بحُسن ظنه.

وقال: الحر النفس الحكيم هو سيد لناموس الطبيعة.. والحكيم الذي ليس هو حر النفس، هو عبد لناموس الطبيعة.

وقيل له: من تسلم من سائر العيوب، وقبيح الأفعال؟

فقال: من جعل عقله: أميره، وحذره: وزيره..، والمواعظ: زمامه، والصبر: قائده، والاعتصام بالمولى: ظهيره، وخوف «الباري» تعالى: خشيته، وذِكْر الموت: أنيسه.

وسئل: من أضيع الناس لنفسه، وأوضعهم لقدره؟

فقال: من تواضع لمن لا يكرمه، وقَبِل مدح من لا يعرفه.

وقال: البهيميون والجُهَّال يقضون على الحَسَن والقبيح، بقدر ما تنال حواسُّهم الظاهرة.. وإنما ترى الحواس حُسْن الأعضاء.. فأما حُسن الصورة، فلا يراها إلا الحواس الباطنة.

وقال: من طلب الحكمة من طريق طلبها أدركها.. وإنما يُخطئ أكثر الطالبين؛ لأنهم يطلبونها من غير طريقها.

فإذا لم يدركها من تلك الطريق، لم يطلبها من طريق أخرى، ولم يكذب بصورتها، فيحمله جهله على أن يجهل، وذلك أنه من جهل صورة الحكمة: جهل ذاته، ومن جهل ذاته: كان أجهل الجاهلين.

وقال: الدنيا لا شيء... في صورة شيء.

وقال لأرسطو: لا تقبل المدح... بما ليس فيك!

وقيل له: أَلَكَ من يخدمك؟

فقال: الذين تخدمونهم، هم يخدمونني.

وقال: من عرف صورة الجهل، كان عالمًا.. وإنما الجاهل من جهل صورة الجهل.

وقال: الغضب عز، يستقبله شر.

وقال: إذا أردت أن تدوم لك اللذة، فلا تستوِّف الملذ أبدًا.. بل دع فيه فضلة تدُم لك اللذة.

وقال: ينبغي للملك أن يضع الرئاسة في الحليم العليم؛ لأن الحليم: وقور صبور، والشجاعة: قلقة ضجرة... فإذا كانت الرئاسة لأهل الحلم عدلوا بوقارهم، وحُسن صبرهم قلق أهل الشجاعة وضجرهم.

وإذا كانت لأهل الشجاعة.. فحيث أقلقوا أهل الحلم بقلقهم، وأضجروا أهل العلم بضجرهم؛ لأن الحليم لا يقلق إلا من الجُهَّال.

وقال: إياك في وقت الحرب أن تستعمل النجدة، وتدع العقل؛ فإن للعقل مواقف قد تتم بلا حاجة إلى النجدة، ولا ترى للنجدة غِنَى من العقل.

وقال: قول بلا العمل.. كَمدٌ يُغرق، ولا ينفع.

وقال: الشراب يكشف سر المتضع.

وقال: سوء الخُلُق من استعمال سوء الظن؛ لأن من استعمل سوء الظن، فسد عيشه، وساء خُلُقه.

وقال: لا ينبغي للمرء أن يستعمل سوء الظن إلا عند انقطاع الرأي، فإن لم يقدر على الرأي وأخطأه، فليستعمل سوء الظن.

وقال: لا تتلذذ بشيء في العالم، حتى تصلح بين الحس والعقل؛ لئلَّا يفسد أحدهما على الآخر.. فإذا أصلحت بينهما رأيت الحَسَن حَسنًا، والقبيح قبيحًا.

وقال: لا تمدحّ الشيء أكثر من قدره؛ لأنه بعد قليل يبين عن ذاته، وعن جهلك..فلا يكون حينئذٍ مدحًا للشيء.. بل تنقيصًا لنفسك.

وسُئل: متى يضجر العاقل؟

قال: إذا حملته على مجاورة جاهل.

وقال: إذا رأيت العقل تامًّا، فالشهوة هناك مريضة وضعيفة.

وقال: إذا قوي الوالي في عمله، حوَّل ما ملكَهُ على حسب ما في طبعه من الخير والشر.

وقال: دُنُو الهِمَّة ، وضيعة القدر: من ضعف الرؤية، وسوء الاختيار.

وقال: أقبح ما يكون الصدق: في السعاية والضيق في الصدر، والبخل على من عجز عن المسألة، والسطوة على من يُؤمن من شَرِّه.

وقال: إن حياة النفس وقوامها بأعمالها المحصنة لها من الآفات؛ حتى لا يدنو منها شيء يميتها، فيكون عبارة ذلك بذات نفسه، وأوضعهم لمنطقه في موضعه، وأحسنهم اختيار الأوجزة وأعربه.

ولأن الحكمة أشرف الأشياء.. فينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق، وأفصح اللغة، وأوجز اللفظ؛ ليكون أبعد عن الزلل والدخل، وسماجة المنطق، وقُبح اللكنة والعي؛ فإن ذلك يذهب نور الحكمة، ويقطع عن الأداء، ويقصر عن الحاجة، ويلبس على المستمع، ويفسد المعالي، ويُورث الشُّبهة.

فلما استكمل علم الشعراء، والنحويين، والبُلغاء واستوعبه.. قصد إلى العلوم الأخلاقية، والسياسية، والتعلمية، والطبيعية، والإلهية.

وانقطع إلى «أفلاطون»، وصار تلميذًا له، ومتعلمًا منه، وله يومئذٍ سبع عشرة سنة، وذلك في موضع يسمى (أقاذيميا) من (أثينة) بلد الحكماء.

وأقام متعلمًا من «أفلاطون» عشرين سنة، وكان يتعلم العلم من «أفلاطون» بالسماع من فِيهِ، ولم يكن يَكِلْهُ إلى تعليم «أكسانوقراطيس» تلميذه، كما كان يفعل بغيره؛ لجلالته في نفسه.

ولما غاب «أفلاطون» إلى (سقليا) الغيبة الثانية، استخلف «أرسطاطاليس» على دار التعليم بالمدينة المسماة (أقاذيميا).

فلما هلك «أفلاطون» خرج «أرسطاطاليس» إلى موضع بأثينة يسمَّى «لوقيون»[١]، فاتخذ هناك دارًا لتعليم الحكمة المنسوبة إلى المشائين.

وكان من رأي «أفلاطون»: الرياضة للبدن بالسعي المعتدل؛ لتحليل الفضول عنه كرياضة النفس بالحكمة.. يتجمع الحليان في رياضة النفس والبدن، ويقدم في ذلك على «أرسطاطاليس»، و«كسافنوفراطيس»، وكانا يعلمان التلاميذ الحكمة، وكلهم مشاة ولقبًا، ومن تبعهما: بالمشائين.

وبقي «كسافنوفراطيس» بأقاذيميا؛ ليعلم بها الدائم.. أحب الحكمة، وأنصف الحكماء، وأطع السلطان، ولا تمتنع في وقت من الأوقات من الأدب الحَسَن، ولا تفعل شيئًا في غير وقته، فإذا فعلته في وقته فافعله بهم.

لا تقولنَّ قولًا لا ينتفع به... فإذا قلت قولًا نافعًا، فتحرز واحتفظ، لا ينبغي لك أن تختال عند الغني، ولا تستجدِ عند المصائب.

لا تسفَه على أحد، ولتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع.

ولا تستخف بأحدٍ لتواضعه.

ولتكن مساعدتك على ما لا يزرى بك.

ولا ينقص من برك، ما عندك نفسك في فعله.

لا تَلُم أخاكَ على مثله جانب المراء، وتمسك بالتأني.

---

(١) لوقيون: ملعب في أثينا اختاره أرسطو ليعلم فيه، ولذلك تسمى مدرسته الفلسفية بهذا الاسم، كما تسمى المشائين؛ لأن أرسطو كان يجتمع بتلاميذه وهو يمشي.

لا ينبغي لك أن تقبل المدح بما ليس فيك.

لا تفعلنَّ ما تُذَم على فعله.

لا تغتم لشيء لم تفعله.

واحتمل التعب في وجوه البِرِّ.

وينبغي لك أن تفعل الواجب من غير أن تحث عليه، وتمتنع عمَّا لا تجب من غير أن تُمنع عنه.

وقال: ينبغي للعاقل أن يكون رقيبًا على نفسه، فيستعظم خطأه، ويستصغر صوابه.

وقال: لا تنظر إلى أحد بالموضوع الذي رتبته فيه زمانية، وانظر إليه بقيمته الحقيقية؛ فإنها مكانه الطبيعي.

وقال: **السائر تحت الممكن**: ضعيف الهداية، والسكينة، **والمطالب بالممتنع**: أعمى البصيرة، ناقص التمييز.

والسالك مع الواجب: أمين من السرف، عزيز الجانب، ساكن القلب.. لا يلقاه بمسرة ما يضره، ولا يدهمه ما لم يعتد له.

وقال: الغضب والشهوة، وكل خُلُق من أخلاق النفس.. له مقدار يصلح له به حال الشخص الذي يكون فيه.. فإن زاد فيه على ذلك أخرجه إلى الشر.

لأن الغضب شبه الملح الذي يُطرح في الأطعمة، فإن كان بقدرٍ صالح أصلح الطعام، وإلا أفسده.. وكذلك سائر القوى.

وقال: ليس ينبغي أن يمتحن الأديب بكثرة العمل.. بل إن يوجد مُعرًّى عن الشر.

وقال «أرسطو»: قصدت يومًا «أفلاطون»، فقيل: إنه في المقابر.. فجئته وقد عبأ من العظام تلًّا عن يمينه، وآخر عن يساره، وهو يُقْبِل، ويُدْبر، ويضحك، ويعبس... فوقفت ساعة، ولم يعرف.. ثم نظر إليَّ، فسألته؟ قال: فأما ضحكي فلاغترارهم بالدنيا، وعبوسي للفكر في تركيبها وانحلالها.

وجلس يومًا حوله التلامذة سوى «أرسطو»، فقال: حولك ألف تلميذ.

فقال: أُريد واحدًا كألف.

وقال: إذا رأيّت الميت، فسل نفسك... هل هو مساوٍ لك في الطبيعة، أم لا؟

فإن كان مساويًا لك، فكن ذاكرًا لتلك الحال دائمًا.

وقال: لا تكن ممن يسرع إلى الغضب، فتتسلط عليك عادات السُّفهاء.

وقال: كن في كل وقت تعدُّ زادًا، كما يعدُّ من يرتحل ليلته تلك.

وقال: لا تفرح بالبطالة..

وقال: من يكره الذل والعار، لا ينبغي له أن يجتهد في التنويه باسمه.

وقال: لا ينبغي للأديب أن يخاطب غير الأديب إلا برفق.. كما لا ينبغي للصاحي أن يخاطب السكران، إلا بمداراة.

وقال: أسعد الأحرار، وأحقهم بالتفضيل: من خرج عن سلطان عادته، وزال عن طاعة غضبه، ونزل بدون منزلته في قلوب الناس، ولم تشغله موارده عن مصادره.

وقال: محبتك للشيء: سِتر بينك وبين مساوئه، وبُغضك له: ستر بينك وبين محاسنه.

وقال: من رأيته يقتني قتلًا للنفس، فإنها إن لم يقتلها ذلك، لم يقدر أحد على قتلها؛ لأنها عالية عن الجسد، مرتفعة عنه، وممتنعة بلطفها من أن ينظر إليها الموت الناظر إلى الجسد، فهو لا يراها وهي تراه بفضل لطفها عليه.

وقال: فيما أملاه على «أرسطاطاليس»: اعرف الله سبحانه وتعالى وحقه، وأدِم عنايتك بالعلم الصالح، أكثر من عنايتك بغد إنك يومًا بعد يوم.

لا تسل الله سبحانه ما لا يدوم لك نفعه أبدًا؛ فإن كل المواهب منه.. بل يجب أن تسأله النعمة الباقية معك أبدًا.

لا تكن متيقظًا أبدًا؛ فإن علل الشرور كثيرة.

لا تهوَّن ما لا ينبغي لك أن تفعله.

لا ينبغي لك أن تهوى حياة صالحة فقط.. بل موتًا صالحًا، ولا تعتد الحياة والموت صالحين، إن أن تكتسب بهما أمرًا لا يتم حتى تُحاسب نفسك على ثلاث خِصال: هل أخطأت في يومك، وما اكتسبت فيه من البرِّ، وما كان ينبغي لك أن تعلمه فيه من الخير فقصَّرت عنه.

تذكر ما كنت، وإلى أي شيء مصيرك الشقي.

من لم يذكر دائمًا عاقبته، فيرجع عن بليه.

لا تجعلن قنيَّتك من الخارجات عنك إلى الأصل.

لا تضطرنَّ أن تفعل الحق إلى مستحقه إن سألك إياه.. بل ابدأه به.

وقال: ليس الحكيم التام من فرح بشيء من هذا العالم، أو جزع بشيء من مصائبه فاغتم له.

أدِم ذِكْر الموت، والاعتداء للموت.

تعرف خساسة عقل المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه، وإخباره بما لا يُسأل عنه، ولا يراد منه فكر مرارًا.. ثم تكلم وافعل؛ فإن الأشياء متغيرة.

لا تسرع الغضب، فيتسلط عليك بالعادة.

لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غدٍ؛ فإنك لا تدري ما يحدث في غد.

أَعِن المُبتلى، إن لم يكن سوء عمله أراده.

لا تُحب الفتية الحسنة، فتضطر إلى البُعد عن محبة الله عزَّ وجلَّ.

لا تكن حكيمًا بالقول فقط.. بل كُن حكيمًا بالعمل؛ فإن الحكمة التي تقوم بالعمل تنفعك في العالم الباقي، وليس الشرف عند الله تعالى الحكمة بالقول... بل الحكمة بالأعمال الصالحة.

إنك وإن تعبت في البر، فإن التعب يزول، والبر يبقى.. وإن التلذذ بالسم، فإن اللذة تزول، والإثم باقٍ عليك.

اذكُر اليوم الذي تهتف بك فلا تسمع، والذي يصمت فيه اللسان الحديد، وتبطل فيه الفكر، وتظلم فيه العينان، وينصب رطوبتهما في التراب، وتبطل نفسك من بدنك، ولا يمكنك أن تشم رائحة جيفة بدنك، ويبصل حسُّك فلا تشعر بالدود الذي يمص الصديد.

واذكر أنك ذاهب إلى المكان الذي لا تعرف فيه صديقًا ولا عدوًّا، والمكان الذي يستوي فيه المولى والعبد.

واذكر الميزان العدل، واجمع الأدب والارتياض، وآداب الانتهاض؛ فإنك لا تدري متى الرحلة.

وقال: إنه ليس شيء في عطايا الله تعالى خير من الحكمة، كافئ بالخير، واصفح عن الشر.

تحفَّظ في كل وقت، وتذكر، وافهم، واعقل.. ولا تتكل على شيء من أمور هذا العالم الحائلة الزائلة.

لا تضاد واحدة من الخيرات، ولا تَعْنِ بواحدة من السيئات البتة من أجل القنية الحسنة، لا ينبغي أن يترك ما هو أفضل منها من أجل شرور الزمان الزائل.

لا ينبغي أن يترك السرور شيئًا دون ما ينفع، فلا تعده لله خائفًا.

وقال: إذا طابق الكلام نية المتكلم: حرَّك نية السامع، وإن خالفها: لم يحسن موقعه ممن يريد به.

وقال: إذا قويت نفس الإنسان، انقطع إلى الرأي.. وإذا ضعفت، انقطع إلى البحث.

وقال: أحسن ما في الأنفة: الرفعة عن معايب الناس، وترك الخضوع لما زاد على الكفاية.

وقال: انبساطك: عورة من عوراتك، فلا تبذله إلا لمن توكل عليه، وحقيق به.

وقال: من تعلم العلم لفضيلة، لم يوحشه كساده.. ومن تعلمه لجدواه، انصرف عنه بانصراف الحظ.

وقال: الحلم لا ينسب إلا لمن قدر على السطوة.. والزهد لا ينسبا إلا إلى من ترك بعض القدرة.

وقال: لا تغترن بمن يميل إليك حتى تعرف عِلَّته.. فإن كان لشيء من صفاتك الذاتية لك، فارج ثباته.. وإن كان لصفة عارضة فلا تحفل به، ذلك الميل يقام بمقامه، وينصرف بانصرافه.

وقال: إنما صار التقليد واجبًا في العالم؛ لأن الضعف فيه قائم في الناس.

وقال: احفظ الناموس يحفظك، وكان «أفلاطون» يجلس، فيستدعي منه الكلام، فيقول: حتى يحضر الناس.. فإذا جاء «أرسطاطاليس» قال: تكلموا فقد حضر الناس.

وقال: أكبر الفخر.. ألا تفتخر.

وقال: من عدل قلَّ غمه، واشتاق إليه كل شيء.

وقال: إذا صادفت رجلًا، وجب أن تكون صديقه، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه.. والمشورة تُريك طبع المستشار، وسئل «أفلاطون» عند موته عن الدنيا؟

فقال: خرجت إليها مضطرًا، وعشتُ فيها متحيرًا.. وهأنا أخرج منها كارهًا، ولم أعلم فيها إلا أنني لا أعلم.

وقال: ينبغي أن نتعلم، ونستفيد، ونسمع، ولا نحتشم.. ولو بلغت غاية الشيخوخة.

وكان المعلم لك حدث السن، فإن الجهل أقبح من التعليم.

وقال: تعلُّم الفضيلة الإنسانية، هي الفضيلة الفائدة المربحة.

وقال: من عُدم الفهم عن «الباري» لم يجز أن تفهمه موعظة حكيم.

وقال: من فوائد الحكمة: أن يعلم الحكيم علمًا يقينيًّا أنه نجا بمنزلة من كُسِرَ به في البحر كيف يتلاطم به الأمواج، فيعظم سروره بخلاصه.. وتعظم شفقته ورحمته لمن بقي من الناس في الشرور متردِّيًا.

وقيل له: من أنفع الناس علمًا؟

فقال: من يرغب فيما لا يضني من العلم.

وإذا كسلتم فَضَمنُّوا مجالسكم الحديث.. تنشطوا.

خبر «أرسطاطاليس بن نيقوماخس» الحكيم

معنى أرسطا: «حسن»، ومعنى طال: «الذي»، ومعنى ليس: «يقول»، ومعنى الاسم: «حسن الذي يقول»، ويكون بالرومي: «أرسداد الاليس» فَعُرِّب، فقيل: «أرسطاطاليس» وهو المقدام المشهور، والمعلم الأول، والحكيم المطلق عند اليونانيين.

وإنما سُمِّي المُعلم الأول؛ لأنه واضع للتعاليم المنطقية، ومخرجها من القوة إلى الفعل، وحُكمه حكم واضع النحو والعروض.

فإن نسبة المنطق إلى المعاني التي في الذهن.. نسبة النحو إلى الكلام، والعروض إلى الشعر.

وهو واضع «لا» بمعنى: أنه لم تكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقوَّمها هو.. بل معناه: أنه جرَّد آلة عن المادة، فقومها تقريبًا إلى أذهان المتعلمين.. حتى تكون كالميزان عندهم، ويرجعون إليه عند اشتباه الصواب بالخطأ، والحق بالباطل.

إلا أنه أجمل القول إجمال الممهدين، وفصَّله المتأخرون تفصيل الشارحين، وله حق السَّبق، وفضيلة التمهيد.

وكُتُبه في: المنطقيات، والطبيعيات، والإلهيات، والأخلاقيات معروفة، ولها شروح كثيرة، كشرح «ثوفراسطس»، و«فرفوريوس»، و«الإسكندر، الأفروديس»، و«باسليوس»، وغير ذلك.

وأكثر من ذلك جاء بعد المُعلم الأول.. سلك طريقته، ورأى رأيه كالمقلدين له، وليس الأمر ما ظنُّوه.. فإن «أرسطو» وأكثر أتباعه أخطئوا في وسائل كثيرة من المهمات الحكمية، والمضايق الفلسفية.

وذكر أن (**واجب الوجود**) هو المحرِّك الأول، وأن الجوهر يقال على ثلاثة أضراب: اثنان طبيعيان، وواحد غير متحرك؛ فإن كل متحرك لا بد له من محرك.

وإن كان المحرك متحركًا.. تسلسل إلى غير النهاية، فلا بد من استناد التحرك في الأخير.. إلى محرك غير متحرك.

ومعنى «أرسطو» في لُغتهم: «**الكامل الفاضل**».

ومعنى «**نيقوماخس**»: «**المجاهد القاهر**».. وكان أبوه ماهرًا في علم الطب، فولد له «أرسطاطليس» في مدينة تُسمى: أساطير من البلاد المسماه (مقدونيا) من أعمال (زاكيس).

وكان اسم أمه «**أقسطيا**»، وكان أبوه طبيب «**آمنطس**» والد «**فليبس**»، والد «**الإسكندر**».

وكان يرجع بنسبه إلى «**أسقليبوس**» وهو النسب الفاضل في اليونانيين.

وأصل أمه يرجع في النسب إلى «**أسقليبوس**»، ولما بلغ (ثمان سنين) حَمَلَه أبوه إلى بلاد (أثينة) وهي المعروفة ببلاد الحُكماء.. وأقام في (قوفيس) منها، فضمه أبوه إلى البلغاء والشعراء والنحويين.

وأقام متعلمًا منهم (تسع سنين)، وكان اسم هذا العلم عندهم (المحيط)، أعني: علم اللسان، لحاجة جميع الناس إليه؛ لأنه الأداة، والمراقي إلى كل حكمة وفضيلة، والبيان الذي يتحصل به كل علم.

وإن قومًا من الحُكماء ازدروا بعلم البُلغاء واللُّغويين والنحويين، وعنَّفوا المتشاغلين به، منهم: «فيثاغورس»، و«أفيقورس».

وزعموا... أنهم لا يُحتاج إلى علمهم في شيء من الحكمة؛ لأن النحويين: معلمو الصبيان.. والشعراء: أصحاب تمحُّل ومُحاباة ومِراء.

فلما بلغ «أرسطاطاليس» ذلك.. أدركته الحفيظة لهم، فناضل عن النحويين، والبلغاء، والشعراء.. فاحتج عنهم، وقال: إنه لا بد، ولا غِنى للحكمة من علمهم؛ لأن المنطق أداة لعلمهم.

وقال: إن فضل الناس على البهائم: بالمنطق، وأحقُّهم بالألسنة: أبلغهم في منطقه، وأوصلهم إلى «أفلاطون».

فكان جميع حكمة «أرسطاطاليس»، وما وضع من كتب المنطق، وغيره من الحكمة في الموضع الذي انتقل إليه، والذي يُسمَّى «لوقيون»، واستودعها هناك.

وكانت حكمته، وكُتبه سُمِّي -في ذلك الحين- علم إصابة الحق وسماعه.

ولما تُوفي «أفلاطون» سار «أرسطاطاليس» إلى «أمليس»: الخادم الموالي «باولوس».

ولما مات الخادم.. رجع إلى (أثينة)، فأرسل إليه «فليبس».. فسار إليه إلى (مقدونيا) فلبس بها يُعلِّم الحكمة.. إلى أن سار «الإسكندر» إلى بلاد (آسيا)، واستخلف «أرسطاطاليس» في (مقدونيا)، ورجع إلى بلاد (أثينة)، فأقام في (لوقيون) عشر سنين يعلم.

وقام عليه رجل من المتكهنين اسمه «أورماذون»، وشنَّع عليه بالطعن في مذهبه، وأنه لا يسجد للأصنام التي كانت تُعبد في ذلك الدهر، ولا يُعظِّمها بسبب الحسد له وضغن كان في نفسه عليه.

فلما أحسَّ بذلك... شخص عن (أثينة) إلى بلاده وهي (خلقبيذ) خوفًا من أن يفعلوا به كما فعلوا «بسقراط» الزاهد.

وأتى هذا الموضع الذي ذكرناه لينظر إلى مد جزر «أورفوس» التي بـ(أنبوه) وحدودها، وأن يضع في ذلك كتابًا.. فأدركه الموت هناك، فتوفى بها، ودُفن بها.. وكان له حينئذٍ (ثمان وستون سنة).

ولما مات «فليبس»، ومَلَك «الإسكندر» بعده، وشخص عن (مقدونيا) لمحاربة الأمم، وحاز بلاد آسيا.. صار «أرسطاطاليس» إلى التبتل، والتخلي عن الاتصال بأمور الملوك.

وأقبل على العناية بمصالح الناس، ورفد الضعفاء، وتزويج اليتامى والأيامى، ورفد الملتمسين للعلم والتأديب من كان، وأي نوع من العلم والأدب طلبوا.. والصدقات على الفقراء، وإقامة المصالح في المدن، وجدد بناء مدينة (اصطاغيرا).

وكان هو الذي وضع سنن (اصطاغيرا) عنهم، وكان جليل القدر عظيم الشأن عندهم.

وكانت لـه مـن الملـوك كرامـات عظيمـة، ومنزلـة رفيعـة، ونقـل أهـل (اصطاغيرا) عظمه بعد ما بُليت وجمعوهـا، وصيَّروها في إنـاء مـن نحـاس، ودفنوها في الموضع الذي يُعرف «بالأرسطاطاليس» مجمعًا لهـم يجتمعـون فيـه للتشاور في جلائل الأمور ومـا يحزنهم، ويـستريحون إلى قـبره، ويـسكنون إلى جوار عظامه.

وإذا صعب عليهم شيء من أمور الحكمة.. أتوا ذلك الموضـع، وجلـسوا عليه.. ثم تناظروا فيما بينهم... حتى يستنبطوا ما أُشكل عليهم، ويصح لهم ما شَجر بينهم.

وكانوا يرون أن مجيئهم إلى ذلك الموضع الذي فيه عظامه يـذكي عقـولهم، ويصحح فكرهم، ويلطف أذهانهم، وأيضًا تعظيمًا له بعـد موتـه، وأسـفًا عـلى فراقه.

وكـان كثـير التلاميـذ مـن الملـوك، وأبنـاء الملـوك، وغـيرهم مـنهم: «**ثاوفرسطس**»، و«**أذيموس**»، و«**الإسكندر**» الملـك، و«**أمينوس**»، و«**أسخيليوس**»[1]، وغيرهم من الأفاضـل المـشهورين بـالعلم، والمـبرِّزين في

---

(١) أسخيليوس «٥٢٥- ٤٥٦ ق.م»: شـاعر يونـاني، انـصرف إلى الفـن المـسرحي، فأبـدع في المأساة، من آثاره: «الضارعات»، و«آجاممنون»، و«بروميتيوس مقيدا».

obeikandi.com

الحكمة، المعروفين بشرف النسب، وقام بعده مقامه في تعليم حكمته التي وضعها وصنَّفها.

وجلس على كرسيه، وورث مرتبته ابن خالته «ثاوفرسطس»، ومعه رجلان يعينانه على ذلك، ويؤازرانه.. يُسمَّى أحدهما «أوذيموس»، والآخر: «أسخوارس»، وصنفوا كتبًا في المنطق والحكمة.

وخلَّف مالًا كثيرًا، وعبيدًا، وإماء كثيرة، وغير ذلك، وجعل وصية «أنطينطرس»، وجماعة معه من أصحابه يعينونه، وخيره «ثاوفرسطس» في المشاركة في الوصية والتدبير معهم إن ثقل ذلك عليهم.

وصنَّف كُتبًا كثيرة، نحو (مائة كتاب)، وذكروا أنه صنَّف -غير هذه المائة- كُتبًا أُخر، منها ما وقعنا عليه، وهي الآن موجودة بأيدي الناس نحو (عشرين كتابًا): ثمانية هي: الكتب المنطقية، وثمانية هي الكتب الطبيعية، وكتاب الأخلاق، وكتاب السياسة المدنية، وكتاب كبير فيما بعد الطبيعيات، ويعرف بـ(ثاولوجيا)، ومعناه: القول الإلهي، وكتاب الحيل الهندسية، ومنها رسائل وعهود، ومنها ما انتهى إلينا أسماؤها ولم نقف عليها، وهي عدد كثير.

وعدَّ له «أفلاطون» على ما أظهره من الحكمة، وصنَّفه من الكتب.

فأجابه معتذرًا: أما أبناء الحكمة وورثتها.. فينبغي أن يمنحوها.. وأما أعداؤها والزاهدون، فلن يصلوا إليها لجهلهم بما فيها، ورغبتهم عنها، ونفارهم منها لعسرها عليهم.

obeikandi.com

وقد حصنتُ هذه الحكمة مع إباحتي إياها تحصينًا منيعًا؛ لئلَّا يسوؤها السُّفهاء، ولا يصل إليها الجُهلاء، ولا يتناولها الأشقياء، ونظمتها نظمًا لا يعبأ به الحُكماء، ولا ينتفع به الجَحَدة الكذبة.

وكان ليِّن الجانب، كثير التواضع، حسن اللقاء للصغير، وللكبير والقوي، والضعيف.

وأما قيامه بأمور أصدقائه، فلا يوصف، ويدل على ذلك ما ذكره أصحاب السير، واتفاقهم.

وكان «أرسطاطاليس» أبيض، أجلحًا قليلًا، حسن القامة، عظيم العظام، صغير العينين، كثَّ اللحية، أشهل العينين، أقنى، صغير الفهم، عريض الصدر.

يسرع في مشيته إذا خلا، ويبطئ إذا كان مع أصحابه، ناظرًا في الكتب دائمًا لا يمل، ويقف عند كل كلمة، ويطيل الإطراق عند السؤال... قليل الجواب..

ينتقل في أوقات النهار في الفيافي والأنهار، مُحب لاستماع الألحان، والاجتماع بأهل الرياضيات، وأصحاب الجَدَل، مُنصف من نفسه إذا خصم، معترف بمواضع الإصابة والخطأ، معتدل في الملابس، والمآكل، والمشارب، والمناكح، والحركات.

بيده آلة النجوم، والصناعات، ونقل عن «أرسطاطاليس»، عن جماعة من الفلاسفة: أن مبادئ الأشياء هي: العناصر الأربعة.

ونُقل عن بعضهم: إن المبدأ الأول هو ظلمة وهاوية، وفسَّروها بفضل وخلاء، وعماية غير متناهية.

وأثبت قوم من النصارى تلك الظلمة، وسمُّوها الظلمة الخارجة.

وخالف **«أرسطو»** أستاذه **«أفلاطون»** في قوله: إن من الناس من يكون طبعه مهيئًا لشيء لا يتعداه، فإنه زعم أن الطبع إذا كان سليمًا، صلح لكل شيء.

وكان **«أفلاطون»** يعتقد أن النفوس الإنسانية أنواع، منها كل نوع لشيء لا يتعداه.

و«أرسطو»: يعتقد أن النفوس الإنسانية نوع واحد.. وإذا تهيأ البعض لشيء، تهيأ كل ذلك النوع.

وذكر «أرسطو» أنه كلما كان بسيطًا.. ففعل الله تعالى واحد بسيط.

openkanal.com

آداب «أرسطاطاليس» الحكيم

قال: ليس الآمر بالحق، بأسعد من المطيع له... ولا المُعلِّم بأسعد من المعلم له.. ولا الناصح بأولى من المنصوح.

قال: ليس شيء أصلح للناس من أُولي الأمر، إذا صلحوا.. ولا أفسد لهم ولأنفسهم، إذا فسدوا.

وقال: الوالي من الرعية بمنزلة الرأس من الجسد، والروح من البدن الذي لا حياة له إلا بها.

قال: احذر الحرص.. فإما ما هو مصلحك، ومصلح على يديك فالزهد.

قال: إن الزهدَ باليقين، واليقين بالصبر، والصبر بالفكر.. فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلًا؛ لأن تكرمها بهوان الآخرة؛ لأن الدنيا: دار بلاء، ومنزلة بلية.

قال: إذا أردت الغِنى فاطلبه بالقناعة.. فإنه من لم يكن له قناعة فليس المال مغنيه، وإن كثر.

قال: لا تضنَّ على الناس بما ترغب فيه، ولا تأت إليهم ما تكره أن يؤتى إليك.. وقاتل هوك، وانصر رعيتك، واكفف شهوتك، وأهلك الحق من فؤادك، وطهره من الحسد، واقبض إليك أملك، فإن بسط الأمل مُقساة للقلب، ومشغلة عن الميعاد.

obeikandi.com

قال: ليكن ما تستعين به على إطفاء الغضب: علمك بأن الزلل لا يخلو منه أحد، وبه وقع صاحبك.

وقال: احذر الشهوات.. وليكن ما تستعين به على كفِّها عنك: علمك بأنها مذهلة لعقلك: مهجِّنة لرأيك، شانئة لعرضك، شاغلة لك عن جميع أمرك؛ لأنها لعب.. فإذا حضر اللعب: غاب الجد.

ولا تُهوِّن بالدين، ولا تصلح الدنيا إلا بالجد، فإن نازعتك نفسك إلى الشهوات واللهو، فإنها قد ترغب بك إلى شر منزلة.

وقال: لا تبطل لك عمرًا في غير نفع، ولا تضيع لك مالًا في غير حق، ولا تصرف لك قوة في غير عناء، ولا تعدل رأيًا في غير رشد.

فعليك بالحفظ لِمَا أوتيت من ذلك، والجد فيه وخاصة في العمر الذي كل شيء مُستفاد سواه.

وإن كان لا بد من اشتغال نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء، ودرس كُتُب الحكمة.

وقال: العدل ميزان الله عزَّ وجلَّ في أرضه، يؤخذ به للضعيف من القوي، والمحق من المبطل، فمن أنزل ميزان «الله» عمَّا وضعه بين عباده، فقد جهل أعظم الجهالة، واغتر بالله تعالى أشد الاغترار.

وقال: ليس طلبي للعلم طمعًا في بلوغ أقاصيه، ولا الاستيلاء عليه.. ولكن التماسًا لِمَا لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل خلافه.

وقال: من لم يكن حكيمًا، لم يزل سقيمًا.

وقال: السخاء: بذل ما تحتاج إليه عند الحاجة، وأن يوصل ذلك إلى مستحقه بقدر الطاقة، فمن جاوز هذا فقد أفرط وخرج عن حد السخاء إلى التبذير.

وقال: الحكمة: رأس التدبير، وصلاح النفس، ومرآة العقل، وبها يذل المكونات، وتعز المحبوبات، ما أحسن رأي من حقق في طلبها.

وقال: اطلب الغنية التي لا تزول، والحياة التي لا يتغير، والمُلك الذي لا يزول، والبقاء الذي لا يضمحل.

وقال: اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعًا لك، كُن رءوفًا رحيمًا، ولا تكن رأفتك ورحمتك فسادًا لمن يستحق العقوبة ويصلحه الأدب.. خذ نفسك بإثبات السعة؛ فإن فيها كمال التُقى.

وقال: من أراد أن ينظر إلى صورة نفسه فليجعل الحكمة مرآة.

وقال أرسطو: النفس ليست في البدن، بل البدن في النفس؛ لأنها أوسع منه، وأبسط.

وقال عند موته: ابنوا لي بيتًا مثمنًا، واكتبوا على كل ثُمن منه كلمة من هذه الكلمات:

العالم: بستان، سياجه: الدولة.

الدولة: سلطان، تؤيده الشريعة.

والشريعة: سياسة، يسوسها الملك.

الملك: راعٍ، يعضده الجيش.

obeikandi.com

والجيش: أعوان يكفلهم المال.

والمال: رزق، تجمعه الرعية.

الرعية: عبيد يستعبدهم العدل.

العدل: مألوف به قوام العالم.

وهذا كلام عال.. وكتب إلى «الإسكندر»: أما بعد.. فإن الدنيا دول.. فما كان منها لك أتاك على ضفعك.. وما كان عليك لم تدفعه بقوتك.. والسلام.

وقال: حرام على الأيام أن يكن لها بعدي مثلي.. إني عدلت طباعي -يعني: بحكمتي- ودللت على كثير من الحكمة بقليل من الإله، ووضعت العالم الجم بقلة شغل القلب المقتصد في الحفظ.

ومات «للإسكندر» ابن.. فدخل عليه «أرسطو»، وقال: خوف ما لا مردَّ له، خلق من لا عقل له.

قال: صيِّر دنياك وقاية لآخرتك، ولا تصيِّر آخرتك وقاية لدنياك.. فسر أهل التُّقَى المشهورين بالزهد.

وقَدِم مجلس من كان مشهورًا بالورع، واقض حوائج العامة بهم.

قال: اطلبوا الدنيا لتُصلحوا بها الآخرة، ولا تطلبوها لتصلح هي..

فما أقل اللبث فيها، وما أسرع الانتقال عنها.. فقد أصبحت فيها غير راغب، ومنها على وَجَل، وأنا أسأل «الخالق» أن يسلِّمني من الدنيا، وأن يسلم أهلها منِّي.

قال: من جعل الأجل أمامه: أصلح نفسه.

قال: لن يسود من يتتبع العيوب الباطنة من إخوانه، ومن تجبر على الناس، أحب الناس ذلته.

قال: من أفرط في اللوم.. أحب الناس موته.

قال: أي ملك نازع السوقة.. هتك ستره.

قال: من قنع مات.. غنيًّا.

قال: من أسرف في الشراب، فهو من السفل.

قال: بذل الوجه إلى الناس.. هو الموت الأصغر.

قال: اختصار الكلام.. على المعاني.

قال: من لم يقدر على فعل فضيلة، فلتكن همَّته ترك رذيلة.

وقيل له: ما أخف ما حَمَله الإنسان؟

قال: السكوت.

قال: أيها الأشهاد.. بالعقول تفاضل الناس، لا بالأصول.

وعِيتُ عن «أفلاطون» الحكيم: الحكمة رأس العلوم والآداب، وتلقيح الأفهام، ونتائج الأذهان.. وبالفكر الثاقب: يدرك الرأي العاذب.

قال: ووعيت عنه:

وبالتأني: تسهل المطالب.

obeikandi.com

وبلين الكلمة: تدرك المحبة، وتدوم المودة.

وبسعة الأخلاق: يطيب العيش، ويكمل السرور.

وبحسن الصمت: جلالة الهيبة.

وبإصابة المنطق: يعظم القدر، ويرتقي الشرف.

وبالإنصاف: يجب التواصل..

وبالتواضع: تكثر المحبة.

وبالعفاف: تزكو الأعمال.

وبالإنصاف: يكون التودد.

وبالعدل: يقهر العدو..

وبالحلم: يكثر الأنصار..

وبالرفق: تستخدم القلوب..

وبالإيثار: يستوجب اسم الجود.

وبالإنعام: يستوجب اسم الكرم.

وبالوفاء: يدوم الإخاء..

وبالصدق: يدوم الفضل..

وبُحسن الاعتبار: تضرب الأمثال.

لا أدري: نصف العلم.

obeikandi.com

السرعة في الجواب: تورث العثار..

الرياضة: تشحذ القريحة..

مقاساة الأحمق: عذاب الروح.

من عرف نفسه: لم يضع بين الناس.

ومن زاعد علمه على عقله: كان علمه وبالًا عليه..

ومن وجد برد اليقين: أغناه عن المنازعة في السؤال.

ومن عُدِم ذلك: كان مغمورًا بالجهل.

وقال: إذا كانت الحكمة هي: خير الدنيا، وثوابها: هو خير الآخرة.. فأحق ما وجهت إليه هِمَّتك: الحكمة.

وكانت «لأرسطو» ضيعة نفيسة، فدفعها إلى من يقوم بها، فقال له بعض الناس: لِمَ تفعل ذلك، ولما لا تتعاهد ضيعتك؟

فقال: إني لم أقتنِ ضيعتي بتعاهدي للضياع، وإنما أقتنيتها بتعاهدي أدب نفسي.. وبذلك أرجو أن أملك ضياعًا كثيرة.

وقال للإسكندر: الجهال مَضَرَّة لصاحبه، ومنفعة للناظر.

وقال: غير منتفع بالحكمة: قلب مرتبط يطلب المعيشة.

قال لبعض تلاميذه: «أي بني».. لا تعاشر من الناس إلا من عرف قَدْر نفسه؛ فإن من عَرف نفسه.. فمعاشرة في طيب العيش.. ومن لم يعرف قدر نفسه، فلا خير من عشرته.

وقال له رجل: بلَغَني أنك اغتبتني!

فقال: ما بلغ من قَدرك عندي.. أن أدع لك خِلَّة من ثلاث.

فقال: وما هُنَّ؟

فقال: إمَّا علم اعمل فكري فيه.

وإما لذة أُعطل بها نفسي.

وإمَّا إقبال على عمل صالح.

ورأى تافهًا يُكثر الأكل، فقال: يا هذا.. ليس زيادة القوة بكثرة الأكل، ولكن بكثرة ما يقبل البدن.

وقال له رجل: ما البلاغة؟

فقال: إقلال في إيجاز.. وصواب في سرعة جواب.

قال: رضا الناس: غاية لا تدرك، فلا تكره سخط من رضاه الجور.

وأعاد على تلميذ له مسألة، فقال: أفهمت؟

فقال: لا أدري أثر الفهم عليك، والدليل على الفهم: السرور.

وقال: كنت أشرب، فلا أُروى.. فلما عرفت «الله» رُوِيتُ من غير شرب.

وقال: «إيرخس» لـ«أرسطاطاليس»: يا إمام الحكمة.. ما ينبغي لطالب الحكمة أن يتعلم أوَّلًا؟

فقال: أما إذا كانت النفس هي معدن الحكمة، فأول ما ينبغي لطالبها: أن يطلب علم النفس بقوة نفسها.

قال: فما قوة نفسها؟

قال: القوة السائلة لي منك عن نفسها.

وقال: وكيف يسأل الشيء عن نفسه غيره؟

قال: كسؤال المريض للطبيب عن دائه، وسؤال الأعمى من حوله عن لونه.

قال: وكيف تعمَى النفس عن نفسها وهي أم الحكمة؟

قال: إذا غابت الحكمة عن النفس: عميت عن نفسها وغيرها، كما يعمي البصر عن نفسه، وعن غيره: إذا غاب عنه المصباح.

وقال: عجبتُ لمن قال فيه أحد خير، وليس فيه خير.. كيف يفرح؟

وعجبتُ: لمن قيل فيه شر، وليس فيه.. كيف يغضب؟

وأعجب من ذلك: من أحب نفسه على اليقين، وأبغض غيره على الشك.

وقال: دفع الشر بالشرِّ: حيلة، ودفعه بالخير: فضيلة.

وقال: استغناؤك عن الشيء.. أحسن من استغنائك به.

وقال: السعادة الإلهية هاهنا محتاجة إلى الخيرات الخارجة من الإنسان؛ لأنه يعسُر على الإنسان أن يفعل الأفعال الجميلة بلا مادة، مثل: جودة العيش، وكثرة الإخوان.. ولهذا المعنى احتاجت الحكمة إلى المملكة في إظهار شرفها وفضلها.

obeikandi.com

وقال: من خَدَم العدل، وعبد «الله» عزَّ وجلَّ، وفعل فعلة بالفضيلة، كانت حاله جيدة حسنة، وهو أن يكون مُحبًّا «لله» تعالى جدًّا.

ومن أحب «الله» محبة إلهية، وأحب العقل والفضائل الممجدة، أكرمه «الله» تبارك وتعالى، وتعاهده، وأحسن إليه.

وقال: اعلموا.. أن اللئام: أصبر أجسامًا، والكرام: أصبر نفوسًا.. وليس الصبر الممدوح أن يكون جِلْدُ الرجل وقفًا على الصبر، أو تكون رجله قوية على المشي، أو يده قوية على العمل.. فإن هذا من صفات الدواب.. ولكن يكون للنفس غلوب، وللأمور محتمل، وفي الصبر جميل، وللحزم مؤثر، وللهو تارك، وبالمشقة التي يرجو عاقبتها مستحق، وعلى مجاهدة الأمور، والشهوات الهوائية مواظب.

وقال: الجاهل كالغريق، فانصحه بالبُعد عنه، ولا تقاربه.. فإن نجا: ربحت، وإن هلك: لم يحزنك، ولم يجذبك إلى هلاكه، واحذر أن تسمع كلامه.

وقال: قِلَّة العلم والتمييز: عِلَّة الرداءة، وكل من له رداءة، فلا معرفة له بما ينبغي أن يفعل.. وبما ينبغي أن يهرب منه، وبمثل هذا الخطأ: كثرة الظلم، والأشرار، والمعاندون للحق.

وقال: لا ينبغي أن تأخذ نفسك بالعلوم قبل أن تنفي عنها العيوب، وتعوِّدها الفضائل.. فإن لم تفعل هذا، لم تنتفع بشيء من العلم.

وقال: الحُمق هو الإغراق في المدح، والذم.

خبر «أنكساغوراس» الملطي وآدابه

وهو من الحُكماء الملطيين المَعروف عنهم الحكمة والخير

وقال: إن «الباري» تعالى أوليّ لا أول له، ولا آخر.. هو مُبدئ الأشياء، ولا بدء له.. ولا يشبهه هوية، وهو مبدع، فقد كانت صورته في عمله الأول.. والصور عنده بلا نهاية.. فالصور أزلية، ولا تتكثر ذاته، بتكثر المعلومات.. ولا تتغير بتغيرها.

«أبدع بوحدانيته صورة العنصر.. ثم صورة العقل فرتّب العنصر في العقل ألوان الصور على قدر ما فيها من طبقات الأنوار، وأصناف الآثار.

وصارت تلك الطبقات صورًا كثيرة دفعة واحدة، كما تحدث الصورة في المرآة الصقيلة بلا زمان، ولا ترتيب بعض على بعض، غير أن الهيولي لا يحتمل القبول، فقلّت أنوار الصور في الهيولي.

وكان يقول: إن نسبة هذا العلم.. إلى ذلك العالم: نسبة البقل والقشر.. إلى اللب. والقشر بريء منه.

وإنما ثبات هذا العالم بما فيه من قليل: نور ذلك العالم.. وإلا لم يثبت طرفة عين.

ويبقى ثباته إلى أن يصفّى العقل جزمه الممتزج به، وتصفّي النفس جزءها المختلط.

openkanar.com

فإذا ضفا الجزان عنه، ورث أجزاء هذا العالم، وبقيت الأنفس الدنسة في مبدأ الظلمة.

ورأى «أنكساغوراس» الملطي كرأي «طاليس»... وخالفه في المبدأ الأول؛ فإن مبدأ الموجودات عنده متشابهة الأجزاء، وهي أجزاء لطيفة لا يدركها الحس، ولا ينالها العقل.. منها: يتكون العالم العلوي والسُّفلي؛ إذ المركبات مسبوقة بالبسائط، والمختلفات بالمتشابهات.

فإن المركبات تركب من العناصر المتشابهة، والحيوان والنبات يتغذى من الأجزاء المتشابهة، وغيرها.. فتصير متشابهة في المعدة، وتجري في البدن، وتصير أجزاء مختلفة.

ووافق الحُكماء في أن المبدأ: العقل الفَعَّال.. وخالفهم في أن «الباري» تعالى ساكن غير متحرك.

وقال: إن أصل الأشياء: جسم واحد هو موضع الكل لا نهاية له، ولم يبن أنه من العناصر، أو من غيرها.

قال: ومن يخرج جميع الأجسام، والأنواع، وأصناف القوى.

وهو أول من قال: بالكمون والظهور.. وكان بعد «أنقسمانس» المالطي، وقد ملأ «أرسطو» كتبه من أقواله، وآرئه، ومذاهبه، والرد عليه فيما لم يوافقه.

وكان يأخذ نفسه بالتقشف، ويسومها الشدائد من مُقاساة البرد، والجليد، والثلج: عريانًا حافيًّا على كبره، وضعفه، فقيل له في ذلك؟

فقال: لأن نفسي سريعة المرح، فأخشى أن تشرد، وأخاف أن يجمح بي فتور ظني في أهوائها المذمومة، فما لي لا أجعلها تحتي دون أن أكون تحتها؟ ولِمَ لا أحملها على الشدائد دون أن تحملني على الفواحش؟

وكان في مدينته هرج واختلاط ببعض الحوادث، والفيلسوف ساكن مار.. فقيل له: ألا تتحرك لهذا؟

فقال: لو رأيتم مثل هذا في النوم، لكنتم تتحركون له في اليقظة... فكذلك لا يقلقني هذا الأمر؛ لأن أمور هذا العالم كلها كالحلم، وصحة الرأي كاليقظة.

وقال: اللسان قد يحلف كاذبًا، والعقل لا يحلف إلا صادقًا.. فاجتهد أن يتطابقا جميعًا.

ويقال: إن امرأته خاصمته، ومكثت زمانًا تُسمعه المكاره.. وهو ساكت يحتمل.. فاغتاظت منه غيظًا شديدًا.. وكانت تغسل ثيابًا فقامت وصبَّت على رأسه غُسالة الثياب!

وكان في يده كتاب يُطالع فيه، فوضع الكتاب من يده.. ثم رفع رأسه إليها.

وقال لها: أرعدتِ، وأبرقتِ، ثم أمطرتِ، ولم يزد على ذلك.

ومرَّ على رجل عريض عبيل فشتمه، وأفحش.. فأعرض عنه..

فقيل له: لِمَ لا تمتعض من كلامه؟

فقال: لأني لا أتوقع أن أسمع من الغراب هديل الحمام، ولا من الكركي تغريد القمري.

وكان إذا مدحه الأشرار: جزع، وقال: لعلي فعلتُ شرًّا.

obeikandl.com

«ثاوفرسطس».. تلميذ الحكيم «أرسطاطاليس»

وهو خليفته على كرسي الحكمة بعد وفاته.. وأعانه على ذلك «أوذيموس»، و«أسخولوس»، وكانا أيضًا من تلامذة «أرسطو» الكبار.

وله التصانيف الكثيرة، والشروح لكتب «أرسطاطاليس»، ومما يدل على فضله وقوته قوله: الألوهية لا تتحرك، وهي مع قِلَّة لفظها غزيرة المعنى، كثيرة الفائدة.

وقال: «الأديب»: من روى محاسن الناس، وستر المساوئ.

وقال: العقلاء من جباة الأموال، ينالون من جمعها برفق ما لا ينالون من جمعها بالصولة.. فإن العظة تنال من الدم بغير أذى، ولا سماع صوت ما لا تناله البعوضة بحر لسعتها، وهول صوتها.

وقال، وقد رأى شابًّا طويل الصمت: إن كان سكوتك لقلة أدبك، فإنت أديب.. وإن كنت أديبًا، فقد أسأت الأدب.. إذا سكتَّ.

وقال أيضًا: النفس تقدر على الطيران، والحلول على جميع ما تريد بالأجنحة الحقيقية التي لها، وهي تنظر إلى ما تريد.

وقال: متى طرحت النفس الثقل عنها من الفكر في هذا العالم، الذي يعوقها عن حركاتها إلى الشيء الفاضل، باشرت الحكمة بأيسر كلفة، وأهون سعي، وصارت كالسراج الذي هو مضيء في نفسه، ومضيء لغيره.. والجاهل إذا لزمها صار عالمًا.. والفقير إذا اتبعها صار غنيًّا.

وقال: المال: غِنى البدن، والحكمة: غنى النفس، وطلب غنى النفس أَوْلَى؛ لأنها إذا غنيت بقيت، وغِنَى النفس: ممدود، وغِنَى البدن: محمود.

ولما حضرتْهُ الوفاة.. أقبل على لوم الطبيعة بما معناه: أن بنيان البدن لا أصل له.. بل بنيان النفس، والاعتناء بها.

obeikandl.com

«أوذيموس»

كان من تلامذة «أرسطو»، والمدرسين لعلمه وحكمته.. والمصنفين للكتب على قوة كلامه، ونمط تأليفه.

وقال: لا تُسِرَّ إلى الجاهل شيئًا؛ فإنه لا يطيق كتمانه، ولا يطيق كتمان السر.. إلا الحكيم..

وقال: كما أن السهم إذا أصاب حجرًا نبا عنه.. كذلك الكلمة السوء، إذا رُمِيَ بها الرجل الصالح، لم ينجع فيه، ويرجع العيب إلى الرامي.

وقال: كما أن الموت رديء لمن كانت الحياة له جيدة.. كذلك هو جيد لمن كانت الحياة له رديئة... فليس الموت رديئًا مطلقًا، بل جيد في الإضافة إلى شيء يكون جيدًا، ورديئًا.

وسئل عن قدر انتفاع الإنسان بالحكمة؟

فقال: إذا حوى الإنسان الحكمة، واشتمل عليها.. كان مثلُه مَثَل الواصل في البحر إلى مقصده، فهو ينظر إلى غيره مكروبًا بالأمواج المحدقة به، والرياح المحترقة عليه، وهو مطمئن، وادع حزنه.

وقيل له: ما المُحال؟

فقال: ما لا صورة له في النفس.

«أسخيليوس»

كان من أصحاب «أرسطو»، وكبار تلامذته، وجاريًا مَجْرَى «ثاوفرسطس»، و«أوذيموس» فيما ذكرناه من شأنهما.

وكان «الإسكندر» يعظِّمه، ويرفعه على نُظرائه.

وقيل له: هلَّا اتخذت زوجة؟

فقال: أنا في السعي في إصلاح نفسي، والحيلة في مصالح جسدي في مؤن وجهل، وهموم وغموم.. لا قوام لي بها.. فكيف أضم إليها مثلها.

وقيل له: نراك تُدمن القراءة، والكتابة.

فقال: لعلمي بأني جاهل، محتاج إلى العلم.

وقال في «الإسكندر»: كان جامعًا للشِّدة والحكمة، وكان سلاحه في محاربة أعدائه: الحكمة.

وسفَّه عليه بعض السُّفهاء، فلم يلتفت، وقال: إن كان كاذبًا فأَوْلَى بي ألا أغضب؛ لأن الأمر ليس على ما قال.. وإن كان صادقًا، فما ينبغي أن يغضبني.

وحبسه الإسكندر، فلما دخل السجن، ودخل السَّجان يفتش ما معه من المال.

فقال: ما أجهلك! ما جئت هنا للتجارة، ولا للهو.. فما بلغ من جهلي أن أحمل معي المال إلى هنا؛ لتأخذه.

فقال له: اجلس لا خلَّصك الله تعالى.

فبلَغ الخبر «الإسكندر»... فضحك وخَلَّى سبيله، وقال: صحة الأرواح في الحُكماء الصالحين.. فأما صحة الأجساد، فلا أُبالي بها.

obeikandl.com

«ديمقراطس»

كان هو، و«أبقراط» الطبيب في زمن واحد أيام «بهمن بن أسفنديار بن سناسب».

وله مقالات، وآراء قد ذكَرها الحُكماء عنه في الكتب، وهو من قدماء الفلاسفة.

وقيل له: لا تنظر (فغمض عينيه).

وقيل له: لا تسمع (فشد أذنيه).

وقيل له: لا تتكلم (فوضع يده على شفتيه).

وقيل له: لا تعلَّم.

فقال: لا أقدر على ذلك.

وكان «أرسطو» يؤثر قوله على قول أستاذه «أفلاطون»، ولم ينصف في ذلك.

وقال: إن الجمال الظاهر يشبِّه المصورين بالأصباغ، والجمال الباطن لا يشبه به إلا من هو بالحقيقة، وهو مخترعه ومنشئه.

وقال: ينبغي أن تأخذ في العلوم -بعد أن تنفي عن نفسك العيوب- وأجودها الفضائل.. وإلا لم تنتفع بشيء من العلوم.

وقال: من أعطى أخاه المال، فقد أعطاه خزانته.. ومن أعطاه علمه ونُصحه، فقد وهب له نفسه.

وقال: لا ينبغي أن يُعدَّ النفع الذي فيه الدهر العظيم: نفعًا.. ولا الضرر الذي فيه النفع العظيم: ضررًا.. ولا الحياة التي لا تُحمد حياة.

وقال: مثل من قنع بالاسم، كمن قنع من الطعام بالرائحة.

وقال: يجب أن يطهر القلب من المكر والخديعة، كما يطهر البدن من أنواع الخبث.

وقال: من وطئ عقبيك اليوم.. وطئك غدًا.

وقال له نقَّاش غير حاذق: جصص بيتك بأبنية، لأصوره.

فقال له: بل أنقشه أولًا لأجصصه بعد ذلك.

و«قابس السقراطي» كان من الحكماء المتقدمين، وهو من أصحاب «أفلاطون»، ولم نجد له غير لغز موضوع في أمر العالم، وما يجري فيه من البحث والحث على ترك الدنيا والتهاون بها، وما يجب على الإنسان من إسقاط الفكر في طلب الشهوات، وطلب السعادة التامة، والنجاة من الشرور التي في عالم الحس.

«أبرقلس»

وهو الذي أَلَّف في قِدَم العالم كتابًا أورد فيه الأدلة على قِدَمِهِ، وخالف القدماء في ذلك.

ووافقه «أرسطو» على ذلك، وتبعهما كل من جاء بعدهما، وهو مخالف للظاهر من أقوال الحكماء.

وبعض المتعصبين «لأبرقلس» مهَّد عذره، وقال: إنه كان يناطق الناس بنطق روحاني بسيط، وآخر جسماني مركَّب.. فكان القوم الذين يناطقونه جسمانيين.

وإنما دعاه إلى ما ذكره من الأدلة على القِدَم مقاومتهم، فخرج بذلك من طريق الحكمة والفلسفة؛ إذ من الواجب على الحكيم أن يُظهر العلم على طُرُقٍ كثيرة، متصرف فيها كل ناظر بحسب فكره واستعداده... فلا يجدوا على قوله متتبعًا، ولا طعنًا.

فإن «أبرقلس» لما كان يقول بدهر هذا العالم، وأنه باقٍ لا يدثر، ووضع كتابًا في هذا المعنى، فطالعه من لم يعرف طريقته، ففهموا منه جسمانية قوله دون روحانيته، فنقصوه على مذهب الدهرية.

وفي هذا الكتاب يقول: لما اتصلت العوالم بعضها ببعض، وحدثت القوى الواصلة فيها، وحدثت المركبات من العناصر حدوث قشور واستنبطت لبوب كالقشور دائرة، واللبوب قائمة دائمة لا يجوز الفساد عليها؛ لأنها بسيطة وحيدة القوى، فانقسم العالم إلى عالمين: عالم الصفوة واللب، وعالم

الكدورة والقشرة، فاتصل بعضه ببعض، وكان آخر هذا العالم من بدء ذلك العالم، فمن وجه ليس بينهما فرق، فلم يدثر هذا العالم؛ لاتصاله بها لم يدثر، ومن وجه تدثر القشور.

ولما لم تزل القشور باقية كانت اللبوب خافية.. ولأن هذا العالم مركب، والعالي بسيط، وكل مركب ينحل إلى البسيط الذي تركب منه، وكل الروحانية بسيط دائمًا.

فالذي نُقل عن «أبرقلس» هو المنقول عن مثله، والذي أضاف إليه القول الأول.

أما أنه لم يقف على مُرامه للعلة المذكورة، أو لأنه كان محسودًا عند أهل زمانه؛ لأنه بسيط الفكر، واسع النظر بسائر القوى.

وكان أولئك أصحاب أوهام وخيالات.. فإنه يقول في موضع من كتابه: إن.. الأوائل منها تكونت العوالم وهي نافعة وباقية، لا تدثر، وهي لازمة الدهر، ماسكة له.. إلا أنها من أول واحد لا يوصف بصفة، ولا يدرك بنعت؛ لأن صور الأشياء كلها منه، وهو الجوهر الممد لطباع الحياة، والبقاء.

فإذا اضمحلت قشور هذا العالم، وذهب دنسه، وصار بسيطًا روحانيًا.. بقي بما فيه من الجواهر الصافية النورانية الروحانية... كالعوالم العلوية التي لا نهاية لها.. وكان واحدًا منها.

«أرسطيس»

كان رجلًا معروفًا في بلده بالحكمة والفلسفة، وهو في أحسن حال، وخَفْضٍ من العيش، وكثرة في المال.

فعثر به الدهر، وغدرت به الأيام.. فتعثرت حاله، وتشتت أسبابه.. فعزم على التغرب إلى حيث لا يُعرف.. فركب البحر، فانكسر المركب، ورمى به إلى الساحل.. فصَّور شكلًا هندسيًّا على الأرض.

وقيل: بل رأى شكلًا هندسيًّا مصورًا في بناء هناك.. فقويت نفسه بذلك؛ لكونه قد وقع إلى قوم حُكماء، لا إلى أغنام لا عقول لهم، فدخل المدينة، وخالط أهلها.. فعادت حاله إلى أحسن مما كانت عليه؛ لأنهم عرفوا ما عنده من الفضل، فأكرموه، وأجلُّوه، واختلفوا إليه.. فعادت أسبابه.

ثم إنه رأى قومًا يركبون البحر إلى مدينته.. فسألوه أنْ يكتب شيئًا إلى أهله، فقال: ليكن ما تكسبونه، وتقتنوه شيئًا إذا كُسِر بكُم المركب، وغرقتم شيخ معكم.

obeikandl.com

«فواطرخس»

عمل ثورًا من طين، وقَرَّبه في اليوم الذي كان أهل بلده يقرِّبون لأصنامهم.

فعاتبوه؟ فأجاب: بأن ذبح الحي المتنفس، لأجل ما ليس بحي قبيح.

obeikandl.com

«سفيداس»

جعل على نفسه ألا يتكلم.. فاتصل خبره بـ«مادريانوس» الملك، فأمر بإحضاره، وجهد به الجهد أن يكلمه.. فلم يفعل، فأمر بقتله وتقدم إلى السيَّاف في السر: إن تكلم إذا هززت عليه السيف فاقتله.. وإن ثبت على صمته فرُدَّه إليَّ.

فمضى به، وهزَّ عليه السيف وروَّعه.. فلم ينطق بحرف.. فردَّهُ إلى الملك، فأكرمه وعظَّمه.

وسأله عن مسائل؟ فأجابه: عنها في (كتاب).. وداوم على صمته!

openkandil.com

«ثامسطيوس»

معناه: المؤمن بالله: مفسر كُتُب الحكيم «أرسطاطاليس» بأحسن ما يكون، وبأبلغ ما يمكن.. مع الاستقصاء التام.

كان وزيرًا، وكاتبًا لـ«لقيانس» الملك على ما ذكرناه فيما مضى.

وإنما اعتمد الحُكماء على شرحه لكُتُب «أرسطو»؛ لأنه أهدى القوم إلى إشاراته، ورموزه على رأي «أرسطو».. إلا أنه اختار رأي من زعم أن المبادئ ثلاثة: «الهيولي، والصورة، والعدم».

والفرق بين العدم الخاص.. كعدم صورة السفينة عن الحديد، والعدم المطلق ظاهر.

وزعَمَ أن الأفلاك حصلت من العناصر الأربعة؛ لأن العناصر حصلت من الأفلاك.. ففيها نارية، كما أن الغالب على المركبات السفلية هو الأرضية.

والكواكب نيرات مشتعلة حصلت بتراكيبها على وجه يتطرق إليها الانحلال؛ لأنها لا تقبل التكون، والفساد، والتغير، والاستحالة، وإلا فالطباع واحدة.

والفرق يرجع إلى ما ذكرناه.. ونُقل عن «أرسطو»، وتلاميذه: أن في جميع العالم طبيعة واحدة عامة، وكل نوع من النبات، والحيوان له طبيعة خاصة تدبره تدبيرًا طبيعيًا.

«الإسكندر» الأفروذيسي

من مدينة (أفروذيسياس، مانساس) المفسر لجميع كتب «أرسطاطاليس» على غاية الإمكان..

و«الإسكندر» كان في زمن «جالينوس»، وكان بينه وبين «جالينوس»، مناظرات.. وكان كثيرًا ما يعبث به، ويسميه (رأس البغل)؛ لعظم دماغه، و«ثاموسطيوس»، و«الإسكندر» من تلامذة كتب الحكيم «أرسطو».

وقال الإسكندر: إذا أردت أن تعرف ما عند صاحبك، فحدثه في أثناء الحديث بالمحال.. فإن أنكره، فهو عاقل.. وإلا فهو أحمق.

وجميع المشَّائين يعظِّمونه، و«أبو علي بن سينا»[1] يفخمه، ويثني عليه، وكذلك «ثاموسطيوس» مدحه الشيخ، ويبالغ في شكره.

ويقول أيضًا في حقهما في بعض كلامه: وقد صنفنا كتابًا سمَّيناه: بـ(الإنصاف)، قسمنا العلماء فيه قسمين: مشرقيين، ومغربيين، وجعلتُ المشرقيين يعارضون المغربيين، حتى إذا حق الكداد تقدمت بالإنصاف.

فقد كان يشتمل هذا الكتاب على قريب من (ثمانية وعشرين ألف مسألة).

---

(١) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك «٣٧٠- ٤٢٨هـ/ ٩٨٠-١٠٣٧م» الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب، والمنطق، والطبيعيات والإلهيات، وقد تم تحقيق كتاب (الإلهيات) بمعرفتنا.

obeikandi.com

ثم يقول بعد كلام قريب: وقد كان يشتمل على ضعف تلخيص (البغدادية) وتقصيرهم، وجهلهم.. والآن فلا يمكنني بعد ذهابه أن أعيده، ولكن اشتغل بمثل «الإسكندر»، و«ثامسطيوس»، و«**يحيى النحوي**».. وأمثالهم.

ثم نقول بعده: وأما «**أبو نصر الفارابي**»[1] فيجب أن نعظم فيه الاعتقاد، ولا نجري مع القوم في ميدان، فيكاد يكون أفضل من سلف من السلف.

و«الإسكندر»: من كبار العلماء رأيًا وعلمًا، ومقالته: أرصن، وكلامه: أمتن.. وافق «أرسطو» في جميع آرائه، وزاد عليه في الاحتجاج على أن «الباري» تعالى عالم بالأشياء كلها: كلياتها، وجزئياتها على نسق واحد بما كان ويكون، ولا يتغير علمه بتغير المعلوم، ولا يتكثر بتكثره.

وقال: كل كوكب ذو نفس، وطبع، وحركة من جهة نفسه وطبعه، ولا يقبل التحريك من غيره أصلًا.. بل يتحرك بطبعه، واختياره، ولا تختلف حركاته؛ لأنها دورية.

وقال: لما كان الفلك محيطًا بما دونه، والزمان جاريًا عليه؛ لأن الزمان عاد للحركات.

ولما لم يُحط بالفلك شيء آخر.. ولم يكن الزمان جاريًا عليه، لم يجزُ فساد الفلك، ولا تكونه.. فيكون قديمًا أزليًّا.

---

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، المعلم الثاني «٢٦٠- ٣٣٩هـ» أكبر فلاسفة المسلمين

obeikandl.com

وقال: إن النفس لا تفعل إلا بمشاركة البدن ، حتى التصور بالعقل، فإنه مشترك بينهما.

وأشار بهذا.. إلى أن النفس لا تبقى بعد مفارقتها لها قوة أصلًا.. حتى القوة العقلية.

وخالف في هذا أستاذه «أرسطو»؛ فإنه قال: الذي يبقى مع النفس من جميع مالها من القوى، هي: القوى العقلية فقط، ولذّاتها في ذلك العالم مقصورة على اللذات العقلية فقط؛ إذ لا قوة لها دون ذلك، فتحسن، وتلتذ بها.. والمتأخرون يثبتون بقاءها على هيئات ملائكية هناك.

obeikandl.com

«الشيخ اليوناني»

المشهور: صاحب الحِكَم الكثيرة، والمواعظ النفيسة.. كان معاصرًا لـ «ديوجانس الكلبي»، وهو تلميذه أيضًا، وممن أخذ الحكمة عنه.

قال الشيخ اليوناني: النفس جوهر شريف كريم، يشبه دائرة قد دارت على مركزها، غير أنها لا يعدلها، ومركزها هو: العقل، والعقل: دائرة استدارت على مركزه، وهو الحيز الأول.

لكن دائرة النفس متحركة، ودائرة العقل ساكنة، شبيهة بمركزها.

ودائرة النفس تتحرك على مركزها، وهو العقل.. ودائرة العقل تتحرك بالاشتياق إلى مركزها.

ودائرة النفس في حركتها ميل؛ لأنها تشتاق إلى العقل والحيز الأول.

فأما دائرة هذا العالم، فإنها تدور حول النفس، وإليها تشتاق، والحركة الدائمة شوقًا إلى النفس كشوق النفس إلى العقل، والعقل إلى «الباريء» تعالى.

ودائرة هذا العالم جرم يشتاق إلى ما يخرج عنه؛ ليصير إليه، ويعانقه، فكذلك يتحرك الجُرم الأقصى الشريف حركة مستديرة؛ لأنه يطلب النفس من جميع النواحي لينالها، فيستريح إليها، ويسكن عندها.

وقال: ليس «للباريء» تعالى صورة، ولا حيلة صورة الأشياء العالية، أو الصور التي في العالم السفلي، ولا قوة مثل قواها.. وهو فوق كل صورة، وحيلة، وقوة.

وكذلك العقل، والنفس: اللذان هما شعاعان لذاته.. فتتحد الأشياء التي لا صورة، ولا حيلة، ولا شكل لها اتحادًا عقليًّا معنويًّا.

وقال «أبو سليمان السجري»: معناه: أن كل ما هو عندنا بالحس بينًا، فهو لنا بالعقل هناك، إلا أن الذي لنا ظِلٌّ ذلك؛ ولأن من شأن الظل أنه كما يريك الشيء الذي هو ظله.

مرة فاضلًا على ما هو عليه، ومرة فاضلًا عما هو به.

ومرة على قدر عرض الخيال، والتوهم، وصار أمرًا حيزًا للنفس.

فينبغي أن تكون عنايتنا بطلب البقاء الأبدي، والوجود السَرْمَدي أتم وأظهر... فبالحق ما كان الغائب.

وقال: المبعد الحق ليس شيئًا من الأشياء؛ لأن الأشياء منه.

وقد صدق الأوائل الأفاضل في قولهم: مالك الأشياء: هو الأشياء كلها؛ إذ هو علة كونها، فإنه فقط، وعِلة شوقها إليه، وهو خلاف الأشياء كلها.

وإذا كان العقل واحدًا من الأشياء، فليس منه عقل، ولا صورة، ولا حيلة.

أبدع الأشياء، فإنه يعلمها، ويحفظها، ويدبرها.. لا بصفة من الصفات، وإنما وصفناه بالفضائل؛ لأنها علتها، وأنه الذي جعلها في الصورة، فهو مبدعها.

وإنما تفاضلت الجواهر العقلية؛ لاختلاف قبولها من النور الأول.

فـصارت كـذلك ذات مراتـب شيء.. فاختلفـت الأشـياء بالمراتـب والفضول، لا بالأماكن كالحواس.

و«الباريء» تعالى... غير مُتناهٍ، لا كأنه جثة بسيطة، وإنما عظُم جوهره بالقوة والقدرة.. لا بالكمية.. فلا صورة له، ولا شكل.

obeikandl.com

«زرادشت»[1]

قال الفاضل: إني كنت رجلًا من أهل أذربيجان، حيث الشمس زائلة عن المناكب، والبخارات متكاثفة، والثلج متهافت، غير أن أبي كان يأتي أرض الممتزجين بحران، فلما ولدت ونشأت حملني معه إلى حران، فصحبت بها أولوس الحكيم المتخلي من الدنيا، فورثته الحكمة، وتلقح منه مزاجي: كيف تدبر أجسام الفلك الذي نحن عليه، يعني: الأرض!!

فلما بلغت دور زُحل الأوسط، دخل النور خلدي، وذلك إن طالعي كان الدلو، وزُحل وليَّه، اقتدرت نفسي على مناجاة النور الخالص.. فإن الجسم منحصر للناظرين، والنفس منبسطة إلى حيث لا يبلغه عدد العادين.

ولم أنل ما نلت بحيلة، ولكن اجتمع لي زُحل والقمر ببيت الدلو.. فاتصل المشترى بزحل من بيت عطارد؛ ولأن عطارد والشمس وقعا منِّي بموضع... نالني من الناس الأذى، وأحرقت مواضع من بدني بالنار عند رجوعي إلى (أذربيجان)؛ لطلبهم مني المال، وكتب الحكمة.

فإني أتيت أهل (أذربيجان)، وكنتُ فيه معروف البيت والوالدين.. فحسدني الأشراف على العلم والمنزلة، وأغرت الملوك بقتلي، وقالوا: عنده علم النبوة.

---

(١) زرادشت «ت نحو ٥٨٣ق.م» حكيم الفُرس الأقدمين، ومصلح ديانتهم الأولى.. من أتباعه: الأخمينيون والساسانيون.

فنهيتهم، فلم ينتهوا، فعند ذلك دخلت الجبل المظلم المغمم بالثلج ذا الغيظة المظلمة، والكهف المديد.. فأرسلت إليهم: إن النور بُعث في خلدي، وأنكم ستعذبون بالثلج.

فلقد أتتهم الثلوج، حتى لا تتراجع الأنفس إلى الصدور.. فعند ذلك انجذبت لي المشرق، فأتيت «رستم» سيد أحرار دوران شهر فعرضت عليه الدين.

فقال: إن أعظم ملوك المشرق وأحكمها «نستاسف»، وهو ممن لا يضل رأيه، ولا يخطئ تدبيره.. فإنه إن أجابك، أجبناك.

قال: ثم سألني «رستم» عن أمر ابنه، ولم يكن أهل المشرق يعرفون قبلي شيئًا عن علم الفلك وما فيه.. فأخذت مقياسًا كان معي من حرَّان ورثته عن «الرئيس» الحكيم، فقال: ما هذا؟

فقلت: به تنجذب النفس إلى النور الأعلى.

فوجدتُ الطالع واهيًا، وصاحبه واهيًا، والشمس واهية، فقلت له: يسبى بعد موتك.. ثم يقتل.

و«**زرادشت بن ذورشت**» الذي ظهر في زمان «**نستاسف**» الملك، وكان أبوه من (أذربيجان)، وأمه «**دعد**» من (الري).

وزعم «الزرادشتية» أن لهم «أنبياء» وملوكًا، أولهم: «**كيومورث**» وهو أول من مَلَك الأرض، وكان مُقامه بـ(**أصطخر**)، وبعده «**أوشهيج بن نوارك**»، ونزل أرض الهند.

وكانت له دعوة، ثم بعده «طهمورث»، وظهرت «الصابئة» في أول سنة من ملكه، وبعده أخوه «جم» الملك.

وبعده: أنبياء، وملوك كمنوجهر، ونزل (بابل)، وظهر «موسى» في زمانه.. حتى انتهى الملك إلى نستاسف، فدعاه «زرادشت»، فأطاعه بعد أن حبسه، وأخرجه من الحبس لما أخرج قوائم فرس «نستاسف» من بطنه.

وكان دينه: عبادة الله عزَّ وجلَّ، والكفر بالشيطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجتناب الخبائث.

وقال: النور، والظلمة: أصلان يتضادان، كذلك «يزدان»، و«أهرمن» وهما مبدأ موجودات العالم، وحصل التركيب من امتزاجهما، وحصلت الصورة من التراكيب المختلفة.

و«البارئ» تعالى خالق النور والظلمة، ومبدعهما، وهو لا شريك له، ولا ضد ولا ند له، ولا يجوز أن ينسب إليه وجود الظلمة، والخير، والشر.. إنما حصلا من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا.. لم يوجد العالم.

وهما يتفاوتان ويتغالبان.. إلى أن يغلب النور: الظلمة، والخير: الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه، وينحط الشر إلى عالمه، وهو سبب الخلاص.

فالمزاج، وهو تعلُّق النفس بالبدن جعلوه مبدأ .. والخلاص معادًا، وكلام المجوس يدور على الامتزاج والخلاص.

ورأى «زرادشت» الملائكة، و«الباري» تعالى وسأله مسائل.

أخبار «ديوجانس»[١] الناسك الكلبي

كان يأخذ نفسه بالتقشف، ولا يقتني شيئًا البتة، ولا يأوي إلى منزله.. فليس له إلا ما يواري عورته.. يأكل قُوت يوم بيوم إن وجده ليلًا أو نهارًا عند ملك أو زبّال.

ومَرَّ بخباز يخبز، فأخذ من خبزه فأكل أيامًا.

فقال له الخبَّاز: قد أكلتَ أمس.

فقال: وآكل اليوم أيضًا؛ لأنك تخبز في كل يوم، وأجوع في كل يوم.

وهو صاحب «الشيخ اليوناني»، وأستاذه الذي ظهرت الحكمة منه في كُتبه المعروفة به.. فمن أراد قراءتها، فعليه بتلك الكتب فإنها موجودة.

وأصحابه «الكلبيون»؛ لأنهم كانوا يرون اطراح الرسوم مثل التزوج، والبناء، والنجارة، والاقتناء، وكانوا يُحبُّون إخوانهم، وأقاربهم فقط، أو من ذَهَب مذهبهم، أو أحسن إليهم، ويبغضون سائر الناس، وهي أخلاق الكلاب.

وقيل له: لِمَ لا تبني بيتًا؟

---

(١) ديوجانس الكلبي «٤١٢ – ٣٢٣ ق.م» فيلسوف يوناني من الكلبيين عاش في أثينا داعيًا إلى البساطة، فعاش في برميل، وكان يجوب الطرقات نهارًا حاملًا مصباحًا؛ ليبحث في ضوئه عن الإنسان الذي تتمثل فيه الفضائل البشرية الصحيحة.

قال: أيها الناس.. اجتمعوا (ففعلوا)/ فقال: إنما أدعو الناس لا أنتم!

كان «ديوجانس» حكيم أهل زمانه، وكان زاهدًا، تخليًا.. لا مسكن له، ولا مأوى له، إلا حيث أجنَّه الليل.

وكان لا يمتنع من الطعام إذا جاع عند من وجده، غير محتشم ليلًا كان ذلك، أو نهارًا.

وكان يجبه الناس كلهم بالحق، وكان يقدمهم على نفسه، ويرفعها عمَّا تنحط إليه الملوك، والسوقة.

وقنع بثوبين من الصوف فظلَّ على حاله تلك.. إلى أن فارق الدنيا وبعثه أهل (أثينة) إلى «الإسكندرية» برسالة، فقصَّها عليه..

فقال له: ما الذي يُرضيهم عنِّي؟

وقال: لا أحسب أن يرضيهم عنك إلا موتك.

ومرَّ به الملك، فوجده جالسًا في شُرفة.. فوقف عليه، وقال له: سَلْ حاجتك؟

فقال: حاجتي إليك التنحي حتى تقع الشمس عليَّ.

وكان من أهل (أفولونيا)، وكان من المتكلمين على الطبائع.. وكان يُنسب إلى «أنكسماندرس».

وسُمِّي بالكلبي؛ لأنه كان يجبه الناس بالحق، ولا يختصم أحدًا.

وقيل له: لِمَ سُمِّيت الكلبي؟

فقال: لأني أبصبص للأخيار، وأهر على الأشرار.

ووقف «الإسكندر» عليه يومًا، فلم يلتفت إليه، فقال: يا ديوجانس.. ما هذا التهاون؟ .. أتُراك غَنِي عنِّي؟

فقال: وأي حاجة تكن لي إلى عبد عبدي؟

فقال له الإسكندر: ومن عبد عبدك.

فقال له: أنت.

قال: وكيف ذلك؟

قال له: لأنني ملكت الشهوة فقرتها، واستعبدتها.. وأنت ملكَتْ الشهوة، وقهرتك، واستعبدتك، فأنت عبد لمن استعبدته أنا.

فقال له: كيف استمنحك، وأنا أغنى منك؟

قال له: لأنني بالقليل الذي عندي أشد اكتفاءً منك بالكثير الذي عندك.

قال: مَنْ لا يجد بُدًّا من تنحية الجيفة من قُربه.

وهذا «الإسكندر» ملك كان في زمان «ديوجانس»، وليس هو «ذو القرنين» تلميذ «أرسطو».. وكان مع فضله وحكمته يهزؤ به، ويضحك منه.

وكان «ديوجانس» -مع كونه حكيمًا فاضلًا- متقنعًا لا يقتني شيئًا، ولا يأوي إلى منزل.

وكان من قدرية الفلاسفة؛ لِمَا يوجد في اندراج كلامه من الميل إلى القدر.. فإنه كان يقول: إن الله تعالى ليس علَّة للشرور.. بل هو علة للخيرات،

والفضائل، والجود... فالعقل والجود جعلهما بين خَلْقه، فمن كسبهما، وتمسك بهما نالهما؛ لأنه لا يدرك الخيرات إلا بهما.

ورأى غلامًا معه سراج، فقال له: من أين تجيء هذه النار؟

فقال له: إن أخبرتني إلى أين تذهب، أخبرتك من أين تجيء (فأفحمه بعد أن لم يكن يقوى عليه أحد).

وقدَّم إليه رجل طعامًا، وقال له: استكثر منه.

فقال له: عليك بتقديم الأكل.. وعلينا باستعمال العدل.

وعاتبته امرأة بقُبح الوجه، ودمامته، فقال: منظر الرجال بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر (فخجلت.. وتأمل).

obeikandl.com

آداب «ديوجانس» الناسك الكلبي

معناه باليونانية: (يا مجنون)، ويقال بالرومية: «دي جانوس»: (يا مجنون)، وعُرِّب، فقيل: «ديوجانس».

وقال: ليس من كف عن الشر بخير، ولكن من عمل الخير.

ورأى شابًّا قبيح الوجه، حسن الأدب.

فقال له: جمعت فضائل نفسك محاسن وجهك.

وسُئل: عن وقت الأكل؟

فقال: لمن يمكنه: إذا جاع.. لمن ليس يمكنه: إذا وجد.

وقيل له: ما الأصدقاء؟

فقال: نفس واحدة، في أجساد متفرقة.

ورأى رجلًا يخطُب امرأة، فقال: راحة قليلة تجلب عناءً كثيرًا.

وقيل له: لِمَ تبغض الناس كلهم؟

فقال: نعم أبغض أشرارهم لسيرتهم الرديَّة، وأبغض أخيارهم؛ إذ لا يعظون أشرارهم.

وقيل له: فلان يذكرك بكل شر.

فقال: لأنه لا يهتدي إلى الخير.

وقيل له: إن الملك لا يحبك.

obeikandl.com

فقال: لأن الملك لا يحب من هو أكبر منه.

ورأى شرطيًّا يؤدب لصًّا، فقال: واعجبًا.. لص العلانية يؤدب لص السر.

وقيل له: كيف الذي بينك وبين ربطين؟

فقال: مختلف جدًّا؛ لأنني بحكمتي: صرت أحمق، وبحمقه: صار حكيمًا.

فقال «ربطين»: صدق.. أدركت بحمقي ما صنعه بحكمته.

ورأى امرأة جميلة، فقال: خير قليل، وشر كثير.

وقال «للإسكندر» ملك وقته: أيها الملك.. لا تفتخر بجمالك وحُسن ثوبك، وفراهة مركبك.. ولكن احرص أن يكون فخرك إظهار ما في طبعك من الخير، والجود.

وقال: إذا أنكرت شيئًا على غيرك، فاحذر أن يكون مثله فيك؛ فإنه لا شيء أقبح من عار يرجع إلى معيَّر به.

وقيل له: لِمَ تأكل في السوق؟

فقال: في السوق جُعت.

ورأى رجلًا يدعو، ويسأل الله أن يرزقه الحكمة، فقال له: لو اجتهدت في التعليم.. رُزِقتها.

وقيل له: ألك بيت تستريح فيه؟

فقال: نعم.. إنما يحتاج إلى البيت؛ ليُستراح فيه، وحيث ما استرحت، فهو بيت لي..

وقال: كل شيء يحب فضله خلا فضل الكلام، فتوقه.. فإنه غير محبوب.

وقال «لزينون» الشاعر: أقصر في مديحك؛ فإن مديح الرجل بما ليس فيه: هجاء له.

ودخل عليه «الإسكندر» وهو نائم، فركله برجله، وقال له: قُمْ فقد فَتحتُ مدينتك!

فقال له: إن فتح المدن لا ينكر للملوك.. ولكن الركل بالرجل من صنيع الحمير.

وكان في أيامه رجل مصور.. فترك التصوير، وصار طبيبًا -فقال له: أحسنت.. إنك لما رأيت خطأ التصوير ظاهرًا للعين، وخطأ الطب يواريه التراب.. تركت التصوير ظاهرًا، ودخلت في الطب.

ورأى رجلًا شريرًا، حسن الوجه، فقال: نعم البيت، وبئس الساكن.

ورأى حَدَثًا لا أدب له، وهو جالس على حجر.. فقال: حجر على حجر.

ورأى رجلين قديمي الصحبة، فسأل عنهما؟

فقيل له: هُما صديقان.

فقال: ما بال أحدهما غنيًّا، والآخر فقيرًا؟

وكان يُعَيِّر الناس بزهدهم في الحكمة، والأدب، والتعليم.

وصعد يومًا على مكان عالٍ، وصاح: أيُّها الناس.. اجتمعوا.

فسار إليه الناس، واجتمعوا فقال لهم: لم أناديكم.. وإنما ناديت الناس.

وقال يومًا: أنا أرجى وأغنى من ملك الفرس؛ لأن القليل يقنعني، والكثير لا يقنعه.. ولا أهتم بأحد، وهو يهتم بالعالم.

وحكي أن «ماقيدرس» رآه يومًا يغسل بقولًا، ويأكل منها.. فقال له: هذا طعامك؟

فقال له: لو أمكنك أنت أيضًا أن يكون هذا طعامك، لم تأت باب «ديوتسس» المتغلب.

وحُبِس له صديق، فدخل على «الإسكندر»، فقال: أيها الملك.. إن كان (فلان) مسيئًا، فهب لي ذَنْبه، وإن كان بريئًا.. فكُن أنت الذي يخلي سبيله.

وقيل له: لِمَ جعلتَ خاتمك في يمينك؟

فقال: لأعرف الفضوليين، ومن لا يعنيه شأنه.

وقيل له: ما الغِنَى؟

فقال: الكف عن الشهوات.

وسُئل عن العشق؟ فقال: مرض نفسٍ فارغة، لا هِمَّة لها.

ومرض فعاده إخوانه، فقالوا له: لا تجزع؛ فإنه أمر الله سبحانه.

فقال: إذن لك أشد له.

وسُئل: ما الكرم؟

فقال: النزاهة عن المساوئ.

ورأى شيخًا قد خَضَّب، فقال له: إذا أخفيتَ شيبك، أتقدر أن تخفي هِرمك؟

وسُئل: كيف ينبغي للإنسان ألا يغضب؟

فقال: ليكن ذاكرًا، في كل وقت: أن لا يجب أن يُخدم، وأن يُطاع، وأن يُحتمل، وأن يُصبر عليه.. .بل إن يُطيع، ويخدم، ويصبر، فإنه إذا فعل ذلك، قلَّ غضبه.

وقال لتلامذته: توقُّوا فضل الكلام؛ ففضل كل شيء خير من فُضله.

وقال: من أراد أن يكون مذهبه جيدًا، فلتكن طريقته على ضد طريقة أكثر الخلق.

وقال له رجل: ألا تحدثنا.

قال: لا.

قال: لمَ؟

قال: لأنكم تجلون عن دقيقي، وأدق عن جليلكم.

ورأى رجلًا سمينًا مُشرق اللون، فقال: أيها الرجل إن عليك ثوبًا من نسج أضراسك.

وقيل له: احذر أن تدخل المدينة؛ فقد اجتمع القوم لضربك.

فقال: عندها يُعرف مقدار حِلْمي.

وقيل له: ما الفضل بينك وبين الملك؟

فقال: هو عبد الشهوة، وأنا مولاها.

ونظر إلى صبي يزيِّن نفسه، فقال: إن زَيَّنتها للرجال، فأنت مُخطئ.. وإن زَيَّنتها للنساء، فأنت هالك، وارتاض بالخيل في خلوة، فاشتاق الجماع، فأنفذ إلى بعض النساء ليغشاها لضرورة، فولع بقضيبه، فأنزل .. فلما جاءته المرأة، ما التفت إليها، وقال: حصل لنا طريقة نستغني بها عنك (والله أعلم بصحة هذا الخبر العجيب).

وبعث إليه «الإسكندر» وطلبه، فأنفذ إليه أن المانع الذي منعك عن المسير إلينا هو الذي منعنا.

ومرض في (خان) فعاده أصحابه، فقالوا له: من يدفنك؟

فقال: لا أرى أحق من صاحب الخان.

وسُئل: ما الذي تُحب من الطعام؟

فقال: الذي أبغضتم ورفضتم من الحكمة: اعتنيت به، وما طرحته من الجهل: احتويتُم عليه.

مرَّ بجماعة، فوثب عليه بعضهم يركله برجِله، فقال له تلامذته: نركله نحن أيضًا.

فقال لهم: تَشبهَ بالحمير... لا تتشبهوا به.

وقيل له: هلَّا اتخذت بيتًا؟

فقال: لو عرفتُم بيتي، لعلمتم أن بيوت العالم فيه.

وقيل له: فلان يحكي عنك كل شر.

فقال: لأنه لا يهتدي إلى الخير.

ورأى عجوز تتزين، فقال: إن كنت تهيأت للأحياء، فأنت مخادعة، وإن كنت تهيأت للأموات، فبادري.

ورآه بعض الحُكماء يأكل في السوق، فقال: أتأكل في السوق أيها الحكيم؟

فقال: آكل حيث أجوع.

وقال له مستهزئ: ما تأكل من الطعام؟

قال: كل ما نفيتموه.

قال: ولِمَ ذلك؟

قال: لأنكم تأكلون ما نفيته أنا.

ودخل إلى «الإسكندر» وعنده شاعر يمدح، فأخرج خبزًا كان معه، وأقبل يأكل، فقيل له: أي شيء تعمل؟

فقال: ما هو أنفع من استماع الكذب، وأمر الملك لجماعة بأواني فضة، وله بمثل ذلك فأَبى أن يأخذها، فذُكر ذلك للإسكندر، فقال: الكلب إذا ضربه صاحبه، اتبعه.

فقال: أيها الملك.. إذا جوَّعته لوَّح له غيرك برغيف.. فاتبعه..

وقال: إذا كنت تفعل الجميل لتُحمد، فليس أنت أفضل ممن يفعل الشر.

يريد بذلك أن يُحمد عليه؛ فإن كثيرًا من الناس يفعلون ذلك؛ ليُحمدوا عليه.

وقال: لا تتكلم بين أحد من الناس دون أن تسمع كلامه، وتقيس ما في نفسك من العلوم إلى ما في نفسه، فإن وجدت الفضل له، فأمسك وحصِّل فائدتك منه.. وإلا فانطلق بما تشاء.

وقال لتلاميذه: من جمع لكم مع المحبة رأيًا، فاجمعوا له مع المحبة طاعة.

وقيل له: لِمَ لا تباشر الحرب بنفسك؟

فقال: إنما لي نفسي، فإذا ضيَّعتها فعلى أي شيء أبقى؟

وقيل له: مَن أملك الناس لنفسه؟

فقال: مَنْ لم تصرعه شهوته.

وقيل له: إن فلانًا أقبل على شأنه.

فقال: إذن يعادي أهل زمانه.

وقيل له: إن فلانًا.. أعرض عنك..

فقال: ما أشبه إقباله بإدباره.

وعُوتب على ترك النساء، فقال: وجدتُ مكابدة العامة، أيسر عليَّ من الاحتيال لمصلحة العيال.

وعاب قوم من المترفين عيش «ديوجانس»، فقال: لو أردتُ أن أعيش عيشكم، قدرت.. ولو أردتم أن تعيشوا عيشتي، لم تقدروا.

وقال لرجل قد شتمه: لستُ أغالبك بأمر الغالب فيه أنزل الفريقين.. بل بما في إنائك نطقت.. وكل إناء ينضح بما فيه.

وقيل له: إن فلانًا يشتمك في غيبتك.

فقال: لو ضربني، وأنا غائب ما باليت.

وقال: لا مال أوفر من عقل، ولا فقر أشد من جهل، ولا قرين خير من حُسْن الخُلُق، ولا ظهير أوثق من مشاورة، ولا فائدة خير من التوفيق، ولا ميراث خير من أدب.

وقال: المرض: حبس البدن، والفم: حبس الروح.

وعيَّره رجل شّريف النسب بِضعَة أُمه، فقال له: أنا شرفي مني ابتدأ، وأنت شرفك إليك انتهى.

وحضر مع قوم، فأطال الصمت.. فقيل له: لِمَ لا تخوض معنا؟

فقال: الحظ للمرء: في أذنيه.. والحظ لغيره: في لسانه.

وسمع «ديوجانس» رجلًا يذكره بسوء.. فقال: ما عَلِمَ سبحانه منَّا.. أكثر ما تقوَّل.

وقيل له: إن فلانًا يريد أن يهلك.

فقال: إن فعل ما تقول، كان عليه أضر.

وشَتَمَهُ رجل، فأمسك عنه فقيل له في ذلك.. فقال: كفاهُ مَسَبَّة أنه شَتَم من لم يشتمنه.

وقال له رجل: بماذا أغُمُّ عدوي؟

فقال: بأن تكون على غاية الفضيلة.

وقال: إذا أردتَ أن تَعظُم محاسنك في أعيُن الناس، فلا تُعَظِّمنَّ في نفسك.

وقال: المرأة أذى لا بُدَّ منه.

وقال: الذي يفعل الخير في نفسه: يجب أن يفعله بكل واحد، وبين يدي كل إنسان، وبين يدي المادح، والذام له.

وقال: إن كثيرًا من الناس يريدون بالعيش أن يأكلوا، وأنا أريد بالأكل أن أعيش عيشًا عقليًا.

وسئل: متى يعرف الرجل أصدقاءه؟

قال: عند الشدائد؛ لأن كل واحد عند الرجاء: صديق.

وشتمه رجل، فلم يغضب، فقيل له في ذلك، فقال: إن كان صادقًا، فلا ينبغي لي أن أحزن، وإن كان كاذبًا، فبالحري ألا أغضب إن لم أكن على ما قال.

وسمع رجلًا مهذارًا، فقال له: أنصف أذنيك، فإنما جُعلت لك أُذنان ولسان واحد؛ لتسمع أكثر مما تتكلم.

وسأل «الإسكندر» جلساءه: بأي شيء يُكتسب الصواب؟

فقال له «ديوجانس»: بأفعال الخيرات، وإنك أيها الملك لتقدر أن تكتسب في يوم واحد ما لا تكتسبه الرعية في دهرها.

obeikandi.com

ومرَّ «بعشار» فقال له: أمعك شيء؟

فقال: نعم.

ووضع مخلاته ففتشها، فلم يجد فيها شيئًا فقال: أين ما قلت؟

فكشف عن صدره وقال له: هو هاهنا حيث لا يُقدرُ عليه، ولا تراه.

ورأى غلامًا حسَن الوجه يتعلم الحكمة، فقال: أحسنتَ إذ قرنت بمحبة حسن وجهك محبة حسن نفسك.

obeikandl.com

أخبار «أبقراط» الحكيم

كان هو و«ديموقراطيس» في زمن «بهمن بن أسفنديار بن كستاشب»، وكان اليونانيون يومئذٍ ملوك طوائف لا يجمعهم ملك واحد.

وكان لبسه السواد، وهو شعاره، وجعله علمًا للطب.. وكان قبل «الإسكندر» بنحو (مائة سنة) بمدينة (قيروها)، وهي مدينة (حمص) من أرض الشام على ما قيل.. والأصح أن (قو) مدينة، أو جزيرة من جزر بحر الروم.

وكان متألهًا، ناسكًا، يعالج حسبه لله تعالى.

وكان «أبقراط» الطبيب، وهو ابن «راقليس» تلميذًا لـ«أسقليبوس» الثاني: الطبيب.

وكان من نسل «أسقليبوس» الأول، وكان «أسقليبوس» الأول قد عهد إلى بنيه «الا يعلّموا صناعة الطب الغرباء».

وكان الملوك يختارون للملك من نسل «أسقليبوس».. وكانت بداية صناعة الطب منه، وعلّمها بنيه، وحذر أن يعلم الغرباء شيئًا منها.

وأمرهم بأمرين: أحدهما: أن يسكنوا من أرض اليونانيين وسط المعمور منها في ثلاث جزر، إحداهنّ تسمّى: (رودس)، الأخرى: (أقيدس)، والثالثة: (قو).

وكان «أبقراط» من جزيرة (قو)، والآخر: ألا تخرج صناعة الطب منهم إلى غيرهم.. بل يتعلمها الأبناء من الآباء؛ كي يبقى شرفها ثابتًا.

وكانت المواضع التي يتعلم فيها الطب هي الجزر الثلاث المذكورة.

وباد التعليم الذي كان بمدينة (رودس) بسرعة؛ لأنه لم يبقَ لآبائه وارث.. وانقطع الذي كان بمدينة (أقيدس)؛ لأن الوارثين له كانوا نفرًا يسيرًا.

وبقي الذي كان بمدينة (قو)، وثبت لثبات الوارثين له.

وكان رأي «أسقليبوس» الأول في الطب التجربة، ولم يزل الطب والقول فيه بالتجربة جاريًا.

كذلك ألف وأربعمائة وست عشرة سنة.. إلى أن ظهر «مينوش» الطبيب.. فنظر في ذلك، فإذا التجربة وحدها عنده: خطأ فضم إليها القياس.

وقال: التجربة بلا قياس خطر.

ولم يزل الأمر كذلك سبعمائة وخمس عشرة سنة إلى أن ظهر «رماسدس» الطبيب، فردَّ التجربة.

وقال: هي خطأ، واتخذ القياس وحده.

وخلف من التلاميذ ثلاثة، وهم: «باساليس»، و«أقرن» و«ديوقيس»... فوقعت بينهم المنازعات، فصاروا ثلاث فرق.

فقال «أقرن»: بالتجربة وحدها.

وقال «ديوقيس»: بالقياس وحده.

وادَّعى «باساليس» الحيل، وادَّعى أن الطب إنما هو حيلة.

ولم يزل ذلك لديهم (سبعمائة وخمس وثلاثون سنة).

ثم ظهر «أفلاطون» الحكيم الطبيب، فتأمل أقوالهم، ونظر في آرائهم، واتَّضح له أن التجربة وحدها خطر، وكذلك القياس.

فانتحل الرأيين جميعًا، وأحرق كُتب «باساليس» جميعًا، وكتب أصحابه التي في الحيل، والتي صنَّفها لمن انتحل رأيًا واحدًا من التجربة أو القياس، وترك الكتب القديمة التي فيها الرأيان بعده.

ومات وبقي الأمر بعده في تلاميذه على ما قرره معهم وهم ستة:

«ميراوس»، بالحكم على الأمراض.

و«فورونوس»، وأفرده لتدريب الأبدان.

و«باقرون»، وأفرده لعمل الجراحات.

و«سرجس»، وأفرده لعلاج العين.

و«قاميغورس»، وأفرده لجبر العظام المكسورة، وإظهار المخلوعة.

ثم ظهر «أسقليبوس» الثاني بعد ألف وأربعمائة وعشرين سنة، ونظر في الآراء، فصوَّب رأي «أفلاطون»، واعتمد عليه.

ومات وخلَّف ثلاثة تلاميذ: «أبقراط»، و«قلقارس»، و«وارجس»، فمات «قلقارس» بعد شهور، ولحقه «وارجس»، وبقي «أبقراط»: وحيد دهره، وكامل الفضائل، وقويت صناعة التجربة، والقياس بقوته.

ولما رأى «أبقراط» صناعة الطب قد قربت إلى الذهاب بسبب قلة الأجناس الثلاثة الذين قدَّمنا ذِكرهم، والذين هم من ولد «أسقليبوس» الأول: «برودس» و«أقيدس» و«قو»... حتى إنه لم يبقَ إلا ثلاثة (بقو) التي أحياها «أبقراط».

ونظر في أقوايل قراباته من أهل الجزر الثلاث، فوجد كثيرًا منهم قد أخذت في الطب آراء كاذبه يزيد في كل زمان، فخاف أن ينمي الفساد، فيضيع ما خلَّفه جدهم «أسقليبوس»، فتندثر صناعة الطب.

فرأى إثباتها في الكتب بأقاويل غامضة، وادعى إلى ولديه «باسلس»، و«دراقن» أن يُعلماها لمن استحقها من القرابات والغرباء؛ لأنه نظر فرأى أن الغريب إذا كان مستحقًا، فهو أولى من القريب غير المستحق.

فرأى أن يذيعها في سائر الأرض؛ لئلا تبيد.

ففعلا ذلك، وخاصة «باسلس»، فثبت شرف الطب بذلك الزمان الطويل.. إلى اليوم، وجعل الغرباء المتعلمين للطب كأولاده، بما عقل في رِقابهم من الإيمان.

ولم يكن في الطب كُتبًا.. بل كان كل واحد من آل «أسقليبوس» يلقنه إلى من يعلِّمه إياه تلقينًا، ومعه تذاكير بالغات يعرفها هو فقط؛ لئلَّا تخرج هذه الصناعة الشريفة إلى سائر الناس، فتذهب محاسنها، ويكثر الغلط فيها.

فلما مات أبقراط خلَّف ابنه «باسلس»، و«دراقن»، وابنته «ملانارسا».

ومن أولاد الأولاد: «بقراط بن باسلس» و «بقراط بن دراقن»، وخلَّف من التلاميذ الغرباء خلقًا كثيرًا.

وأنفذ «بهمن» «أردشير»: ملك الفُرس إلى «فيلاطيس»: ملك جزيرة «قو»، فطلب منه توجيه «بقراط» إليه.

وأمر لبقراط بمائة قنطار من ذهب، والقنطار (مائة وعشرون رطلًا)، والرطل: (تسعون مثقالًا).

وكان الجميع (ألف ألف وثمانون مثقالًا) من الذهب.

وكان اليونانيون ملكهم يومئذٍ الطوائف ملوك، ولم يجمعهم ملك واحد.

وكان بعضهم يؤدي الإتاوة إلى ملك الفُرس.. فتقدَّم «فيلاطيس» ملك جزيرة (أبقراط) إلى (أبقراط) بالتوجه إلى ملك الفُرس، وعرَّفه أنه لا يأمن أن يكون تأخره شيئًا لهلاكه، أو هلاك أهل بلده؛ لأنه لا طاقة له بمقاومة ملك الفُرس.

وأمره بالمسير إليه؛ ليعالجه، ويعالج الفُرس من وباء وقع فيهم.

فلما أجابه إلى علاج أعداء اليونانيين توقف عن ذلك.. فتكرر: السؤال والطلب، فرد أمره في ذلك إلى أهل بلده.

فاشتد ذلك عليهم فضَنُّوا به أن يخرج من بلادهم، وامتنعوا أن يمكنوه من الخروج.

وقالوا: نبيد عن آخرنا، ولا نمكن «أبقراط» أن يخرج من بلادنا.

فاعتذر إلى الملك بما كان من امتناعهم، وكَتَب رسوله إليهم بما كان من أمر أهل بلده.

فأمسك عن طلبه، وقيل: إنه هو «الله» الذي امتنع.

وقال: لا أبيع الفضيلة بالمال، ولا أداوي عدو اليونانيين.

وقيل: إنه زار جميع بلاد يونان، حتى وضع لهم كتابًا في الأهوية والبلدان.

وكان نجوم «أبقراط» في (سنة ست وأربعين ومائة) لبختنصر.

وصنَّف كُتُبًا كثيرة في الطب، والذي انتهى إلينا منها نحو (ثلاثين كتابًا)، وأكثر هذه الثلاثين موجودة اليوم.

والذي يُدرس من كُتبه لمن فقراء صناعة الطب، في هذا الزمان إذا كان درسه على أصل صحيح، وترتيب جيد: اثني عشر كتابًا الذي صنَّفها «جالينوس».

وكان «أبقراط» ربعًا، أبيض، حَسَن الصورة، أشهل العينين، غليظ العظام، ذا عصب، معتدل اللحية أبيضها، منحني الظهر، عظيم الهامة، بطيء الحركة، إذا التفت: التفت بكليته، كثير الإطراق، مصيب القوم: متأنيًا في كلامه، يكرر على السامع منه بين يديه إذا جلس، إن كُلِّم: أجاب، وإن سكت عنه: سأل، وإن جلس كان نظره إلى الأرض، معه مداعبة، كثير الصوم، قليل الأكل بيده أبدًا.. إما مردود، وإما مبضع.

مات وله (خمس وتسعون سنة) عاش منها صبيًا، ومتعلمًا (ست عشرة سنة).

وكان قبل اشتغاله بالطب ملكًا ترك المُلك، وتزهد فيه.

وكان لا يأخذ الأجرة إلا من الأغنياء دون الفقراء، وكان أخذه طوقًا، أو إكليلًا، أو سُوَّارًا من ذهب.

وقال: أما العقلاء فسقون الخمر، والجُهال: الحريق.

وقال: كل بدن لا يدخله الشراب، يسرع إليه الخراب.

قال: الأمن مع الفقر، خير من الغنى مع الخوف.

وقال تلامذته: ليكن هَمّكُم: محبتكم للناس، وتفقدوا معرفة أحوالهم، واصطناع المعروف إليهم.

وقيل له: لِمَ صار البدن أشد ما يكون التهابًا يوم شرب الدواء؟

فقال: لأن البيت أشد ما يكون تغيرًا يوم كَنْسه.

وقال: كونوا من المسيء المدغل أخوف من المكاشفة؛ لأن العِلل الظاهرة أهون مداواة من الباطنة.

وقال: ثلاثة أشياء تُورث الهزال: شرب الماء على الريق.. والنوم على غير وطأ.. والكلام برفع الصوت.

وقال: الجسد يعالج على خمسة أضرب:

ما في الرأس .. بالغرغرة، وما في المعدة.. بالقيء، وما في البدن.. بالإسهال، وما بين الجلد.. بالعرق، وما في العمق، داخل العروق.. بإرسال الدم.

وقال: الأبدان إذا لم تكن نقية كلما غذيتها.. ازدادت رداءة.. وكذلك النفس العليلة الرديئة بالقياس إلى أغذيتها.. أعني: الحكمة.

وقال: أربعة تهدم البدن:

دخول الحمام على الشبع، والجماع على الشبع، وأكل القديد الجاف، وشرب الماء على الريق.

وقال: إن المحبة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما في العقل، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحُمق؛ لأن العقل يجري على ترتيب، فيجوز أن يتفق فيه اثنان على طريق واحد.. والحمق لا يجري على ترتيب، فلا يجوز أن يقع به اتفاق بين اثنين.

وقال: ليس معي من فضيلة إلا علمي بأني لست بعالم.

وقال: اقنعوا بالقوت، وانفوا عنكم الحاجة؛ ليكون لكم قُرْبَى إلى الله عزَّ وجلَّ؛ لأن الله سبحانه غير محتاج إلى شيء، فكلما احتجتم أكثر.. كنتم معه أبعد.

واهربوا من الشرور، وذروا المآثم، واطلبوا من الخيرات الغايات.

وقال: ينبغي للمرء أن يكون في دنياه كالمدعو إلى وليمة.. إذا أتته الكأس تناولها، وإذا جازته، لم يرصدها، ولم يقصد لطلبها.. كذلك يفعل في المال، والأهل، والولد.

سُئل عن أشياء قبيحة؟ فسكت عنها، فقيل له: لِمَ لا تجب عنها؟

فقال: جوابها السكوت عنها.

وقال: الدنيا غير باقية، فإذا أمكن الخير، فاصنعوه، وإذا عدمتم ذلك، فاحمدوا.. وادخروا من الذكر: أحسنه.

وكان يقول: العلم: روح، والعمل: بدن.

والعلم: أصل.. والعمل: فرع.. والعلم: والد.. والعمل: مولود.

وكان العمل لمكان العلم، ولم يكن العلم لمكان العمل.

وكان يقول: العمل: خادم العلم... والعلم: غاية.

وقال: إعطاء المريض بعض ما يشتهيه، أنفع من أخذه بكل ما لا يشتهيه.

وقال: العلم: كثير، والعمر: قصير، فخذ من العلم، ما بلغك قليله إلى كثيره.

وقال: عند وفاته خذوا جامع العلم منِّي.

من كثر نومه: لانت طبيعته، ونديت جلدته، وطال عمره.

والإقلال من الضار... خير من الإكثار من النافع.

وقال: لو خُلق الإنسان من طبيعة واحدة، لم يمرض لعدم الضد.

وقال لعليل: أنا وأنت، والعلة ثلاثة، فإن أعنتني بالقبول، غلبنا العلة؛ لأن الاثنين يغلبان الواحد.

وحكايته مع ابن الملك العاشق لزوجة أبيه، وجس نبضه.

وقال: العشق طمع يتولد في القلب، وتجمع فيه مواد من الحرص.. فكلما قوي، ازداد اللجاج، وشدة القلق، وكثرة السهر.. فحينئذٍ يحترق الدم، ويستحيل سوداء، وتلتهب الصفراء، وتنقلب إلى السوداء.

ومن طغيان السوداء: فساد الفكر، ونقصان العقل، ورجاء ما لا يكون، وتمني ما لا يتم، حتى يؤدي إلى الجنون.. فربما قتل العاشق نفسه، أو مات غمًّا.. وقد يصل إلى معشوقه فيموت فرحًا.

obeikandl.com

أخبار «أوميروس» الشاعر

وشيء من حكمه وآدابه

كان أقدم شعراء اليونانيين، وأرفعهم منزلة عندهم.

وكان يجري عندهم مجرى «امرئ القيس» في شعراء العرب.

وكان زمانه بعد زمان «موسى» عليه السلام بنحو (خمسمائة وستين سنة).

وله حِكَمٌ كثيرة، وقصائد حَسَنة جليلة، وجميع شعرائهم الذين أتوا بعده على مثاله.. احتذوا، ومنه أخذوا، وتعلموا.. وهو القدوة عندهم.

وأُسِر، وأتى به المقسم ليباع.. فسأله بعض من أراد ابتياعه، فقال له: من أين أنت؟

فقال: من أبي وأمي.

فقال له: أتُرى أن أشتريك؟

فقال: بعد لم تشتريني أمشير في مالك جعلتني؟

فاشتراه بعضهم... فقال له: لأي شيء تصلح؟

فقال: للحرية.

وأقام في الرِّق مدة، وعُتق بعد ذلك، وعاش عمرًا طويلًا.

وكان معتدل القامة، حَسَن الصورة، أسمر اللون، عظيم الهامة، ضيق ما بين المنكبين، سريع المشية، كثير التلفُّت، بوجهه آثار جدري، مهذارًا، مولعًا بالسب لمن تقدمه، مزاحًا، مداخلًا للرؤساء.

مات وله (مائة وثمانون سنة).

وهو من القدماء الكبار الذين يخبر بهم «أفلاطون»، و«أرسطو».

وغيرهم من العلماء العظماء في إعلان المراتب.

وكان «أرسطو» لا يفارق مكان ديوانه، ويستدل هو ومن تقدمه ومن تأخر عنه بشعره؛ لِمَا كان يجمعه من الحِذق في قوله الشعر، مع إتقانه للمعرفة، ومتانة الحكمة، وجودة الرأي.

فمن بديع قوله: لا خير في كثرة الرؤساء.

وقيل له: متى تمسك في مدح فلان؟

فقال: إذا أمسك هو عن إحسانه.

وقيل له: تكذب في شعرك؟

فقال: يُراد بالشعر: الكلام الحسن.. وأما الصدق فعند «الأنبياء».

وهو أول من أبدع الشعر في اليونان، وظهر بعده «موسى» عليه السلام (بتسعمائة وإحدى وخمسين سنة).

وظهر «ساليس الملطي» بعده بقريب من (أربعمائة سنة).

آداب «أوميروس» الشاعر

وقال: العاقل من عَقَل عن الذم: لسانه.

والشورى: راحة لك، وتعب على غيرك.

والعتاب: حياة المَودَّة..

هب ما أنكرت، لِمَا عرفت.

وقارن أهل الخير، تكن منهم، وباين أهل الشر تبن عنهم، ومن أكثر من شيء عُرف به.

وقال: الكريم هو الذي فكره أبدًا نحو الواجب، وإذا رأى الواجب: فعله.

وقال: أفضل الدنيا: حسن اللقاء.

وقال: طول الحدة تميت الحيل، والحيل فوائد الفكر، والوجه ينبئ عن الضمير.

وقال: عادة الصمت: تورث العي.

وقال: اللجاجة: تسلب الرأي، والخفة: تسلب البهاء.

وقال: اللحظ أدل على الضمير.. من اللفظ.

وقال: العجب ممن يمكنه الاقتداء بالله سبحانه، فيعدل إلى الاقتداء بالبهائم، يعني: العدل.

obeikandl.com

وقال: لا ينبغي لك أن تفعل ما إذا عيَّرك به إنسان غيرك، غضبت.. لأنك إذا فعلت ذلك، كنت أنت الشاتم لنفسك.

وقال: إن رجلًا من الحُكماء كُسِرَ به المركب في البحر، فوقع إلى الساحل جزيرة.. فعمل شكلًا هندسيًا على الأرض.. فرآه قوم، فمضوا به إلى ملك تلك الجزيرة..

فأنعم عليهم، فكتب إلى سائر البلدان: أيها الناس.. اقتنوا ما إذا كُسِر بكم المركب في البحر سار معكم، وإذا صلحتم بقي معكم، وهي العلوم الصحيحة، والأعمال الصالحة.

وقال لابنه: اقهر شهوتك؛ فإن الفقير من الحظ إليها.

وقال: احلم تُنَبَّل.. ولا تجعب فتُمتهن.

وقال: الإنسان الخيِّر، أفضل من جميع ما على الأرض من الحيوان.. والإنسان الشرير، أخس وأوضع من جميع ما على الأرض من الحيوان.

وقال: الحكمة هي أن تدرك صورة العلم بالعمل.

وسُئل عن مراتب الرجال.. فقال: هم ثلاثة: موسوم بخير.. وموسوم بِشر.. وغافل لا يُعرف بخير ولا شر.

وقال: الدنيا دار تجارة.. فالويل لمن تزوَّد منها للخسارة.

وقال: كثرة المعارضة تمحق القدر.

وقال: صون النفس بعد بذلتها: مروءة.

وقال: إفراد مقدمة الجرأة: قوة نفس من ظهر بالجد.

وآلة الرياسة: سعة الصدر.

وقال: الدنيا دار، من نال مراتبها لم يفرح.. ومن فقد الرياسة منها كان حقيرًا.

وقال: من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة، والموت: معتق، آثر الموت على الحياة.

وهكذا.. كلام نفيس، وهو خلاص الفلسفة، وثمرة الحكمة.. لأنك إذا علمتَ حِكَم هذه الحياة وشأنها، علمت أنها قيد، وأن صاحبها مسجون، أن الفكاك من هذه القيود، والراحة من هذا السجن، إنما هو بالموت الذي هو التحول من حال إلى حال، ومن مكان إلى مكان.

وإنما استبشع هذا الاسم من لا دراية له بالفلسفة، ولا خبرة له بالحكمة.. وإنما يعرف ما يرى، ويسمع دون ما يستبان ويعقل.

لا جَرَم إذا ذُكِر له الموت: هاله وجزع، وانتفض، وفزع، ولو كان للحمار مثل عقله، لكان هذا العارض فيه أقوى.. ولكان به أولى.

ولولا نقص اللسان، لما حطَّ نفسه إلى حال الحمار فيما لو لحقه، لكان مثله.. ومتى ارتفع هذا النقص، رفع نفسه إلى جرم علوي شريف مستنير باقٍ دائم، وتطاول إليه، وتشبه به واحد يهديه، وامتطاه لما يكون مبلغًا له إلى محله، ومشرفًا به على حاله.

ولن يزول هذا النقص إلا عن واحد بعد واحد في دهر بعد دهر.

فلا تعجبنَّ من إنكار من ينكر قولنا في التهاون بالموت، فله شركاء، ومعه قُرناء.

وإنما كلامي مع أهل العقل، واليقظة، والخير، والجد، والعزم.. فأما من قد ألهاه العز، والمال، والنَّعَم، والجاه، والذهب، والفضة، والعقار، والضيعة، والحسرة، والسرية، والغزل، والصبابة، والنظر، والتخيل، والمدح، واللعب.

فإنه عمّا نقوله ونسطره: أعمى، وأصم، وميت يُدعى حيًّا، وغائب يُدعى: حاضرًا، ومرجوم يحسب مغبوطًا..

وقال: العقل نحوان: الطبيعي والتجاربي.. وهُما في التعاون بمنزلة الماء والأرض للنبات والأثمار.

ومن لم يُحسن تدبير هذين النحوين من عقل الطبيعة والتجربة واستعمالهما، والاستعانة بهما في أموره.. لم يكمُل في العلم، والأدب، والحكمة، والعمل الصالح.

وكما أن النار تُذيب الصامت بخاصة وتخلصه، وتتمكن من العمل فيه.. فكذا العقل يُخلِّص الأمور، ويفصلها.

ومن لم يكن له هذان النحوان من العقل فيه موضع، فإن خير أموره له قِصَر العمر.

وقال: إن «بهرام»[1] واقع الزهرة، فتولَّدت منهما طبيعة هذا العالَم.

وقال: الزهرة عِلَّة التوحُّد والاجتماع.. و«بهرام»: عِلَّة التفِرق، والتوحد ضد التفرق.. فكذلك صارت الطبيعة ضدًّا يركِّب، وينقص، ويوحد، ويفرِّق..

وهذه مقتطفات شعره:

ارفع عن عمرك ما يحزنك.

إن أمور العالم تعلمك العلم

كل ربح يكون من ظلم، فهو جالب مضرة.

كل ما يمتاز في وقته، يفرح به.

إن أحسنت الصبر على الإعراض كنت سعيدًا.

ومن أُحسن إليه فلم يَذْكُر، كان غير الشكور.

إن الزمان يبين الحق، وينشره.

ومن لم يهتم بمعاشه لم تُحسن أخلاقه.

إن العقل أبدًا كنز خير عظيم.

من احتمل المصائِب احتمالًا شديدًا، فهو رجل.

---

(١) بهرام الأول: أحد ملوك الساسانيين «٢٧٣- ٢٧٦م» ابن شاهبور الأول، خلف أخاه هرمز الأول، وأعدم.

إن الله تعالى ينتقم من الأشرار.

كثيرًا ما يدخل.. الضرر على الناس بتركهم المشورة.

لا تعدل أحدًا قبل أن تفحص عن أمره.

لا تدع الأشياء الظاهرة، وتطلب ما ليس بظاهر.

إن الأدب يؤنس كل شيء.

اهرب من مشورة الرجل الشرير.

إذا نالتك مضرَّة، فإنك كنت أهلها.

قد تعلم مذهب الرجل من كلامه.

الرجل العادل ليس هو الذي لا يظلم.. بل الذي يقوى على أن يظلم فلا يفعل.

إن معرفة الأمور الحسية: لشيء فاضل.

لا ينال الناس شيئًا من المكروه بغير سبب.

إن الذي يهرب من القتال ليرجع..

فيقاتل لرجل: الرجل الخيِّر لا يُبغض الخير أبدًا.

محبُّو المال ليست لهم حرية الرجل.

الشقي يعيش بالمنى.

إن القول الخشن مدعاة الغضب.

كل من حسُنت حاله أحبه الأصدقاء.. وبالعكس تهرب الأصدقاء منه.

الرجاء: غالب على الفراغ من الناس.

إن العمر هو الذي يعمر صاحبه بالفرح.

جميع الناس يدينهم معرفتهم بأنفسهم، كما يدينهم إليه.

من استعمل العدل في عمره، تكون آخرته آخرة صالحة.

كن رزينًا، واتخذ الأصدقاء بالرزانة.

عمر محتاج إلى عمر غيره.. ليس بعمر.

إن المرأة تقصر عمر الرجال.

إن لم يكن لك امرأة.. عشتَ عمرًا صالحًا.

زينة كل امرأة: سكوتها.

بالمرأة الصالحة يسلم المنزل.

الضحك في غير وقته: ابن عم البكاء.

الأرض تلد كل شيء، ثم تسترده.

الشيخ الفاسق: في غاية رداءة البحث.

من تزوج .. فإنه سيندم.

المرأة العادلة، هي سلامة العمر.

وجود المرأة الخيِّرة ليس هو بسهل.

تدفن المرأة خير من أن تتزوج بها.

المرأة مطبوعة على الإفراط في النفقة.

تزوج لا بجهازها.. إن الناس يتزوجون بالجهاز.. لا بالنساء.

الطبيعة لا تطلق الرئاسة.. للنساء.

إذا أردت التزويج، فانظر إلى الجيران، والأصحاب.

المرأة لا تُشِر بشيء فيه صلاح البتة.

الأحمق يضحك، وإن لم يكن شيء يضحك منه.

المرأة تتملق فتأخذ منك شيئًا.

المخطئ في الشيء مرتين، ليس بحكيم.

إذا سقطت شجرة، احتطب كل من أراد.

الأشرار يجزعون من الحكيم.

ينبغي أن تكون المحبة صادقة لا بالكلام.

وقال: إذا أعطيت صاحب البحث قليلًا، أخذت منه كثيرًا.

إذا عدلت: أعانك الله تعالى.

الرأي من الجنان: حنان.

إن المرأة: مولاة من تزوج بها.

اطلب الشرف، والفضيلة.. واهرب من الذم، والرذيلة.

obeikandl.com

الإنسان: أقدر الحيوان على الحيلة.

إذا كان مذهبك العدل، استعملت السُّنَّة.

إن البحث شيء عسر الوجود.

اهرب من الرجل الفاسق في جميع عمرك.

السكوت يوجب الإقرار.

ليس شيء أرحى من الملوك، وإن كان خيرهم.

النعمة: عين ترى كل شيء.

الخير يكثر في الناس من استعمال التعب.

إن الحكماء يفكرون في الأمور بالليل.

اصبر على الحزن والمضرة صبرًا شديدًا.

انتقم من الأعداء نقمة لا تضرك.

كُن حَسَن الجرأة، ولا تكن متهورًا.

أعدَّ أبدًا ما تحتاج إليه لوقت كبرك.

إن الجوع والفقر يقطعان العشق.

والعشق من الشبع.. لا مع الجوع.

الرجل الخيِّر محبب.

قل ما تجد الأمانة.. في النساء.

obeikandi.com

الرجاء غلب على كثير من الناس.

ومن الناس من يرى رأيًا رديئًا، ويفعل فعلًا حميدًا.

إذا لم تصدق الأعداء، لم تنلك مضرة.

إن الله تعالى سميع لدعاء الحق.

إن كانت لنا أموال، صارت لنا أصدقاء.

من صاحب السكوت، يستهان به.

عبد المنزل: هو رب المنزل وحده.

من الناس من يبغض المحسن إليه.

إذا كنت ميتًا، فلا تذهب مذهب من لا يموت.

إن كنت ميتًا، فاعمل عمل من يموت.

الصالح من الناس: حسن الظن عند الشدائد.

وجود الحكمة لا يكون إلا بعقل.

لن يكسب الإنسان الحسنة، إلا بالتعب.

يحسن عيشك إن قهرت غضبك.

إن ذوي الألباب يختارون الموت على الحياة الرديئة.

إن غيرة الرجل تفسد المنزل.

إذا تزوجت، فاطلب المرأة التي تعينك على الأمور.

obeikandl.com

إن الحياة اللذيذة لا تتهيأ للفاجر الشره.

من حاول فساد امرأة متزوجة، فهو خارج عن الحرية.

إن البطن.. إذا شبع قليلًا وكثيرًا.

أكثر الهرب من الخُلُق الرديء.. ومن الريح القبيح.

إما ألا تتزوج، أو تتزوج فيصونها الزمان على أخلاق الناس.

إما ألا يلعب بالنرد، أو يحتمل ما يأتي به البحث.

السكوت: أمثل من القول بما لا ينبغي.

إن الحُمق يجلب السوء على الناس.

إن الطبيعة كوَّنت جميع الأشياء بإرادة الرب سبحانه.

المادة: كنز العمر.

من لا يفعل شيئًا من الشر.. فهو: الإلهي.

يريد بالإلهي الشريف كالملائكة.

الوالدان: آلهة كبار عند من يعقل.

الحسد غالب على أكثر طِباع النساء.

أحسن على من يقدر على منفعتك.

مساعدة الأشرار على فعلهم: كفر بالله عزَّ وجلَّ.

obeikandi.com

أخبار سولون(١)

وهو واضع شرائع أثينة، كذا خلَّف «سولون بن أكسكاسطيذس» الحكيم كُتُبًا كثيرة، فيها علم الصالحات، ممتلئة من المواعظ..

وهو جد «أفلاطون» لأمه.

وكان من أهل «أثينة» من مدينة الحُكماء في الزمان الذي انتقل الملك إليها.

وهو واضع الشرائع لهم التي نقض بها نواميس «دارقون المارق»، ولم ينقض النواميس التي جاءتهم من «قوبليكس».

ووضع كتابًا فيه الأشعار المنشطة إلى مناحرة الحروب، يحرضهم به على مال الأعداء لحاجة كانت إلى ذلك.

وكان «سولون» أحد الحُكماء السبعة الذين كانوا في وقت واحد وهم:

«ثاليس»، و«سولون»، و«بيطاقوس»، و«باريانـدروس»، و«حيلـون»، و«قيلاقطوس»، و«بياس».

وأنكر قوم على «بياطاقوس»، و«باريانـدروس».. وجعلوا مكانهما «أنسيمانيدس» الأقريطي، و«أباريس» الأسقوني.

---

(١) سولون «نوح ٦٤٠ – ٥٥٨ق.م» مشرع أثيني، أحد حكماء اليونان السبعة سن قوانين إصلاحية: اجتماعية وسياسية.

وقيل: إنهم تسعة، وأضافوا إليهم «**أناخارسيس**» الذي من سقونيا، و«**موسوا**» الذي من جينا.

وإنما حسبوا سبعة، فأسقطوا منهم الاثنين لما أذكره، وهو أن أحد الناس وقفوا بصياد، فدفعوا إليه منقوشًا؛ ليقلي شبكته في الماء، فما أصعدته في بختم، كان لهم.. فأخذه منهم.

وطرح شبكته في الماء فأصعد (**طريبوذًا**) من ذهب، فأزمع الصياد عليه، ومنعهم إياه، واحتج عليهم بأنه إنما باعهم سمكة، ولم يبعهم (**طريبوذًا**) من ذهب.

واحتجوا عليه.. أنه شرط على نفسه أن ما يطلع لهم: بختهم.

فلما طالت المشاجرة.. اتفقوا على أن يأتوا إلى «الله» عزَّ وجلَّ.

فما أمرهم أنفذوه، فأوصى إليهم أن ينطلقوا إلى أحد الحكماء السبعة، ويقبلوا حكمه فيه.

فأتوا بـ(**الطريبوذ**) بدءًا إلى «**ثاليس**»، فوجَّه به إلى «ساس» الحكيم، وأخبر بأن قال: هو أحكم مني.

فبعثه «ساس» إلى الحكيم الثالث، فأرسله إلى الرابع.

فلم يزل كل واحد يرسله إلى الآخر.. حتى جاز على السبعة الحكماء.

فردَّهُ السابع إلى «ثاليس».. فأجاب يجعل في هيكل «الله» تعالى.

فجعلوه في هيكل «**آبولون**» الذي بداليس.. . فصارت سابقة (**الطريبوذ**) للسبعة الحكماء الذين مرَّ على أيديهم.

فأما الآخران اللذان لم يتفقا معهم في هذا المعنى، فأقرا بفضيلة «ثاليس».

وذُكر عن «سولون».. أنه كان ليِّنًا لطيف الكلام... حتى كنَاهُ أهل (أثينة): المفرج.

وسار إلى مصر، ولبث بها حينًا، وسمع فيها من الكهنة حِكَمًا كثيرة جدًّا، وتعلم منهم أشياء غامضة.

وكان يقول: لا يزال المرء متعلمًا أبدًا.

وتوفي بأرض غربة، هاربًا في ولاية بها.

وكان جدًّا لأفلاطون الحكيم من جهة أمه.

وكان أبيض، أشقر، أزرق العينين، أقنى الأنف، مستطيل اللحية، خفيف العارضين، خميص البطن، منحني الأكتاف، حلو المنطق، قوي اللسان، على ذراعه الأيمن: خال كبير.

مات وعمره (سبع وثمانون سنة).

وكان نقش خاتمه على ما حكاه (أبو الموفق): (من ودَّكَ لشيء زال بزواله).

آداب سولون

قيل له: كم عمرك؟

فقال: الوقت الذي أنا فيه.

وفي رواية: أنه قال: ليلة واحدة.

وكان من سننه: ألا يباشر أجساد الأحرار، وأجساد الإماء مخافة أن يكون الأولاد هجنًا.

ومن سننه أيضًا: إذا فرض للفارس أن يتفقد وقاده على فرسه، ويستعمل في الحرب من ثلاثين سنة.. إلى ستين ثم بعده يُستعمل في الحرس.. وإذا أذنب الرجل، رُفع إلى السلطان، فثبتت ذنوبه في الشهر، والسنة، واليوم الذي يذنب فيه.

ثم إذا رفع عليه شيء –بعد ذلك– نظر في ذنوبه، ومناقبه.. فإن فُضلت مناقبه على ذنوبه، خلِّيَ عنه، فإن نقصت عنه، يقتل.

وقال: إذا أردت أن تعرف الجزاء، فاعرفه فيمن يطيعك ويعصيك.

وقال: ليكن صديقك من خالفك في الهوى، وأطاعك على الرأي.

وقال: عظموا وُلاتكم، واحذروهم؛ ليحذركم من تكونوا عليهم فيطيعونكم.

وقال: يُستعمل الكذب عند الضرورة، كما يستعمل الدواء.

obeikandi.com

وسأله رجل: أشير عليه بالزواج.. أم لا؟

فقال: أيهما فعلت: ندمت.

وقال: من أراد أن يكون حكيمًا، فليعرف كيفية الصناعة الفكرية؛ حتى يعرف صواب طريقة الفكرة، ومذهب سلوكها إلى علم الأمور.. فإذا عرف ذلك، أبصر من أين تثبت الأمور، ومن أين لا ثثبت.

فإذا وصل إلى هذه المرتبة، حصلت له صناعة الصناعات العلمية.

فهو في علمه بصواب طريقته الفكرية، يحتاج في النظر في أوائل الصناعات حتى تستجمع عنده الأوائل ويعرفها.

ثم هو يقوى بالفكرة، ويستنبط بها ظهر ما خفي، وعنده علم صواب طريقة السلوك بالتفكير.

فغاية الحكيم: معرفة صناعة الصناعات كما ذكرنا.

وينبغي للناظر في الصناعات التي تقدمت الحكماء في نظمها ورسمها.. أن يكون نظهر فيها بحذق طريقة القياس المصيب.. لا بمعرفة تلك الأشياء نفسها فاعرف هذه الطريقة.

وقال: العالم مصنوع على أن يمد بعضه بعضًا، ويستمد بعضه من بعض.. والغاية المطلوبة في ذلك البقاء الدائم.

وقال: ليس بين الخالق والمخلوق فصل بالزمان.. إنما هو في العِلة والمعلول، وعِلَّة سبب الموت في العالم: بقاء الكل.

وقال: كل علمٍ آمنك من خوف مكروه.. فهو كنز من الكنوز.

وقال: كل صانع ينفي عن نفسه بالعلل العقلية، فهو المستحق لنسبة تلك الصناعة إليه... ولكل صناعة صانع فيلسوف.

وقال: في العواقب: يستفاد علم التجارب.

وقال: من صنع خيرًا، فليتجنب خلافه.. وإلا دُعي شريرًا.

وقال: فعل الجاهل في خطابه: أن يذم غيره.

وفعل الأديب: ألا يذم نفسه، ولا غيره.

وسئل: أيهما أحمد في الصبى: الحياء، أم الخوف؟

فقال: الحياء؛ لأن الحياء يدل على عقل.. والخوف على لؤم.

وقال لابنه: إذا أردت أمرًا، فلا تجنح به هواك واستشر.. فإن الرأي يصدق، والمشورة ترشد.

وسئل: ما أصعب الأشياء على الإنسان؟

فقال: أن يعرف نفسه، ويكتم سره.

وفي نسخة أخرى: أن يعرف عيب نفسه، وأن يمسك عمّا لا ينبغي له أن يتكلم به.

وكان له نواميس حسنة، وسنن شريفة، منها: إن الحكيم لا يشرب إلا دون السُّكر.

وإذا مات الملك، لا يخرج في السوق، ويترك ثلاثة أيام.

وإذا تولى الملك كذلك.. إلا أنهم يشتغلون باللذات فرحًا به.

وقال: أصعب الأشياء: أن تعرف نفسك، وتكتم سرك، وتمسك عمّا لا ينبغي أن تتكلم فيه.

وطالب ثأر الدنيا: جاهل؛ لأنه لا نهاية له.

وقال: الذي هو أحد من السيف، لسان الرجل الفصيح.

وقال: أنفع الأمور للناس، وأقرَّها لأعينهم: القناعة، والرضا..

وأشقها عليهم، وأمضاها: الشر، والسخط.. فإن أفضل ما يصيب الإنسان: السرور الذي هو ثمرة كل فائدة تصل إليه.

وإنما يكون نيل السرور بالقناعة والخير والرضا، وكان الحزن، بالشر والسخط تجتمع القّناعة والسخط، لا السرور والحزن.

وقال: أحسن ما عُوشر به الملوك: البشاشة وتخفيف المؤنة، وقِلة الخلاف.

وقال: المالك للشيء، هو المسلط عليه.. فمن أراد أن يكون حرًّا، فلا يهوى ما ليس له، وليهرب منه.. وإلا صار له عبدًا.

وقال: لا يضبطنَّ الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة.

وقال لبعض تلاميذه: دع المزاح؛ فإنه لقاح الضغائن.

وقال: ليس فضائل الرجل ما ادَّعاها لنفسه، لكن ما نسبها الناس إليه من أفعاله التي تظهر منه.

وسئل عن الجواد؟ فقال: من جاد بماله، وصان نفسه عن مال غيره.

وقال: ليس بحُرٍّ: الغافل عن صديقه؛ لأنه إن كان فاضلًا، فاتته صحبته، وإن كان سفيهًا، حمى جانبه من السفهاء، وارتاض باحتماله.

وسئل: لِمَ لا تذكر في سُنَّتك عقوبة من قتَل أباه؟

فقال: لم أظن هذا شيئًا يكون.

وسئل: كيف تتخذ الأصدقاء؟

فقال: أن يُكرَّموا إذا حضروا، ويحسن ذِكْرهم إذا غابوا.

وقال: النفس الفاضلة ترتفع عن الحزن، والفرح؛ لأن الفرح: إنما يعرض إذا نظرت إلى محاسن شيء دون مساوئه، والحزن: بأن ترى مساوئ شيء دون محاسنة.. والنفس الفاضلة: تتأمل كلية الشيء، فتتساوى فضائله، ورذائله في هذا العالم.. فلا يغلب عليها أحد هاتين الحالتين.

وقال: الذي يطلب شيئًا، ليس له نهاية: جاهل، و«الله» تبارك وتعالى ليس له نهاية.

وأصيب بابنه.. فجعل يبكي.. فقال له رجل: وما ينفع البكاء؟

فقال: فمن هذا أبكي.

وكان لا يستحل أن يدَّخر أكثر من قوت يوم واحد.

وقيل له: إن الملك يبغضك.

فقال: وأي ملك يحب ملكًا هو أغنى منه؟

obeikandl.com

فهرس الجزء الأول

مقدمة المؤلف ٢٣
فصل في ابتداء أحوال الفلسفة ٣٣
انكسامندرس ٣٧
انكسمانس ٣٨
انكساغوراس ٣٩
أرسلاوس بن أبو لوذس........................ ٤٠
فيثاغورس ٤١
«هيراقليطس»، و«أثاليس»........................ ٤٢
«أبيقورس بن ناونيس» ٤٣
«أنبادوقليس» ٤٤
من آداب «طاطو» وهو صاب بن إدريس عليه السلام ٩٤
أسقليبوس ٩٦
آداب أسقليبوس ٩٩
الحكيم العظيم الرَّبَّاني (أنباذقلس) ١٠١

openkandl.com

خبر فيثاغورس..١٠٨
الفيلسوف المتأله..١٠٨
آداب «فيثاغورس» ومواعظه ١٢١
خبر «سقراطيس» الزاهد المتأله الحكيم ١٣٦
آداب «سقراط» الحكيم الزاهد........................١٥٠
خبر «أفلاطون» الحكيم وآدابه ١٩٠
آداب «أفلاطون» وحكمه ومواعظه....................١٩٦
خبر «أرسطاطاليس بن نيقوماخس» الحكيم.............٢١٤
آداب «أرسطاطاليس» الحكيم ٢٢٢
خبر «أنكساغوراس» الملطي وآدابه....................٢٣٢
«ثاوفرسطس».. تلميذ الحكيم «أرسطاطاليس» ٢٣٦
«أوذيموس» ٢٣٨
«أسخيليوس» ٢٣٩
«ديمقراطس» ٢٤١
«أبرقلس» ٢٤٣
«أرسطيس» ٢٤٥

«فواطرخس»...................................... ٢٤٦
«سفيداس»...................................... ٢٤٧
«ثامسطيوس» ٢٤٨
«الإسكندر» الأفروذيسي ٢٤٩
«الشيخ اليوناني»...................................... ٢٥٢
«زرادشت»...................................... ٢٥٥
أخبار «ديوجانس» الناسك الكلبي...................................... ٢٥٨
آداب «ديوجانس» الناسك الكلبي ٢٦٢
أخبار «أبقراط» الحكيم ٢٧٣
أخبار «أوميروس» الشاعر...................................... ٢٨٣
وشيء من حكمه وآدابه...................................... ٢٨٣
آداب «أوميروس» الشاعر ٢٨٥
أخبار سولون...................................... ٢٩٦
آداب سولون...................................... ٢٩٩
فهرس الجزء الأول ٣٠٥

obeikandl.com

دار المصري
للطباعة
ت: ٠٢/٣٧٢٤١٧٨٦
موبايل: ٠١٢/٢٢٧٤٩٤٧٥ — ٠١١/٤٤٧٢٩١٧١
E-mail:Dar_Elmasry@yahoo.com

obeikandl.com